مجلة مجمع اللغة العربية

بحوث مؤتمر
الدورة التاسعة والأربعين
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الجزء الحادي والخمسون
شعبان ١٤٠٣هـ
مايو ١٩٨٣م

مجمع اللغه العربيه

جمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
د السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الحادى والخمسون

شعبان ١٤٠٣هـ - مايو ١٩٨٣م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير

إبراهيم الترزى

الفهرس

تصدير :

بقلم : ابراهيم الترزى
ص ٥

● كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى
ص ٧

● كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع
ص ٩

● بين مؤتمرين
للدكتور مهدى علام
الأمين العام للمجمع
ص ١٣

● كلمة الأعضاء العرب
للأستاذ أحمد توفيق المدنى
ص ١٩

● تحية المؤتمر
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن
ص ٢٣

البحوث :

● لغة الصحافة فى بلاد الشام
للدكتور عدنان الخطيب
ص ٢٩

● الأسماء المعبدة والأسماء المجددة
للدكتور عمر فروخ
ص ٤٥

● لغة الخبر الصحفى
للأستاذ سعيد الأفغانى
ص ٥٥

● لغة الصحافة فى القطر الجزائرى
للأستاذ أحمد توفيق المدنى
ص ٦٣

● لغة الصحافة
للدكتور محمد عزيز الحبابى
ص ٧٩

● من كناشة النوادر (٤)
للأستاذ عبد السلام هارون
ص ٨٧

● تصحيح الأوضاع
للأستاذ محمد الفاسى
ص ١٠١

● الروح (قصيدة)
للدكتور حسن على ابراهيم
ص ١٠٧

● اللغة المصفاة
للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
ص ١٠٩

● فى رحاب مجمع الخالدين (قصيدة)
للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ١١٧

● الصحافة وتجديد اللغة
للأستاذ عبد الله كنون
ص ١٢٥

● ابن سينا .. مناقشة بعض ما قال فى العين
للدكتور حسن ابراهيم
ص ١٣٣

● لغة الصحافة فى مصر منذ ظهور الصحافة فى القرن الماضى
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن
ص ١٣٩

● الصدفات والغواص
للأستاذ جمال محمد أحمد
ص ١٥٣

● التعبير العلمى ولغة العلم
للدكتور ابراهيم الدمرداش
ص ١٦٥

● المصطلح العلمى فى التعريب
للدكتور عبد العظيم حفنى صابر
ص ١٧١

● لغة الصحافة فى الأردن
للأستاذ الشيخ ابراهيم القطان
ص ١٧٩

● تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات بواسطة الأرقام العربية
للدكتند عبد الهادى التازى
ص ١٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : ابراهيم النرزى

فى النشأة الأولى للفن الصحفى لم يختلف أسلوبه باختلاف أنواعه ومجالاته . ثم أخذ هذا الأسلوب يتطور ويتنوع ، بحسب أنواع الفن الصحفى ؛ من خبر ، ومقال ، وتعليق ، وتحقيق ، وتحليل ، كما أن الأسلوب فى كل منها أخذ يختلف بحسب مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية ، وغير ذلك .

هكذا نشأت أساليب فنون القول ، ثم أخذ كلٌ منها يتطور ويتنوع ، ويكتسب لنفسه سمات وخصائص ما زالت — وستظل — تتجدد مع تجدد أنواع هذه الفنون ، وتطورها المتواصل .

وقد نشأ الأسلوب الصحفى فى عالمنا العربى قريب الشبه بالأسلوب الأدبى السائد فى ذلك الحين ؛ ألفاظه يكثر فيها الغريب ، وعباراته تقليدية تنتمى إلى عصور سابقة ، تمضى متثاقلة ركيكة ، تصلصل بالحُلِىِّ البديعية المثقلة بها ، وقد تسللتْ إليها بعض الكلمات الأجنبية ، وبخاصة التركية فى البلاد التى ظلت طويلا فى إطار الخلافة العثمانية .

ومع إشراقة النهضة العربية الحديثة أخذ الأسلوب الصحفى — كغيره من الأساليب — يتحرر ويتطور ؛ فانطلق من أسْر التقليد والجمود ، وتنقَّى عنه كل أجنبى دخيل ، وصارت عبارته مرسلة سمحة ، تصل إلى القارئ فى يسر وطلاوة وألفة . فتكاثرت الصحف ، واتسع انتشارها ، وتزايد إقبال القراء عليها من كل الطوائف والطبقات . ومن يوغل فى تاريخ الصحافة المصرية يأخذه العجب ، بل الانبهار ؛ لكثرة ما كان يصدر من صحف ، أخذت تتزاحم — وأحياناً تتصارع — على الصعيد الصحفى ، الذى كان يمتد من القاهرة إلى الإسكندرية ، وشمالى الدلتا ، وإلى أسوان فى أقصى الجنوب من مصر .

وقد ظلت الصحف المصرية تتكاثر من أواخر السبعينيات فى القرن الماضى إلى أواخر الثلاثينيات فى هذا القرن ، ثم أخذ بعضها يتعثر ، ويتساقط ، ويختفى ، مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وندرة الورق ورداءته وغلائه ، وبخاصة بعد أن هيمنت على الصحافة الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ .

ولكن ، إذا ظلت الصحف لا تأخذ سبيلها إلى ما كانت عليه من تكاثر فإن الفن الصحفى لم يتجمد ولم يتوقف ؛ فقد ظل يتجدد ويتقدم فى الشكل والموضوع ، وأنشئت له دراسات جامعية متخصصة .

وقد صاحب ذلك تقدم مطّرد فى فن الكتابة الصحفية ، على مدى رحلتها طوال قرن ونصف .

فى رحم الصحافة تخلّقتْ ملامح الأسلوب الصحفى ، وبدت له سماته ، وبلاغته الخاصة به ، وقد صارت ألفاظه سهلة مأنوسة ، تكاد فى وضوحها وألفتها تقترب من الألفاظ المتداولة فى لغة التخاطب ،وجُمَلُه قصيرة رشيقة ، ذات إيقاع سريع متوثب ، قد نفضت عنها الحلى البديعية ، وتخلصت من الصور البيانية التقليدية ، وآثرت تقديم المعنى المباشر القريب ، وتخففت من أدوات الربط وإن حرصت — مع هذا — على أن تكون مترابطة متكاملة فى مسارها الفكرى والموضوعى .

كان هذا شأن الأسلوب الصحفى فى صورته العامة لدى أكثر الكتاب الصحفيين طوال النصف الأول من هذا القرن ، على وجه قريب ، ثم أخذ الأسلوب الصحفى يعتريه ضعف وهزال وقصور ، وركاكة وضحالة ، وإن سلم من ذلك لدى قلة من الكتاب ، حفظت لهذا الأسلوب سلامته وعافيته ، وثراءه الفكرى والجمالى .

ومن الإجحاف أن نعزل ما اعترى الأسلوب الصحفى عن الوضع الثقافى العام ؛ فقد شاعت الأخطاء اللغوية والنحوية ، كما شاع الهزال الفكرى والبيانى ، فيما يكتبه أغلب الكتاب المعاصرين ؛ ومن أهم أسبابه — دون ريب — ما أصاب التعليم اللغوى من قصور فى مختلف مراحله ومستوياته ، وما أصاب الحياة الثقافية من ضمور إبداعى على الساحة الأدبية .

ولعلنا نعمل بكل الجد والجهد على تحقيق إصلاح تعليمى شامل ، وإحياء ثقافى أصيل يمتد من جذور الماضى إلى آفاق مستقبل حضارى زاهر .

وفى هذا الجزء من المجلة بحوث مؤتمر الدورة المجمعية التاسعة والأربعين ، ألقاها بعض السادة من أعضاء المجمع ،عالجت موضوع الصحافة ، فى مصر وبعض البلاد العربية الشقيقة .

ابراهيم الترزى
رئيس التحرير

كلمة الدكتور مصطفى كمال حلمى
نائب رئيس مجلس الوزراء للخدمات
ووزير الدولة للتعليم والبحث العلمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل الفاضل رئيس المجمع ،

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع ،

إنه لمن أعظم أسباب سعادتى ، أن أشرف معكم بافتتاح مؤتمركم السنوى فى دورته التاسعة والأربعين ، ذلك المؤتمر العلمى الكبير الذى درج مجمعكم الموقر على عقده منذ عشرات السنين ، ليكون موعداً للقاء كريم بين صفوة ممتازة من أهل اللغة والأدب والعلم ، تجمع بينهم تلك الصلات الوثيقة فى خدمة لغتنا العربية ، لغة القرآن المجيد التى هى — بلا شك — من أوثق العرى التى تحكم ما بيننا من روابط ، وتجمع قلوبنا وعزائمنا على منهج سواء .

ويطيب لى فى هذا المقام أن أحييكم أصدق تحية ، وأن أشكر لكم استجابتكم الكريمة لدعوة المجمع إلى هذا المؤتمر ، فقد لبيتم الدعوة ، مؤثرين الاستجابة النبيلة على مابين أيديكم من شواغل وشئون

وإنه ليسعدنا حقا أن يستقبل المجمع هذا المؤتمر ، وقد تحقق له إنجازان على جانب كبير من الأهمية :

أولهما صدور قانونه الجديد ، حيث جد من الأمور مايستوجب تعديل قانونه ، وإنه ليستقبل دورته ، ويستأنف نشاطه بقانون يؤكد استقلاله ، ويعزز شخصيته المعنوية ، ويتيح له من الاختصاصات ما يعينه على الاضطلاع بإنجاز أغراضه ، فى يسر وانطلاق ، وفى ظل هذا القانون الجديد تود وزارة التعليم أن تعرب عن مساندتها الكاملة وتقديرها البالغ لرسالة المجمع الكبيرة فى حماية لغتنا القومية ، وتنميتها ، وإمدادها بما يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة فى عصرنا الحاضر ، بحيث تساير ما تستحدثه الحضارة من معطيات ومفاهيم .

أما الإنجاز الثانى فهو انتقال المجمع إلى مبناه الجديد . ولا شك أننا جميعا مغتبطون بأن يفتتح المجمع مؤتمره فى موقعه الجديد ،

(*) ألقيت فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين يوم الاثنين ٨ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢١ من فبراير سنة ١٩٨٣ م .

الذى يليق برسالته السامية ، ويفى بحاجاته العلمية والإدارية ، وبما تتطلبه ضرورات البحث العلمى على نحو ميسور .

أيها الأساتذة الأجلاء :

إن مؤتمركم هذا فضل يضاف إلى عطائكم المتواصل لازدهار اللغة فقد دأبتم دائماً أن تجزلوا العطاء ، وأن تضيفوا فضلا إلى فضل ، ولا نستطيع أن نحصى ما أنجز من أعمال ، فهو فيض مستمر ، ومجهود ضخم ، سوف تضاف إليه قراراتكم وبحوثكم فى هذا المؤتمر إن شاء الله .

ويطيب لى أن أذكر بالتقدير والامتنان عملكم الكبير فى مجال المعاجم اللغوية ، فقد أنجزتم المعجم الوجيز ، والمعجم الوسيط وأنتم فى سعيكم الدائب الجاد لإنجاز المعجم الكبير ، ولكن قطاعا من أعز وأغلى أبنائكم يتطلع إليكم بالأمل أن تهدوا إليه معجم الطفولة ، ليكون مصباح الهداية لكل من يتصدى للكتابة لهم .

تحيـــة التقدير والامتنان لكل من يشد أزر لغتنا العزيزة ، وينهض بما يجعلها وافية بمطالب الحياة والعلوم والآداب والفنون ، فى مسايرة حريصة واعية لمستحدثات الحضارة الإنسانية .

ودعاء إلى الله العلى القدير أن يبارك عملكم المجيد ، وسعيكم المخلص ، وأن تطيب إقامتكم فى بلدكم ، وبين أهليكم .

وإنه ولى التوفيق ، وعليه قصد السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟؟

كلمة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء

ووزير التعليم والبحث العلمي ،

زملائي الكرام :

سيداتي — سادتي :

إن أول ما أبدأ به هو أن أتوجه باسمكم ، وباسمي بخالص الشكر إلى السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم على تلك الكلمات الطيبة التي تفضل بها ، والمجمع يعول التعويل كله على وزارة التعليم ومساندتها له في أداء رسالته ، وتلك ليست المساندة الجديدة ، فقد نشأ المجمع في كنف وزارة المعارف ، التي أصبحت وزارة التربية والتعليم فيما بعد ، ثم عاد منذ عامين إلى حيث نشأ ، وهو يتابع هذه الصلة الوثيقة التي تواجه الأمور على النحو الملائم بها .

وأضم صوتي إلى صوت السيد الوزير في الترحيب بزملائنا وضيوفنا الكرام من أعضاء عاملين ومراسلين لبوا دعوتنا وسعوا إلينا برغم ما يضطلعون به من أعباء في أوطانهم وهم يحسون تماما أنا نسعد بهذا اللقاء ، ونرتقبه عاما بعد عام ، على أن الأمر لم يقف عند هذا التلاقي في فترات من الزمن في أسبوعين كاملين ، بل نحن على صلة دائمة بهم نكتب إليهم فيوافوننا بآرائهم وملاحظاتهم ، ويتابعون أعمالنا على تنوعها .

سيداتي سادتي :

بلغ مجمعنا الخمسين من عمره تقريبا ، وآن الأوان لأن تكون له دار تحمل اسمه ، وتحتفظ بأوراقه ، ووثائقه ، بمؤلفاته ومكتبته ، ويتسع صدرها لمحرريه وخبرائه للجانه وجلساته ، ولمجلسه ومؤتمره ، وقد قضينا سنين طوالا في رحلة متنقلة بين دور مختلفة في الجيزة تارة ، وفي القاهرة تارة أخرى .

وقد حاولنا أن نحصل على دار من تلك الدور القديمة تكون ملائمة للمجمع ،

(*) ألقيت في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

ولكنا لم نوفق لذلك ، ولم يكن بد من أن نسلك سبيل الإنشاء والتعمير ، وكان علينا أن نتخير موقعا يلائم هذه الهيئة العلمية التى لها تاريخها وماضيها .

وهنا أرى واجبا علىّ أن أنوه بصنيع زميل كريم ، كان يوما وزيرا للثقافة ، وكان هذا الموقع تابعا له فوضعه تحت تصرفنا . هذا الزميل هو الأستاذ بدر الدين أبو غازى ، وقد سبقه زميل آخر هو الدكتور عبد العزيز السيد ، فعرض علينا مساحة أكبر كان يدخرها لوزارة التعليم ، ولكنه آثر المجمع بها منذ عدة سنين ، ولسوء الحظ لم نوفق لذلك فى حينه ، وما إن تمكنا من وضع يدنا على هذا الموقع حتى لجأنا إلى مكتب هندسى استشارى يضم خيرة من كبار أساتذة العمارة فى هندسة القاهرة ؛ تولوا الأمر وقاموا بالتخطيط ، وكان عليهم أن يتولوا الإشراف على سير العمل ، على أن وزارة الثقافة من جانبها ، ومنها هيئة هندسية ، عاونتنا مشكورة على ذلك ؛ لأنه ليس فى أجهزتنا ما يمكننا من متابعة أى عمل إنشائى على هذا النحو . وقامت بالبناء شركة من شركات البناء الكبرى ، وهى شركة المقاولين العرب ، وصادفنا ما صادفنا من صعوبات ، ولعل أهمها هو اقتطاع ستمئة متر مربع من مساحتنا التى كانت ألفاً وستمئة متر مربع ، وكنا نود أن تكون هذه القاعة نفسها مطلة على النيل ، ولكن ضيق المساحة قضى بهذا الوضع الذى ترون ، والمجمعيون سعداء بأن وصلوا إلى هذه النتيجة بالرغم من هذه الصعوبات ، وأحب أن نشير إلى أن المجمع خصص قسما من مبناه لاتحاد المجامع اللغوية .

أما قانون المجمع ، فأنا حريص على أن أسجل أن وزارة التعليم عاونتنا على إخراجه ، ولهذا القانون قصة قديمة ، فقد عشنا زمنا طويلا مع قانون المجمع الموحد الذى جمع بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، ويوم أن ذابت أسباب ذلك طالبنا بإصدار تشريع يتمشى مع الوضع الجديد ، ولكن — لاعتبارات لا دخل للمجمعيين فيها — رئى أن يؤجل ذلك إلى حين ، وطال هذا التأجيل ، والمجمعيون تحكمهم تقاليدهم دون الحاجة الماسة إلى القانون والتشريع ، ولكن لاشك أنه كان هناك نقص لابد من تداركه ، وقد وفقنا لهذا التدارك ، وصدر قانوننا الجديد مؤكداً استقلال المجمع المالى والإدارى ، ومستمسكاً بمعاونة شيوخ العروبة وعلمائها وعضويتهم فى هذا المجمع العضوية العاملة أو المراسلة وهذا تقليد أخذ به مجمعنا منذ البداية ، وعاد بنا التشريع الجديد إلى تقليد آخر أهمل زمنا ، ألا وهو أنه لا بأس مطلقا من أن ينضم إلى عضوية المجمع من هو أهل لخدمة اللغة العربية وإن لم يكن من أهلها ، وكان هذا تقليدا لنا فى البداية نعود إليه ونرحب به .

وأمر آخر لا شك أن وزارة التعليم كانت لها يد فيه ، ألا وهو أن معاونى هذا المجمع من موظفيه الفنيين فتح الباب أمامهم لكى يطبق عليهم الكادر الجامعى ، وسيمكن ذلك المجمع من أن يتخير لمعاونته من هم أقدر على القيام برسالته ، هذا هو قانون المجمع الجديد ، ومجمعكم منذ أن بدأ، رسم لنفسه طريقا وأقر تقاليد ونظما ثابتة سار عليها ، يبدأ العمل فيه من اللجان ، وهذه اللجان تقوم على محررى المجمع وخبرائه كما تقوم على أعضائه ، وما أكثر هذه اللجان وهى متعددة التخصصات ، بين علمية وإنسانية ، رياضية وطبيعية ، وأستطيع أن أقول لكم ، إن عددها أصبح يزيد على العشرين ، وكلما جدت دراسة جديدة سارع المجمع إلى أن يسلك سبيلها لتوفر لغة العلم والحضارة التى هى وسيلة النهوض والتقدم وترفع هذه اللجان أعمالها إلى المجلس ومنه إلى المؤتمر . وقد درجنا على أن يقوم السيد الأمين العام بعرض أعمال مجمعنا فى خلال الدورة الماضية بدءاً من اللقاء السابق إلى لقاء اليوم .

وقبل أن أعطيه الكلمة أود أن أشير إلى أنا كنا ننتوى أن يكون عيدنا الخمسينى فى هذه الدورة ، ولكن الإعداد لهذا العيد لم يكتمل ، وقد شاءت مصلحة البريد مشكورة أن تشاركنا فى الحفاوة بهذا العيد فأخرجت مجموعة طيبة من طوابعها بهذه المناسبة ، ونحن نشكرها على هذا كل الشكر ، ونحن على موعدنا إن شاء الله فى العام القادم لنحتفى بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وشكرا لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

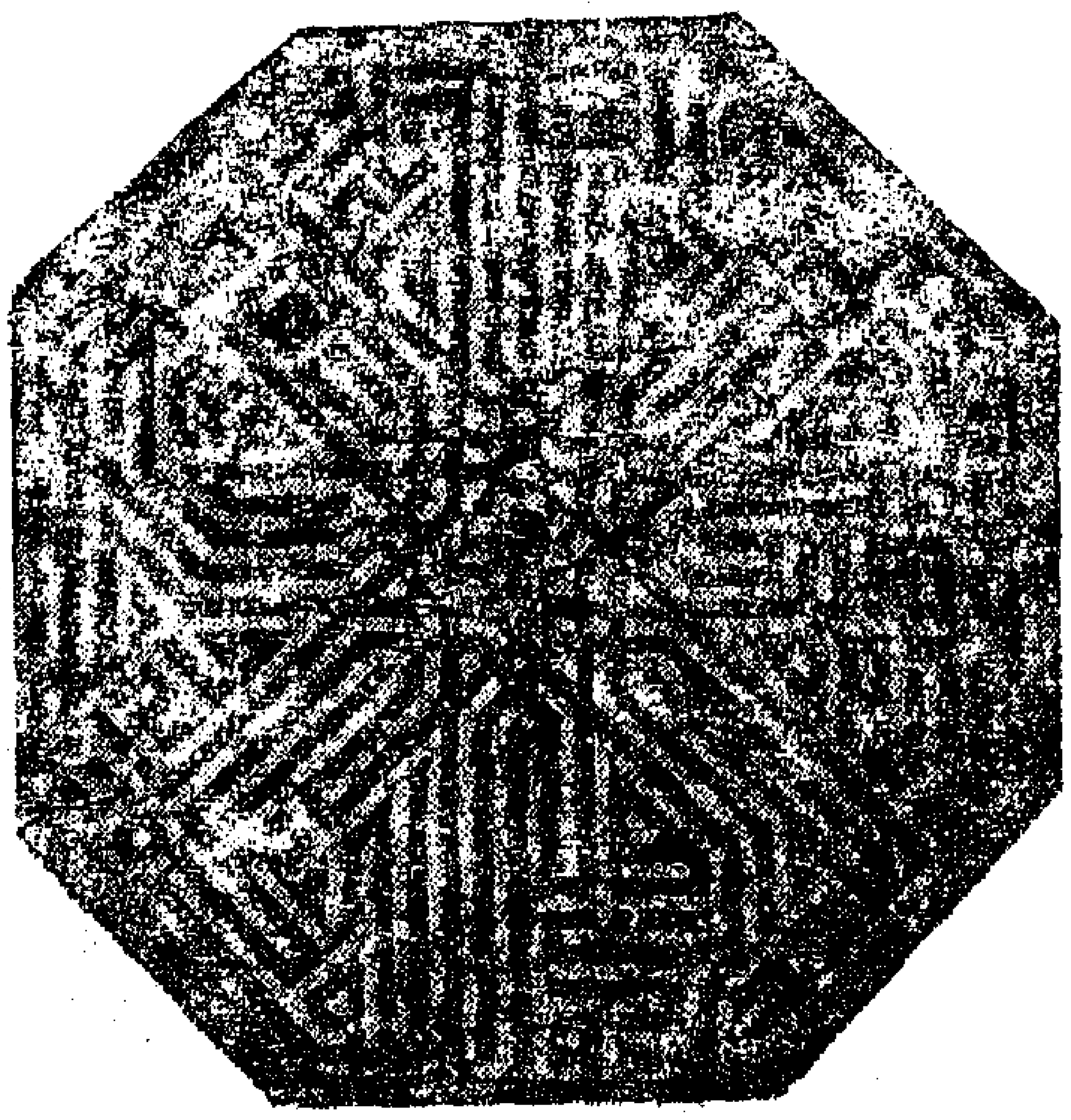

بيان مؤتمرين (*)

للدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم والبحث العلمى :

السيد رئيس المجمع :

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر :

سيداتى ... سادتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد :

فإنى أشعر بسرور عظيم وأنا أستقبلكم ، وأرحب بكم لأول مرة فى دار مجمعنا التى صارت له مستقرا ومقاما ، بعد طول ترحال بجلساته العلنية إلى دور أخرى كريمة تفضلت بضيافتها على الرحب والسعة ، فى افتتاح مؤتمراتنا السنوية ، ومحاضراتنا العامة :

وإن واجب الترحيب بكم فى دارنا المجمعية يذكرنى بواجب الشكر والحمد والتقدير للهيئات المسئولة عن تلك الدور الكريمة المضيافة :

دار جامعة الدول العربية من قبل ، وجامعة الشعوب الإسلامية والعربية من بعد ؛

ودار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والتشريع ؛

ودار الجمعية الجغرافية ؛

أيها السادة الأجلاء :

بعد أداء الترحيب والشكر والوفاء ، وقبل الحديث عن أعمالنا المجمعية فى هذا المؤتمر أود أن نستجلى الصورة العامة لمؤتمرنا السابق ، تحقيقا لتواصل النشاط المجمعى ، الذى يتجدد ويزداد نماء وازدهارا عاما بعد عام .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر ثلاث جلسات علنية ، وعشر جلسات مغلقة :

كانت أولى الجلسات العلنية لافتتاح المؤتمر ، والأخريان لمحاضرتين عامتين ، أولاهما للزميل الأستاذ محمد عبد الغنى

(*) ألقيت فى جلسة إفتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

حسن ، وموضوعها : « عندما ينفعل الشعراء فى الحادث الجلل : بحث فى آخر فصل من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » وثانيتها للدكتور مهدى علام وموضوعها « المتنبى بين نفسيته وشاعريته » .

أما الجلسات العشر المغلقة فقد نظر المؤتمر فيها ما أعدته لجان المجمع ، وأقره مجلسه من مصطلحات فى الجيولوجيا والهيدرولوجيا ، والفيزيقا ، والكيمياء والصيدلة ، والطب ، والاقتصاد ، وعلم النفس ، والآثار المصرية القديمة ، والسينما . كما نظر مواد جديدة من المعجم الكبير (من أول مادة ج ل ج إلى آخر مادة ج م ع ل) .

وأقر المؤتمر من أعمال لجنة الأصول «ضبط عين المضارع من ماضى الثلاثى المفتوح العين » ، ومن أعمال لجنة الألفاظ والأساليب ما يلى :

- أمسية .
- أنتج .
- عشوائى وعشوائية .
- عظمة .
- العمالة .
- بهت . باهت .
- دعم (المضعف) .
- الدعم (بين لغة المعاجم ولغة العصر) .
- تغطية الموضوع .
- جرد العهدة .

كما أقر المؤتمر من أعمال لجنة اللهجات بعض الظواهر اللغوية فى لهجتى : طيئ ، وهذيل ، وفقه الضمير « نحن» ، ومجموعة من الكلمات العربية الفصيحة التى تبدو عامية .

وألقى بعض السادة الزملاء بحوثا فى الموضوع الرئيسى للمؤتمر ، وهو « تراثنا اللغوى » وبحوثا أخرى عالجت بعض الشئون اللغوية ، والتاريخية ، والأدبية ، والعلمية .

وحلق الشعر فى أجواء المؤتمر بقصيدتين إحداهما فى تحية المؤتمر للزميل الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، والأخرى بعنوان « حياتى » للزميل الدكتور حسن على ابراهيم .

وأصدر المؤتمر فى جلسته الختامية توصيات وقرارات أهمها :

- تعريب التعليم الجامعى هدف يسعى إليه العالم العربى جميعه ، وسبيله الحق تزويد مكتباتنا الجامعية بالمصادر العربية القديمة والحديثة ، وبفهارس المكتبات الأخرى فى العالم العربى حتى يتيسر للباحثين إنجاز مهامهم العلمية ، ويوصى المؤتمر الجامعات العربية بأن تعهد إلى بعض أساتذتها فى ترجمة أمهات الكتب العلمية ، وبالتأليف فى مختلف مجالات العلم .

- إحياء تراثنا العربى — بتحقيقه ونشره — من أهم الأسس التى تنهض عليها

حضارتنا العلمية والأدبية . ولذلك يوصى المؤتمر بأن تقوم المجامع والهيئات الثقافية بإنشاء مراكز أو لجان لإحياء تراثنا العربي مع العناية بإعداد شباب من المحققين ، وتدريبهم على تحقيق بعض المخطوطات ، بإشراف أساتذة من العاملين فى هذا الميدان حتى تتواصل أجيال المحققين ، جيلا بعد جيل ، وتتسع حركة إحياء تراثنا العربي . ويأمل المؤتمر أن يبادر المجمع بالاستجابة العاجلة لهذه التوصية .

– يوصى المؤتمر بأن تعنى وسائل الإعلام – صحافة وإذاعة : مسموعة ومرئية – بضرورة الالتزام بقواعد اللغة العربية ، وبنطق الكلمات نطقا سليما ، وإعداد العاملين بها إعدادا لغويا وصوتيا ، مستعينة فى ذلك بالأساتذة المتخصصين فى مجالى : النحو والصوتيات .

– يوصى المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية ، ويأمل المؤتمر أن يفسح لها مجال أوسع ، مع الاهتمام بما يخرجه المجمع والهيئات المتخصصة فى اللغة العربية وفنونها المختلفة .

أعمال المجلس واللجان فيما بين المؤتمرين :

بلغت جلسات مجلس المجمع فيما بين المؤتمر السابق وهذا المؤتمر تسعا وثلاثين جلسة منها ثلاث علنية ، أبن المجمع فيها زملاء أعزاء ، استأثرت بهم رحمة الله تعالى ، فمضوا إلى كريم رحابه ، وهم : علامة النحو واللغة الأستاذ على النجدى ناصف ، وشيخ الصحافة الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، والجغرافى الكبير الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد .

وجدد المجلس فى إحدى جلساته انتخاب الدكتور إبراهيم مدكور رئيسا للمجمع لأربع سنوات قادمة ، كما انتخب فى جلسة أخرى لعضوية المجمع شيخا من شيوخ اللغة والأدب ، هو العلامة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذى سنسعد باستقباله فى جلسة علنية ، عقب هذا المؤتمر ، إن شاء الله .

أما سائر الجلسات المغلقة فقد نظر المجلس فيها ما أعدته لجان المجمع من مصطلحات فى الجيولوجيا ، والفيزيقا ، والنفط ، والكيمياء والصيدلة والهيدرولوجيا ، وعلم الحيوان والطب ، والرياضة ، والهندسة ، والجغرافيا والتاريخ ، والاقتصاد ، والفلسفة ، والفنون وألفاظ الحضارة ، وسيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس منها ، مع طائفة جديدة من مواد المعجم الكبير (من مادة ج و ت إلى آخر الجيم والواو وما يثلثهما) ، كما سيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس من أعمال لجان : الأصول ، والألفاظ والأساليب ، واللهجات .

مسابقة المجمع الأدبية :

فاز بالجائزة الأولى للمسابقة فى الدورة السابقة الأستاذ على على الفلال ، وكان

موضوعها : « الشيخ مصطفى عبد الرزاق عضو المجمع مفكرا وأديبا ».

أما موضوع المسابقة فى هذه الدورة فهو : « الدكتور عبد الوهاب عزام عضو المجمع أديبا وباحثاً » ، وستفصل لجنة الأدب فى الأعمال المقدمة إلى هذه المسابقة ، عقب انتهاء موعدها فى آخر مارس القادم ، ثم تعرض قرارها على مجلس المجمع .

مسابقة احياء التراث :

فاز بجائزة هذه المسابقة الدكتور عبدالمجيد قطامش ، عن تحقيقه كتاب « الأمثال » لأبى عبيد القاسم بن سلام ، وقد رأت اللجنة أن تزيد جائزة المسابقة للعام القادم إلى ألف جنيه للجائزة الأولى ، وخمسمئة للجائزة الثانية . وقد أقرها المجلس ، واعتمد لها المكافأة المطلوبة

المعجم الوسيط :

فرغت لجنة « المعجم الوسيط » من إعداده لطبعته الثالثة ، وهى فى سبيل تقديمه للمطبعة وقد بلغت الأعلام فى جزئه الموسوعى نحو خمسمئة وثلاثة آلاف علم . وقد تم البت فى اختيار الهيئة التى تم عليها عطاء طباعته .

معجم ألفاظ القرآن الكريم :

نفدت الطبعة الثالثة لهذا المعجم ؛ لتزايد الإقبال عليه ، فقرر مجلس المجمع تكوين لجنة لإعادة النظر فى مواده تمهيدا لتقديمه إلى طبعته الرابعة ، وقد انتهت اللجنة من مراجعة مواده إلى نهاية حرف الذال .

العيد الخمسينى للمجمع :

رأى المجمع أن يكون الاحتفال بهذا العيد فى العام القادم ، فهو يوافق العام الخمسين لإنشائه ؛ إذ عقد مجلس المجمع جلسته الأولى فى يناير عام ١٩٣٤ ، وسيكون الاحتفال بهذا العيد عربيا ودوليا ، يدعى إليه ممثلون للمجامع العربية الشقيقة ، وبعض المجامع الإسلامية والأجنبية والاتحاد الدولى للأكاديميات .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع فى هذه الدورة المطبوعات التالية :

- الجزء الثانى من المعجم الكبير .
- المجلد الثالث والعشرين من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية .
- الجزء الخامس والأربعين من مجلة المجمع .
- محاضر جلسات الدورة السادسة والأربعين .
- محاضر جلسات الدورة الثالثة والعشرين .
- معجم الجيولوجيا .

صلات المجمع الثقافية :

تتزايد صلات المجمع بالمجامع والهيئات العلمية العربية والإسلامية والدولية ، فى مختلف مجالات الثقافة ، من ذلك – على سبيل المثال – أن الاتحاد الدولى للأكاديميات رأى أن يعهد إلى المجمع – بعد أن أصبح عضوا فيه –

بالإشراف على إحياء النصوص العربية لمؤلفات الفيلسوف العربي الكبير «ابن رشد» وتكونت لذلك لجنة برئاسة الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، تضم أعضاء من العرب والمستشرقين .

وتلقى المجمع دعوة من هيئة « اليونسكو » للمشاركة فى الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد عضو من أعضاء المجمع الراحلين وهو المستشرق الفرنسي الأستاذ «لوى ماسنيون» وسيمثل المجمع الدكتور إبراهيم مدكور فى هذا الاحتفال الذى سيقام فى «باريس» فى أخريات هذا العام.

سيداتى . . سادتى :

لا يفوتنى أن أنوه بفارسين من فرسان المجمع ، حازا قصب السبق فى ميدان الجوائز وهما : علامة القانون الزميل الدكتور أحمد عز الدين عبد الله ، الذى فاز بجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، وعلامة الدراسات الأدبية والنقدية الزميل الدكتور شوقى ضيف الذى فاز بجائزة الملك فيصل العالمية فى الدراسات الأدبية .

وأخيرا ، لا يسعنى إلا أن أتجه إليكم بأوفى الشكر ؛ لتشريفكم هذا الحفل المجمعي ، وأخص بالشكر زملاءنا الأشقاء العرب - الذين تفضلوا بتلبية دعوتنا ، راجيا لمن اعتذر منهم أن يكون معنا فى المؤتمر القادم ، لنشترك جميعا فى الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع ، إن شاء الله تعالى .

سيدى الوزير :

لا يسعنى إلا أن أكرر الشكر ومهما كررته فهو عذب ، واجب ومقبول .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مهدى علام
الأمين العام للمجمع

كلمة الأعضاء العرب (*)

للأستاذ أحمد توفيق المدنى

باسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه :

أيها السادة الأعلام ، لسان العروبة ، وشيوخ اللغة ، وأئمة المستقبل: باسم الأعضاء الأشقاء العرب الذين لبوا دعوة هذا المؤتمر الكريم، أتقدم بالشكر والامتنان لكل من هيأ لهذا المؤتمر المبارك وكل من شارك فيه وأخص بالذكر منهم السيد الدكتور وزير التعليم والبحث العلمى ، والسيد الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، والسيد الأمين العام الدكتور مهدى علام ، فهؤلاء الفرسان الثلاثة قد تباروا أمامنا فى هذه الحلبة السائدة ، وأفادونا إفادة عظيمة وأرونا رأى العين أن هذا المجمع مجمع عمل جاد ، وجهاد حقيقى فى سبيل هذه اللغة التى شرفها الله باختيارها لسانا لقرآنه الشريف الخالد ، الهادى إلى الصراط المستقيم .

سيداتى ، سادتى :

قد اجتمعنا اليوم فى هذا المكان وافدين من شتى الأقطار العربية؛ تلبية لدعوة الواجب ومشاركة منا فى القيام بواجبنا نحو هذه اللغة التى وحدتنا ، وجمعت شملنا ، وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس، فاعتزازنا بهذه اللغة ، ومشاركتنا فى إحيائها وإرجاع أمجادها، يدل دلالة قاطعة على أن أمة العرب — والحمد لله — ليست هى الأمة الخامدة النائمة الراكدة التى يصورونها؛ بل هى الأمة الخالدة ، الأمة الحية ، الأمة العاملة ، الأمة التى سترجع أمجادها بحول الله ، ستعيد حضارتها ، وستكون جيلا جديدا من العرب يعيد أمجاد الماضى ، ويهيئ للمستقبل الأسس السائدة التى ستبنى كيان هذه الأمة .

كنت أود أن أقول لكم : ياأبنائى — وبحكم السن يجب على أن أخاطبكم هكذا — لا تكونوا من قوم «كان» ، بل كونوا من قوم « صار» ، لأن « كان» مقترنة بالبكاء والنحيب على الماضى ، كان لنا ابن خلدون

(*) ألقيت فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

كان لنا المعرى ، كان لنا ابن رشد ، كان لنا فلان وفلان ، كانت لنا أمجاد ، يكفى هذا ، يجب أن نكون من قوم « صار لنا» و«أصبح لنا» ،و«أمسى لنا» ، و«أضحى لنا المستقبل » ، نحن أبناء المستقبل ، إن شاء الله ، نحن نكون نهضة علمية ثقافية أدبية تعيد أمجاد اللغة ،وتعيد لها شرفها ، وترينا رأى العين أن هذه اللغة العظيمة التى كونت المدنية فى أوربا ، كما يشهد بهذا النزهاء من رجال أوربا ، هذه اللغة تستطيع — لا كما كانت فحسب ،بل أعظم مما كانت — أن تساير العلم ، وتساير النهضة الحديثة ، وتساير المستقبل ، وتسير قدما نحو أهدافها العالية بفضل جهودكم ،أيها السادة المجمعيون وبفضل جهادكم أيها الإخوان المشاركون. فحياتنا حياة عمل ، حياة جد ، حياة نشاط لا نقبل فيها التهاون ، ولا نقبل منها النوم فقد طال وقت السبات . نحن الآن فى عصر النهضة ، فى عصر النمو ، يجب علينا أن نسير ، لا مع العالم ، بل فى مقدمة العالم ولقد قال شاعر عربى قديم :

« لنا الصدر دون العالمين أو القبر » .

ولن يكون لنا القبر ، إن شاء الله ، بل يكون لنا الصدر ، فرجال أمثالكم لايليق بهم أن يتأخروا عن الميدان ، لا يليق بهم ألا تنهض بهم أمتهم ولغتهم وثقافتهم وعلمهم وآدابهم .

نحن سلسلة متصلة ، إن ذكرنا أجدادنا فلنذكر حاضرنا ،وإن ذكرنا حاضرنا فلنذكر مستقبلنا كذلك ، ونهيئ له ما يلزمه لهذا : وعلى هذا اجتمعنا ، وهكذا سنعمل .

إن اجتماعنا هذا يرينا رأى العين وحدة الأمة العربية التى ليست متقطعة الأوصال، وليست مهلهلة، بل هى أمة عظيمة قوية ثابتة ، فرضت وجودها على العالم المنافس والمعادى ، وستثبت عن جدارة واستحقاق أنها سائرة دوما إلى الأمام بحول الله ، ولا يغرنكم —سيداتى وسادتى — ما نراه اليوم من النكسة العظمية ، وهذا التخاذل الكبير الذى رأيناه أخيرا فى صفوف العرب فما هى إلا نوبة بسيطة ،وما هى إلا اختلافات يسيرة ، وقد قال الإمام محمدعبده، رحمه الله : « لعن الله السياسة ما دخلت شيئا إلا أفسدته» ،فإن كانت السياسة تفسد،فنحن سنصلح ما أفسدته، ونعتصم بحبل الله تعالى فقد اجتمعت العروبة على القرآن، والقرآن لسانه لغتنا العربية ففى هذا الميدان الفسيح نلتقى ، وبه نعمل ، وعليه نجاهد بحول الله وقوته ، وأرجو مخلصا أن يكون اجتماعنا هذا الاجتماع العربى المجيد قدوة حسنة لرجال السياسة منا، وإن كان لامجال للسياسة فى هذا الاجتماع المبارك ، ولكن الواجب يقضى علينا أن نقول : يجب على رجال السياسة العرب أن يتداركوا ما فات، فقد بلغنا من الهوان مبلغا لم يبلغه بلد من بلدان العروبة فيما مضى ، بلغنا من الهوان درجة جعلتنا أرذل مايكون فى هذا العالم ،جعلتنا نرى أبناءنا يذبحون ، ودماء نسائنا تسفك ، ونحن نضحك ونتلهى .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إيمان وإسلام

كفانا رقادا ، كفانا تشتتا ، علينا بإعادة الماضي ، علينا بإجبار المتخاذلين على العودة لكلمة الله وسنة رسول الله ، حتى نحقق ما قاله الله عز وجل وعلا فينا في قرآنه العظيم ؛ إذ خاطبنا بقوله :

«كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

وما دمنا نؤمن بالله ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، فلنتذكر أمجادنا ، ونهيئ أجيالنا الصاعدة للعمل المستقيم ، على الصراط المستقيم ، نسأل الله تعالى الهداية والرشاد :

والسلام عليكم ورحمة الله .

احمد توفيق المدني
عضو المجمع من الجزائر

تحية المؤتمر

للأستاذ محمد عبد الغني حسن (*)

سيدى نائب رئيس الوزراء :

سيدى رئيس المجمع :

زملائى الأعزاء : : سادتى :

كنت أخشى أن تكون كبرة من السن قد علتنى لتعوقنى عن أن ألقى قصيدتى كما يجب أن يكون الإلقاء ، ولكن صديقى المجاهد العربى الثائر أمدنى بحماسته وحميته وشجاعته التى لاتنسى ؛ فقد سجل تاريخه الوطنى العظيم كفاحه لتحرير الجزائر ، واستحق أن يكون رئيسا للجنة تحرير الجزائر إبان القنبلة الأولى لحركة تحرير ذلك القطر الشقيق فأنا أستمد منه الحماسة ، وإشارته الكريمة إلى أن نتخلى عن الفعل « كان » إلى الفعل «صار» ذكرتنى بقول شاعرنا الكريم :

إن الفتى من يقول هأنذا
ليس الفتى من يقول كان أبى

على كل حال أستميحكم العذر فى هذه الثوانى لأبدأ فى إلقاء تحيتى للمؤتمر :

اقبلوا من نحو نجد ريحها

زينوا « النيل » بأعلام « الفرات » ... هذه « دجلة » فى حضن « القناة »
ودنا الصاحب من صاحبـــــه ... بعد هجـر عارم الموجـة ، عاتى
والتقى الأحباب فى مـــؤتمر ... فيه من نور الهـدى بعض السمات
موكب قد حف فى روعتـــه ... بميامين على الفصحى ، هـــداة
هـم أسـاة الجرح فيما مسنا ... وهمو فوق اختلاف النزعـــات
فيهمو من مشرق الأرض شذا ... ومن المغرب بعض النسمات
وبهم من شيح (نجد) أرج ... ومن القيصوم بعض النفحـات :
وعليهم سمت مجـد تالد ... عربى الوجـــه ، حلو القسمات .:

* * *

(*) ألقيت فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

أيهـا النزال في منزلنـا الـ ـــوسع البهو ، الأنيق الحجرات
منزل قام على « النيل » كما قام في المحراب شيخ للصلاة
ترتمي شمس الضحى في حضنه وتحييـه بأشهى القبـلات
فيناديها : املأى الدنيا سنا واسكبيه فضة في شرفاتي
شرف العلم بكم في داره واجتلى طلعتكم (بيت النحاة)
قد حللتم فيه أسنى موضع ونزلتم منه أسمى الـدرجات
ثم كنتم أول الغيث بـه فالحيا أوله من قطـرات

* * *

يالـه عامـا تولى بالذى هزنا من عسر ، أو عبرات
وسقانا الـدهر من كاسيه ما فقـد السمار من رفـق السقاة
وعلى الحالين لم نجزع ، ولم نفقد الآمال في الحظ المواتي
ثقـة أن الـذى وفقنـا في العشيات كفيـل بالغداة
من يُضَيِّعْ أملا في دهره لم يعد يوما خليقا بالحياة

* * *

انقضى العام بنا في دورة حفلت فينا بشتى الـذكريات
فتلقينـا المساعات بها : وغنمنـا ما بها من حسنات
وقبلناهـا على علاتها ببشاشات الرضى والبسمات
وشهدنا صورا في عالم ما طـر ، مختنق بالأزمات
من أشقـاء تجافى بعضهم لأوداء لهم غير جفـاة
وبـنى ديـن عظيم واحـد أججـوا ما بينهم حرب الغلاة
وصفوف لم توحد رايـة لملاقاة طغـاة ، وبغـاة
وغنى غـارق في تخمـة وفقـير يتلهى بالفتـات
وأخ يعدو على حـق أخ وقـوى عابث بالحـرمات
ومضل مرتد زى الهـدى وشـقى لابس ثوب التقـاة
وضحايا بعثرت أشـلاؤهم بيد الغـدر وطغـان الطغـاة
بوغتوا في ليـل بيروت على هجمـة كانت أخس الهجمات
لم تدع شيخا ، ولا طفلا ، ولا امـ (م) ـرأة إلا ضحـايا الطعنـات
ومـزايا لم تنـل إلا علـى فوهة المدفع ، أو حـد الظبات

ورأينـــا الحـــق إن لم نحمـــه   قـــوة يقضى عليـــه بالممـــات
وحملنـــا الرزء فى صحب لنـــا   ادعوا أكبـــادنا بالجمرات
(فعلى)[1] ، و (زكى) وليـــا   ومضى (الصياد) فى غير أنـــاة
تركوا (المجمع) منهم خاليـــا   موحش الطلعة ، جهم القسمات
أوحش (المجمع) منهم . . ومضوا   فى رحـــاب الله رحب الرحمـــات
نحن فى الدنيـــا حطـــام زائل   ورفـــات سـائر فـــوق رفـــات

* * *

لا عتب على الدهـــر ، ولا   أمـــل فيـــه يُرَجَّى للنجـــاة
زمنـــا الأيام لا ينفعنـــا   ليس نجنى منه غير الحسرات
وخطـــوب الدهـــر لا يدفعهـــا   شجن القـــلب ، ولا بث الشكـــاة

* * *

نحن فى الله اعتقـــاد راسخ   ويقـــين ثـــابت أى ثبـــات
أو لم يكف انبهـــارا أننـــا   قـــد تخطينا ضروب العقبات ؟
أو لم يـــكف افتخـــارا أننـــا   قد سمونا فوق بعض الترّهات ؟
أو لم يكف اعتبـــارا أننـــا   لم ننح مافات ، أو نفرح بآتى ؟
أو لم يكف انتصـــارا أننـــا   استعدنا الأرض من أيدى الغزاة ؟
وفعلنـــا فى نهـــار واحـــد   كل مالم نستطع فى سنوات ؟
وحملنـــا حملة الصـــقر على   ما أعدوا من صقور وبزاة ؟
واخترقنـــا خـــط برليف بمـــا   حملت ذراتـــه من مخزيات
فغسلنـــا العـــار عن تاريخنـــا   وملأناه بأسـنى الصفحـــات
فيم نبكى ، والمـــنى باسمـــة   والأمانى حفـــل بالضحكات ؟
فـــدعونـــا فى تلاقينـــا هنـــا   ننس مـــا ذقنـــاه من مر الشتات
إخوة نحـــن على رغـــم الـــذى   قـــام فيما بيننا من نزغـــات
اختـــلاف الرأى لا يفســـد مـــا   بين إخوان الصـــفا من حرمـــات

---

(١) هم المرحومون الزملاء الأعضاء الراحلون فى العام الماضي : الأستاذ على النجدى ناصف ، والأستاذ محمد زكى عبد القادر ، والدكتور محمد محمود الصياد .

كيف تنسينا خلافات الرؤى ... ما أقام الله فينا من صلات ؟
صلة القربى التى تربطنا ... هى أقوى ما لنا من قربات
فانشدوها تحت أفياء الربى ... وارصدوها فى امتداد الفلوات
واسمعوا صوت الملبين بها ... فى (منى) ، أو فى الذرا من (عرفات)
واحفظوها فى أهازيج « اللوى » ... والقفوها فى أراجيز الحداة
واقبلوا من نحو « نجد » ريحها ... وهى ريا بأرق النسمات
وانشقوا أنفاسها من (بردى) ... وعلى الضفة من شط (الفرات)
واذكروا فى وثبة الليث بها ... وثبة الأحرار فى مصر القناة

* * *

لغة الضاد التى تجمعنا ... فى حروف حرة ، أو كلمات
هى من نبض قلوب حية ... وهى من وحى عقول نيرات
وهى من إلهام فكر مبدع ... مشرق اللمحة ، سامى الخطوات
لم تضق يوما بمعنى رائع ... لا ، ولا أعيت على وصف الصفات
نجد الدقة فيما أبدعت ... والغنى فيما حوت من ثروات
وهبت للعلم ما تملكه ... من أداء طيع ، أو من أداة
لم تغب عنها المعانى حفلا ... فى مسار النور ، أو فى الظلمات
صعدت للنجم تستوضحه ... وانبرت للعمق فى جذر النبات
وأتت للطب تستهدى به ... ما حوت أنفسنا من معجزات
ومضت تسدى إلى الدنيا يدا ... يوم كان الغرب يحيا فى سبات
تنشر النور بأنحاء الدنا ... وتبث الضوء فى كل الجهات
وهى فى كل مجال للنهى ... أصبحت فوق مجال الشبهات
نزل القرآن مسطورا بها ... بين الآيات ، طهر النيرات
يزخر التنزيل فيه بالهدى ... ويفيض الذكر منه بالعظات
حفظ الله به عزتها ... وتولاها بأنصار حماة
ووقاها اللغو فى منطقها ... فهى من مولدها « أم اللغات »

* * *

التقينا اليوم فى مؤتمر ... حافل مزدحم بالطيبات
فهو مرجو لما نأمله ... من غراس واعد بالثمرات
وهو مأمول لتوحيد الخطى ... فى طريق زاخر بالتبعات
وهو توثيق خطى ماضية ... وانطلاق لسديد الخطوات

محمد عبد الغنى حسين
عضو المجمع

البحوث

لغة الصحافة فى بلاد الشام

للدكتور عدنان الخطيب

١ – تمهيد :

قبل أن أبدأ حديثى عن « لغة الصحافة» وأنا لست من رجالها ، يجدر بى أن أنوه بالمحاضرة التى أتحفنا بها قبل عامين أحد بقية السلف من شيوخ الصحافة المصرية الزميل المحترم محمد زكى عبد القادر وقد افتقدناه فى نهاية مؤتمرنا السابق تغمده الله بواسع رحمته .

لقد اضطر فقيدنا الكبير إلى الإفاضة فى الكلام عن لغة الصحافة المصرية فى عهدها الذهبى ، أيام روادها الأعلام ؛ ليصل إلى الكلام عن «العهود التى أخذت فيها لغة الصحافة بالتدنى ، وهى تعنى بالخبر الجديد وبالقصص المثيرة أكثر من عنايتها باللفظ الفصيح والأسلوب الرفيع »[١].

يومها قلت للزميل العزيز : « لو اضطر أى عربى بعدك إلى الكلام عن لغة الصحافة فى بلاده ، لما جاء بأكثر مما حدثتنا به ؛ لأن صحافة مصر بالنسبة إلى صحافة سائر الأقطار هى كمصر نفسها : الرائدة والمثل المحتذى وغيرها عيال عليها » .

وإذا كان الكلام عن لغة الصحافة فى مصر ، يغنى عن الكلام على صحافة غيرها عامة ، فهو أشد غناء بالنسبة لصحافة بلاد الشام خاصة ، فهما توأمان عاشا فترات طويلة يتبادلان المحررين ؛ مشتركين فى الطموح والآمال على أنهما يتصاولان إذا ما أفسد بينهما الزمان .

وفى هذه الأيام تكاد تكون لغة الصحافتين واحدة ؛ لأن موضوعاتهما الرئيسة أو الرئيسية (نسبة إلى رئيس كل قطر) هى واحدة تعالج باللغة نفسها فى نصاعة أساليبها أو أعجميتها أو ركاكتها ، وإن اختلفت كل واحدة عن الأخرى فى آرائها واتجاهاتها ، فكلها تقريبا تدور حول « كارثة فلسطين » وما يتصل بها من موضوعات ، إضافة إلى أن غالبية العاملين فى الصحافة اليوم هم من مثقفى العصر المتخرجين فى الجامعات

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ٩ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢٢ من فبراير ١٩٨٣ م) .

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٨١ عدنان الخطيب مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى .

التربية وبرامج هذه الجامعات متماثلة ومستوى الخريجين فيها يكاد يكون متقارباً .
على أنى سأتجنب فى حديثى الكلام عن ماضى الصحافة وتاريخها ؛ لأسرع فى الانتهاء إلى الغاية المتوخاة من البحث، وسأكتفى بذكر سببين من أسباب دفاعنا عن الفصحى وحرصنا على التزام الصحافة بها وبالأساليب العربية السليمة ، أحدهما يهم الكتاب أنفسهم بشكل خاص ، والآخر يهم العرب كل العرب .

السبب الأول : يكمن فى جواب جاء على لسان أستاذ جامعى معروف يوم سئل : هل قرأت رواية الأديب السودانى المرموق الطيب صالح الجديدة ، فقال : « اشتريتها من سنوات وحاولت قراءتها فوقفت كثرة العبارات السودانية الدارجة فى الحوار عقبة بينى وبين إتمام قراءتها » (1)

السبب الثانى : جاء فى حوار مع أديب فلسطينى مكافح كان يكتب بالعامية قال : « . . عندما بدأت أكتب ، كان يهمنى أن أكتب ، ولم أكن أعنى مثل الكثيرين باللغة وقد كنت أبرر عدم العناية باللغة بـ (الثورية) . . فما دمت أثور على اللغة ولا أهتم بقواعدها ، فلماذا أتعامل معها ؟ ولماذا أيضا أهتم بترتيب الجمل والفقرات ؟ » وبعد أن ذكر كيف تكشفت له حقائق المؤامرات على العربية — وهدفها تجزئة الوطن العربى إلى شعوب يتعصب كل واحد منها إلى لهجته—قال : « لقد تعلمت من ناقد عربى أن الكتابة بلغة صحيحة هى التى تخدم القضية ، ولقد عمدت منذ ذلك الوقت وحتى الآن إلى تطوير أدواتى . . . إننى أتعلم ، وإننى مصر على التعليم ؛ لأننى فعلا أريد أن (أنقل) قضيتى إلى الناس » .

٢ — الصحافة بين عهدين :

يكاد الكتاب والمؤرخون والغيارى على الفصحى يجمعون على أن الصحافة العربية — بصورة عامة— اجتازت عصراً زاهيا من عصورها نما وازدهر فى أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) إلى عصر جديد مازال يلفها حتى اليوم .

كما أنهم يتفقون على أن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٤)— وإن حدت من نشاط الصحافة وعاقت تطورها — لم تقطع مسيرتها ؛ إذ استأنفت نشاطها وتطورها السريع بمجرد أن آذنت الحرب على الانتهاء .

وعندما رغبت فى تحديد التاريخ الفاصل بين العهدين لم أجد المعالم واضحة فى أول الأمر . فنقبت فى جذاذات أحتفظ بها فعثرت على خبر نشرته صحيفة شامية غير سورية ونصه كما يأتى :

وزارة الاعلام السورية

تعيد زميلا إلى عمله

(1) انظر على الراعى فى مجلة العربى عدد يونيو ١٩٧٨ الكويت .

دمشق : أصدر معاون وزير الإعلام فى الجمهورية العربية السورية قرارا بإعادة الزميل الأستاذ ن . ح إلى وظيفته فى الوزارة بعد أن أصدرت المحكمة الإدارية العليا فى مجلس الدولة حكما يقضى بإلغاء القرار الذى صدر عام ١٩٦٨ بتسريحه ، وذلك لعدم وجود مبرر لإصداره من الناحيتين القانونية والمسلكية ودفع حقوقه كاملة عن فترة التسريح :

فنهنىء الزميل ونبعث بتحية إعجاب وتقدير إلى القضاء[١] ٥

وبالخبر المذكور أمسكت ملاك الفصل الذى أريد بين العهدين ، فقد كنت أعرف شخصيا الصحافى الذى ورد اسمه فى الخبر .

كان رحمه الله رجلا طيبا حسن السمعة غير موسع عليه فى الرزق إلا أنى أجهل كيف أصبح صاحب صحيفة والمسؤول عن تحريرها هل الصحافة استهوته شابا فامتهنها أم أنه لم يجد غيرها مهنة تؤمن له معاشه ، فأصبح محرراً ثم تمكن من إصدار صحيفة باسم المحافظة التى ينتسب إليها وهى تبعد عن دمشق عشرات الكيلومترات .

وبعد سنوات عديدة استيقظ ذات يوم ليجد مكتب صحيفته مغلقا ويجد نفسه موظفا صغيرا فى إحدى زوايا وزارة الإعلام بدمشق ، لا يعرف عملا محددا يتوجب عليه إنجازه ولا رئيسا واحدا يسبح بحمده ، وضاقت نفسه بما آلت إليه حاله فأخذ يناجيها متذمرا ، وسمعت الآذان نفثات صدره وفى الصباح أدركه « التطهير » ليجد نفسه كهلا مسرحا من عمله يجوب الطرقات على غير هدى .

وعندما قرأت الخبر المذكور ذكرت « القانون » الذى استخدم لاقتلاع ذلك الصحافى العصامى من عمل حر ارتضاه بنفسه ليصبح بعده شيئا لا رأى له ولا كرامة .

وعدت إلى القانون أسائله عن تاريخ صدوره والأسباب الموجبة التى صنعت له؟

فإذا بى أمام مجموعة من القوانين صدرت متتابعة فى سنوات عقد أو يزيد بدءا من نهاية النصف الأول من هذا القرن أصدرتها عصبة من الثائرين أطاحوا بالنظام القديم محتجين بأنه نظام بال يعجز عن حماية البلاد وقد زرع أعداؤها فى قلبها جسما غريبا لا يدفع أذاه إلا حازم عنيد[٢] .

٣ ـ لغة الصحافة وأثر النظام السياسى فيها :

إن الصحافة بطبيعة نشوئها وبحكم وظيفتها الحضارية لا تزدهر ولا تؤدى خدماتها على الوجه الأكمل إلا إذا كانت حرة

---

(١) انظر صحيفة الأنباء بيروت نوفبر ١٩٧١

(٢) وقع أول انقلاب عسكرى فى سورية فى مارس سنة ١٩٤٩ وتلاه آخر بعد أشهر ثم تتالت الانقلابات .

تتبارى فى كشف الحقائق ، وتتنافس فى فى تقديم ما يعود على بلادها وقرائها بالفائدة ولهذا كانت شديدة التأثر بشكل النظام السياسى الذى تصدر فى ظله .

وحديثى اليوم عن لغة الصحافة يشمل صحافة جميع الأقطار الشامية وإن كانت ذات أنظمة سياسية مختلفة وتحكمها قوانين متباينة إضافة إلى أن حد السلطات الحاكمة لحرياتها على تفاوت كبير بينها ؛ إذ يقتصر فى بعضها على مجرد التوجيه والتحذير بينما بلغ فى فى غيرها حد درجة استلحاق المؤسسات الصحافية كلها بأجهزة الدولة .ويستثنى لبنان العربى من كل هذا ؛ إذ كانت صحافته حرة بكل أبعاد الحرية حتى وقع مضرجا بدماء أبنائه إلا أن لغة الصحافة فيها تكاد تكون واحدة بحكم الجوار والروابط المتينة بين سكانها وتقارب التفكير القانونى فيما بينها . أما صحافة فلسطين الذبيحة ، فأنا لا أعرف شيئا عنها سوى ما قد أسمعه من مقتطفات كتبت فيها بلغة تعدل لغة الصحافة فى سائر الأقطار وإن كانت تتجلى وكأن غلالة من اليأس والقنوط ترين عليها .

٤ ــ سلطان الفصحى والشعر الأصيل :

طغت على الصحافة المستلحقة لغة تشبه الدواوين فيها الحذر من التبعة والخوف من المسؤوليات أمام الرؤساء، واعتاد الناس عليها وعلى ما ينشر فيها من أدب وشعر حديث غير أن سلطان الفصحى المشرقة والشعر الموزون الأصيل لم يضعف عندهم، فتراهم يفتشون عنها سرا وجهارا دون وساطة الصحافة .

ويوم منى العرب بالهزيمة الكبرى فى الحرب مع إسرائيل طلع شاعر العربية العملاق بدوى الجبل علينا برائعته « من وحى الهزيمة » فتردد صداها فى الوطن من خليجه إلى محيطه قبل أن تجرؤ صحيفة واحدة على نشرها .

وكان مما جاء فى تلك القصيدة الطويلة أبيات ثلاثة مشرقة ألفاظها بليغة فيما ترمى إليه . قال الشاعر :

نحن موتى : وشر ما ابتدع الطغــ
ــيان موتى على الدروب تسير
نحن موتى يسر جار لجار
مستريبا : متى يكون النشور
ارجعوا للشعوب ياحاكميها
لن يفيد التهويل والتغرير

وتضم المكتبة العربية اليوم عشرات من الكتب تؤرخ لتلك الفاجعة وتفصل ملابساتها وتبحث فى أسبابها على شكل مذكرات واعترافات أو روايات وقصص تكشف بعض المعميات أو تفضح شيئاً من أسرار الكارثة ، وشاهد الكثيرون فى مختلف أقطار الوطن العربى عدداً من هذه الروايات تمثيلا على الشاشة أو المسرح بلغة أثقلتها التوريات والإيماءات ، كما أن كتاب الصحف العربية الحرة التى تصدر فى مهاجرها مازالوا

إلى اليوم يدبجون المقالات التى يقبل الناس على قراءتها ويرتاحون بالحديث عنها ، دون أن يفقدوا النشوة العارمة إذا ما استمعوا إلى الأبيات الثلاثة المذكورة :

٥ ـ هجرة الصحافة :

لابد لى من أن أتطرق وأنا أتحدث عن « لغة الصحافة » إلى ظاهرة غريبة تمت فى سنوات العقود الأخيرة الماضية ؛ فقد نزحت عن الوطن العربى نخبة من شباب رجال الصحافة ميممة وجهها شطر البلاد الأوربية ، ولم نلبث بعد رحيلها حيناً من الدهر ، حتى وافتنا صحف عربية محررة بأقلام بعض أفراد تلك النخبة ، تطبع وتصدر عن إحدى عواصم الدول التى استقر فيها المحررون وقد أطلق الناس على مجموعها اسم « الصحافة المهاجرة »

ويجدر بنا أن نتساءل عن الأسباب التى دفعت بصحف عربية إلى هجر أوطانها لتعود إلى قرائها فى الوطن العربية محملة إياهم نفقات قد تمنع فئات كثيرة منهم من شرائها .

أنا لا أستطيع الإجابة عن هذا التساؤل بأفضل مما قرأه الناس فى بعض تلك الصحف ، وإنى مجتزئ مما كتب بالنبذة الحديثة التالية :

أورد صحافى شاب فى مقالة له ، قصة معاوية بن أبى سفيان مع الرجل الذى ظل صامتاً فى مجلسه بعد أن تكلم جميع من فيه ، فطلب منه معاوية أن يتكلم فقال :

ـ والله يا أمير المؤمنين إنى أخشى الله إن كذبت ، وأخشاكم إن صدقت .

وأردف الصحافى يقول« . . . سبق لنا أن أطلقنا كذبة كبرى على القارئ ، قلنا فيها : إننا حضرنا إلى هنا لنقول ما نريد ، والأرجح أيها السادة أننا جئنا إلى باريس لنعيش كما نريد . ومن هذا المنطلق لسنا مستعدين أن نموت فى سبيل أن نقدم للقارئ رأياً صحفياً نعتقد أنه الصحيح ؛ فمعظم الأنظمة العربية تملك الاستعداد الكافى «لتصفية» أى صحافى يقول نصف الحقيقة ، فما بالك بالحقيقة كلها . . . » (١).

٦ ـ اللغة فى الصحافة المهاجرة :

تتنافس الصحف المهاجرة فى الادعاء باستقلاليتها عن أى نزعة غير قومية وفى نفى ارتباطها بأى نظام عربى محدد ، وبأنها تعرض على الناس الحقائق التى تراها أو تتصل بها إذا كانت تدعم المصلحة العربية ، وتساهم فى توحيد الصف العربى فى مواجهة الأعداء والطامعين الغرباء فى بلاد العرب وثرواتهم الطبيعية .

على أن محررى تلك الصحف يبقون حذرين فيما يكتبون ، شديدى الحيطة فى عرض آرائهم وما يزعمون أنه هو الحقيقة ؛ وما ذلك إلا

---

(١) انظر مقال ياسر عبد ربه فى صفحة حرة من مجلة المستقبل عدد ٣٠٧ صادرت فى باريس يوم ٨ يناير ١٩٨٣

خوفاً من منع تداول صحفهم أو تمزيق صفحات منها كما يجرى ذلك فى أقطار كثيرة .

أما كتاب الصحافة المهاجرة من داخل الوطن العربى فإنهم يلجأون إلى التعمية والتورية وإلى الاستعارة والمجاز يملأون بها كتاباتهم التى تنطق فيها الحيوانات بالحكم والأمثال وتصف معاناتها الرهيبة من ظلم الإنسان لها .

لقد التقطت نبذاً صغيرة مما نشرته صحيفة واحدة من المهاجرات أعرضها عليكم ؛ تسجيلاً لهذه المرحلة من تأثر اللغة العربية بالواقع العربى المؤلم فيما يلى :

١ – قال كاتب مرموق فى مقال له مايلى :

« . . . وبين ضجيج السيارات وزحام المارة التقيته على غير توقع ، قطا منزلياً وجيهاً ، تضاءل حجمه واتسخ وبره وتباطأت خطواته ، ولما كان معروفاً لدىّ بالشهامة والكبرياء وعزة النفس ، استغربت وجوده مختبئاً فى أحد صناديق القمامة ، ولما اقتربت منه مستوضحاً قال ، وهو يدفن وجهه بين قائمتيه الأماميتين :

– ابتعد عنى أرجوك إننى مراقب .

– ممن ؟

– من الفئران . . وأعفنى من التفاصيل خوفاً من ضربة مكنسة ، أو عظمة كاتمة للصوت من أول الحديث ، ودعنا فى العموميات ؛ لأن مشكلتى عامة لا ترتبط بزمان معين أو مطبخ معين ، وكل ما فى الأمر أننى كقطط أينما سرت وأنّى قفزت فى هذا الوطن العربى الكريم ، أرى الدموع تلألأ فى كل مكان وأشم رائحة الدم فى كل زاوية . . . »(١)

٢ – شاعر عربى مرموق ، يتهافت الشباب فى أنحاء الوطن العربى على قراءته يكتب فى السياسة ، على طريقته الخاصة نثراً يصور فيه حال الإنسان العربى فى وطنه ، وكتب مؤخراً عريضة على لسان الأغنام ، هذا مطلعها : « نحن – الأغنام العربية – الموقعة بحوافرها أدناه ، بعد التوكل على ألطاف الله سبحانه وتعالى ، وكتابة وصيتنا ، والتأمين على رؤوسنا ضد القطع لدى شركة أميركان لايف إنشورنس . . قررنا أن نكتب فى شؤوننا (الغنمية) إلى سيدنا السلطان . . . . . وزوجته قمر الزمان . . .

نرجو قبل كل شيء أن تسامحونا على رداءة خطنا . . وضعفنا فى قواعد اللغة العربية . . . .

فنحن – كما سبق أن قلنا فى أول هذا الاستدعاء – نكتب بحوافرنا . . . لأنكم صادرتم كل دفاتر الكتابة ، وكل أقلام الحبر السائل والناشف الموجود فى السوق واعتبرتموها من المواد الكمالية . . كالعطور . . والمشدات . . ورافعات النهود . . ثم نرجو أن تغفروا

---

(١) انظر محمد الماغوط . صحيفة المستقبل عدد ٣٠٧ باريس فى ٨ يناير ١٩٨٣

لنا ضعفنا فى الصرف والنحو والإملاء لثلاثة أسباب :

أولا : لأن غلاء الأقساط المدرسية لايسمح لنا بالذهاب إلى المدرسة لاستكمال تعليمنا .

ثانياً : لأننا نكدح ليلا ونهاراً لتأمين علفنا اليومى .

ثالثاً : (وهو السبب الأهم) لأن الفصاحة ليست مطلوبة فى الوقت الحاضر ، لأن كل فصيح هو عميل حتى يثبت براءته . . . »(١)

٣ — ويبدو أن حذر محررى الصحيفة وأسلوب كتابها الساخرين لم يحولا دون بقائها فى منجاة من الخوف على نفسها مما جعل المسؤول عن التحرير يبادر فى العدد الأخير إلى نشر خبر فى صفحته الأولى يقول فيه :

« أصدرت السلطات التركية مرسوماً يقضى بمنع إطلاق اللحى والشوارب بصورة مبالغ فيها . . فى الجامعات » .

وبعد أن ذكر الأسباب التى دفعت السلطات التركية إلى الأمر المشار إليه ، علق على الخبر قائلا :

« . . . كى لا يفاجأ القراء — إذا استمر الضغط على الصحافة العربية — سنلجأ نحن إلى أسلوب اللحى والشوارب ، فنكتفى مثلا — إذا أردنا أن نعبر عن اعتراضنا على موضوع معين — أن نضع عنوان الموضوع على رأس الصفحة ، ثم نرسم شارباً مرتفعاً إلى أعلى . . وفى الصفحة المؤيدة لموضوع ما نرسم لحية رفيعة . أما إذا كنا لا معترضين ولا راضين فنرسم شارباً مستوياً ، ونترك اللحية للصفحة التى بلا رأى . . »(٢)

٧ — الصحافة والدعوة الى العامية :

يعتقد كثير من الباحثين بأن الدعوة إلى العامية ، التى كان لها فى مصر وأقطار عربية أخرى تاريخ دونه مؤرخون يهتمون بالفصحى قد ضعفت فى أواخر العهد الزاهر للصحافة ثم إنها بدأت تسترد قواها مع بدء العهد الذى تلاه ، تعينها فى ذلك الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام ، حتى باتت الفصحى والأخطار تهددها اليوم من كل حدب وصوب .

إن هذا الاعتقاد يحمل جانبا كبيرا من الحقيقة ، لأن الواقع يثبت أن تلك الدعوة الخبيثة التى كانت وليدة حرية الصحافة ، قويت يوم كانت مزدهرة غير أنها لم تضعف بعد ذلك فى أى قطر من الأقطار العربية ، ولكنها استكانت وارتدت إلى أوكارها أمام قوة خصومها ودعم الرأى العام لهم ، فلما دب الضعف فى صفوف أنصار الفصحى بخفوت الغيرة عليها عند الجماهير ، عادت الدعوة إلى الظهور والنشاط تحميها ثياب جديدة باسم (حرية الرأى والتعبير)

---

(١) انظر نزار قبانى . صحيفة المستقبل عدد رقم ٣٠١ الصادر فى باريس يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٨٣

(٢) انظر مجلة المستقبل العدد ٣٠٩ الصادر فى باريس بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٨٣

أو (إحياء التراث والفنون الشعبية) أو (تشجيع الناشئة والطلائعية التقدمية) .

وخير دليل على هذا أن الدعوة إلى العامية كانت وما زالت قوية فى لبنان بلد الصحافة الحرة ، غير أن قوتها لم تزدد إلا بمقدار الضعف الذى حل بالمتصدين لها ، المنافحين عن الفصحى ، الأمر الذى دفع جيلا جديداً من أنصارها إلى دعوة جديدة باسم « اللغة العربية الحديثة » .

٨ ـ اللغة المحكية :

قامت فى السنوات الأخيرة فى لبنان بدعة جديدة تدعو إلى العامية المحكية ، والاختلاف بين الدعوتين جاء على لسان صاحب الدعوة الجديدة ، إذ قال :

« الفرق شاسع وأساسى ، فهم كتبوا ويكتبون بلهجة محلية ، وأما أنا فأكتب بلغة عربية حديثة ، أى بلغة أعترف بما طرأ عليها على ألسنة المتكلمين بها من تغيير وتحسين ، فيكفى مثلا أن نلغى حركات الإعراب لنطرح عن كاهلنا وكاهل أبنائنا وأجيالنا الطالعة حملا ثقيلا لم يعد بإمكاننا ولا يجوز على الإطلاق أن نتمسك به ، فإذا كنا نتكلم ونتفاهم بدون إعراب فلماذا الإعراب إذن ؟

وهكذا قل عن أسماء الموصول والإشارة وعن المثنى ونون الإناث وسواها من الضمائر التى سقطت من اللغة التى نتكلم بها.

والدليل الساطع على حكمة الحياة فى فى طرح مالا لزوم له هو أن الذى طرحته من اللغة العربية لا يقتصر على بلد عربى دون آخر من الخليج إلى المحيط . فلا إعراب مثلا حتى فى منشأ اللغة العربية ومهدها » (١)

« وعندما سئل صاحب هذه البدعة عن ما يعتقده فى صداها لدى مجامع اللغة قال :

أولا : هذه اللغة ليست لغتى فهى لغة الشعب الذى يتكلم بها .

وثانياً : إن هذا الشعب هو فوق المجامع وفوق المراجع وفوق القوانين والأنظمة : ولا يقدر أحد أن يفرض عليه شيئا أو يمنعه من أن يأخذ بما يشاء ، وخصوصا بالنسبة إلى اللغة ، لأن اللغة إذا خرجت على اللسان فلا يمكن ان تعود اليه . فلو بقينا مليون سنة نعلم أبناءنا اللغة العربية القديمة فلن يتكلموا بها أبدا »(٢) .

وكان قد سبق لصاحب البدعة الجديدة نفسه أن كتب : « ..... كيف ممكن يصير العقل حديث من دون لغة حديثة ؟ اللغة أكبر مشكلة عمبيواجهها العرب . ومن دون حل مشكلة اللغة باعتماد المحكية ما بيتحرر العقل العربى ، ولا بيتقدم الإنسان العربى حتى يتغلب على مشكلة إسرائيل ...... »(٣) .

---

(١) انظر يوسف الخال فى صحيفة « الأسبوع العربى » بيروت فى ١ يونيو ١٩٨١

(٢) المصدر نفسه .   (٣) انظر صحيفة النهار العربى والدولى بيروت فى ٢٠ أكتوبر ١٩٨٠

وبالرغم من أن الدعوة إلى العامية تعيش فى لبنان ، الغالى على الأمة العربية، إلا أن أنصاروها ينفثون سمومها بصحافته القوية المتقدمة المقروءة فى سائر الأقطار العربية ، حتى أصبح للعامية أنصار فى صحافة أشد الأقطار تعصبا للفصحى ، يستغلون شعارات (التحرير والتحديث) فيدسون مثل قولهم : «... إن لغة الناس كانت غير لغة السادة ، لغة ديوان الخليفة، كانت متأنقة مترفة رصينة لماعة ، ولكن اللغة كانت تتطور داخليا ، تتخمر حتى وصلت دائما إلى مراحل عصت أوامر السلفيين ؛أى التقليديين ، وقفزت إلى مستوى جديد كل الجدة ، ومن هذا المنظور يمكن أن نفهم كيف سقطت حركات الإعراب من هذه اللغة أو تلك ، وكيف تحولت العامية إلى لغة قومية ... [1] ».

أو أنهم باسم الحفاظ على التراث الشعبى يسجلون مثل هذا المطلع لقصة محلية : «وقعت بالأمس فى حارتنا حادثة تموت الواحد من الضحك ذلك أن حمدان فسفسة الذى يعمل زبالا فى قميل[2] الحمام خرج من منزله متوجها لأول مرة فى حياته إلى مدرسة الحارة ممتطيا ظهر البغل الذى يحمله طيلة النهار أكوام القمامة، يضرب جنبى البغل بحبل الرسن هاتفا بهحا يا بغل حا... [3]».

٩ ـ تقارض الاهتمام بين المجمع والصحافة

دأب مؤتمر مجمع اللغة العربية على اختتام أعماله السنوية بمقررات عامة وكان يخص الصحافة العربية ببعضها وهو يوصيها دائما «بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، مقدرا لها ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية» داعيا إياها إلى « الاهتمام بما يقرره المجمع وما يطبعه ».

لا شك عندى بأن الصحافة العربية ــ بصورة عامة ــ تكن للمجمعيين فى مجموعهم كل تقدير واحترام ، ولكنها تبعا لطبيعتها تعنى دائما ــ مع الأسف ــ بالجانب الإخبارى لاجتماعاتهم ومؤتمراتهم ، أكثر من عنايتها بالجانب الموضوعى لأبحاثهم ومقرراتهم .

كما كانت بعض لجان المجمع تتابع الصحافة فيما تستخدمه من ألفاظ لمدلولات مستحدثة ، وتلاحق الأساليب غير الفصيحة أو غير العربية التى ترددها الصحافة فى الموضوعات التى تنقلها عن اللغات الأجنبية بسرعة فائقة ، وتحاول جاهدة فى مؤتمر المجمع السنوى ، ليقر ما ترى له وجها من ألفاظ لمدلولاتها المتداولة بين الناس ، أو ليجيز بعض الأساليب التى تمكنت من تخريجها على وجه يحشرها فى الأساليب العربية المقبولة .

---

(١) انظر صحيفة تشرين دمشق فى ٦ فبراير ١٩٨٣

(٢) القميل بتشديد الميم عند العامة فى حلب هو القمين عند العامة فى مصر والقميم عند عامة أهل الشام والأخير أقربها للفصحى .

(٣) انظر « مقصد العاصى » من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ١٩٨٢

فما هو صدى التوصيات التى يصدرها المؤتمر سنويا فى الصحافة العربية ؟ وما هو موقفها من مقررات المجمع ولجانه ومن مطبوعاته عندما تصدر ؟

لقد لاحظت أن الصحافة زادت من اهتمامها بأمر اللغة فى السنوات الأخيرة ، ولا تخلو اليوم الصفحات التى خصصتها للثقافة والآداب من بحث أو أكثر فى موضوع لغوى ، وإنك لتجد فى الصحف السياسية التى تصدر فى دمشق زاوية دائمة تكاد تكون يومية تحت اسم « نافذة على اللغة » [1] أو « لغتنا الجميلة » [2] أو «لغة العرب» [3]

وقد لا تخلو الصحف أحيانا من تعليقات على مقررات المجمع ؛ تعليقات قد تكون إشادة بهذه المقررات أو ثناء عليها ، وقد تكون مصحوبة بنقد لها أو غمز فيها . وفى بعض الحالات تجد التعليق مبنيا على توهم أو فكرة مبتدعة لا صحة لها ، وغالبا ما يكون الرد على أمثال هذه التعليقات غير مفيد .

وأود أن أسجل هنا ما وقعت عليه فى صحافة الأقطار الشامية خلال السنوات الخمس الماضية فى النبذتين الآتيتين :

النبذة الأولى : كان تعليق الصحافة على توصيات المؤتمر ضعيفا تبعا للواقع السياسى السائد بين مختلف الأقطار العربية ، وفيما يلى مقتطفات من كل تعليق :

١ ــ نشرت صحيفة تصدر فى لبنان مقالا تهكميا عقب مؤتمر سنة ١٩٧٨ جاء فيه : [4] « تستنفد أعمال مجمع اللغة العربية بمقر رواد تعريب المفردات الأعجمية فى الجيزة نصف أيام شهر آذار (مارس) من كل سنة . أربع وأربعون سنة كرست هذا التقليد ؛ ولذلك شهدت خلال الشهر الماضى القاعة الكبرى للجامعة العربية جلسة الافتتاح الأولى العلنية بالخطب المناسبة التى توالى على إلقائها عدد من الخالدين ،

قيل إن ألف تسمية أعجمية تناولها التعديل اللغوى .... هذه كانت حصيلة إنجازات الخالدين على صعيد تطويق محاولات غزو الألفاظ الأجنبية للغة . فوضعوا هذه التسميات «الجاهلية» فى ملفاتهم ريثما تصبح قيد التداول .. تماما كما لو كان تبديل اسم الرغيف الافرنجى« بالشاطر والمشطور وبينهما طازج» يمثل اكتشافا عبقريا بالنسبة إلى العرب وكل التراث ومجد العرب» .

٢ ــ جاءنى صحيفة تصدر فى سورية من مقال جاد عقب مؤتمر سنة ١٩٧٩ ما يلى [5] :

---

(١) انظر البعث اليومية . (٢) انظر تشرين اليومية . (٣) انظر الثورة اليومية .

(٤) نشر المقال فى « الأسبوع العربى » بيروت ١٠ / ٤ / ١٩٧٨ بتوقيع ريمون عقل .

(٥) نشر فى « البعث » دمشق فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩ بقلم أحمد شكرى .

«اعتبر المؤتمر السنوى الأخير لمجامع اللغة العربية وسائل الإعلام مسئولة عن الكثير من ظواهر الخطأ والضعف فى لغتنا القومية، وقال العديد من أعضاء المؤتمر إن معظم هذه الأجهزة يفتقر إلى المذيعين ذوى الكفاءات العالية وإلى الإعداد الجيد للبرامج ...... ».

وبصورة خاصة توجه المؤتمر إلى الصحافة موصيا إياها بالمزيد من العناية بسلامة لغتها وقدر لها ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة، وفنون الأدب خاصة ....

والأمر يتعلق باللغة العربية فهى الرابطة الرئيسية بين الشعب العربى فى جميع أقطاره من المحيط إلى الخليج ....

نقول هذا، وفى أذهاننا آخر محاولة فى لبنان لجعل العامية المحلية لغة للأدب والشعر والصحافة، فهى على هزالها دليل آخر على شراسة الحملة المشبوهة والمتواصلة لإضعاف اللغة العربية الفصحى، لغة الأمة العربية جمعاء، وإيجاد انقسام لغوى يصب فى مجرى التجزئة.

٣ – جاء فى مجلة تصدر فى سورية من مقال يلخص وقائع مؤتمر سنة ١٩٨٠ مايلى[١]

«..... وعرضت لجنة اللهجات على المؤتمر أعمالها»، وتشمل:

(أ) الظواهر الصوتية فى لهجة طيئ، وفى لهجة هذيل.

(ب) إدراج مائة كلمة عامية فى معجمات الفصحى»

٤ – وجاء فى صحيفة تصدر فى سورية أيضا من مقال يشرح فيه أعمال لجنة اللهجات فى سنة ١٩٨٠ ما يلى[٢]:

«.. وجاء فى القرار الثانى من قرارات لجنة اللهجات الكلام التالى: .. إن لجنة اللهجات كانت دقيقة حين نظرت إلى الوحدة بين العامية والفصحى من جانب الألفاظ وحدها. فى هذا الجانب – وحده – تبدو عاميتنا شديدة الاقتراب من الفصحى».

إن العامية مرفوضة دون شك، وإن الجهود تترى لتوهين ما يسمى ازدواجية اللغة العربية، ولا يشك المرء فى أن نشر الكلمات الفصيحة الموجودة فى العامية، يساعد كثيرا من علماء اللغة على تحديد المعنى الحقيقى للعامية المبتذلة المرفوضة التى يصبح تجنبها ونبذها.

٥ – وجاء فى مقال يثنى فيه صاحبه على جهود المجمعيين فى خدمة العربية دعابة لطيفة؛

(١) انظر م م (لغة عربية) دمشق فى ١ / ٤ / ١٩٨١ بتوقيع ش. ف

(٢) انظر صحيفة العروبة حمص فى مايو ١٩٨١ بقلم سمر روحى فيصل

إذ نقل قصة أبي حسان التي رددها على مسامعنا الزميل المحترم عبد الرزاق محيي الدين يوم عرض على المؤتمر سنة ١٩٨١ قرار لجنة الألفاظ في التسوية بين (المتوفِّي والمتوفَّى) على الشكل الآتي [١] :

«سأل رجل يقرأ ما يصدر عن المجمع اللغوي شيخا وقورا رآه يمشي خلف جنازة : من «المتوفِّي» فقال الشيخ : اخجل يا أخي واسأل عن «المتوفَّى» فالمتوفِّي هو الله جل جلاله فقال السائل : والله ياسيدي أنت أجدر مني بالخجل؛ لأنك لم تقرأ ما قررته لجنة المجمع من أن للفظين دلالة واحدة .

النبذة الثانية : لم ألاحظ فيما اطلعت عليه من صحف أي تعليق أو نقد لقرارات المؤتمر في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب بإجازة أو رفض الألفاظ والأساليب الصحافية التي درستها ، وحسبي أن أسجل في حديثي هذا قصة لفظة واحدة كثيرة الورود في الصحافة ، أجاز المؤتمر استعمالها بصيغة حددها ، فما هي القصة ؟

كان المجمع موافقا على رأي الصحافة في أن لفظة (عقد) الأصيلة المنعوتة برقم، قاصرة عن الوفاء بالمعنى المعاصر المستفاد من جمع اسم (عشر السنوات) المقصودة بالإشارة ، فسنوات (العقد الثالث) ليست هي سنوات (العشرينيات) المتطورة تماما و (الثمانينيات) التي نعيش اليوم في سنواتها لا يفي بمعناها قولنا (العقد التاسع)، لهذا أجاز المجمع — من عشر سنوات — استعمال هذه اللفظة المستحدثة شارطا إثبات ياء النسب فيها .[٢]

ورجال الصحافة الذين اطلعوا على قرار المجمع قلائل جدا ؛ إذ مازالت الصحف تكتب (الخمسينات) دون إثبات ياء النسب ، غير أني لا أنكر أني بدأت أقرأ لكاتب مرموق ولغيره مقالات حديثة أورد فيها اللفظة برسمها الصحيح .[٣]

١٠ — تقييم لغة الصحافة المعاصرة :

إن المقارنة بين لغة الصحافة في عهديها الماضي والمعاصر ، لاتعطي صحافة اليوم درجة رفيعة في فن التقاط الخبر وجمال الإخراج وإتقان الطباعة فحسب ، بل تعطيها درجة عالية في المستوى العام للغة المحررين. وهي في هذا المستوى تعلو في القاعدة عن مستوى لغة الصحافة — في عهدها الذي غبر — علوا واضحا ، وهذا أمر واقع غير مستغرب بعد ارتفاع مستوى لغة العامة نحو الفصحى خلال نصف القرن الأخير من جهة ، وبعد اتساع التعليم العالي من جهة أخرى :

---

(١) انظر قرار لجنة الألفاظ والأساليب المعروض على المؤتمر سنة ١٩٨١ وقد رفض المؤتمر قرارها بأكثرية واضحة .

(٢) في الدورة المجمعية التاسعة والأربعين لسنة ١٩٨٣

(٣) أحمد بهاء الدين في مقالاته المنشوره في صحيفة المستقبل فبراير ١٩٨٣

غير أن هذا الارتفاع فى القاعدة تم مع توارى القمم العالية، أمثال تلك التى كانت أسماؤها تتوج صحف الأمس البعيد، وأما القمم فى الصحافة الحاضرة فهى قليلة العدد أولا، وثانيا: إن ارتفاعها لا يتكون من مجموع كفاياتها الشخصية فقط.

إن أعلام الصحافيين فى العهود الماضية أغنوا المكتبة العربية بمصادر مازالت حتى اليوم معتمدة فى موضوعاتها، جمعوها بأنفسهم أوجمعت لهم بعد رحيلهم بعد أن كانت مقالات أو أحاديث صحافية منشورة كاللآلى فى صحفهم يتهافت الناس على التقاطها والتفاخر بجمعها والاحتفاظ بها ذخرا لهم ولأبنائهم من بعدهم[1].

١١ - المسؤولون عن حماية الفصحى:

قد يسأل بعضنا بعضا: ومن هو المسؤول عن ما يحيط بالفصحى من أخطار نراها ماثلة أمام أعيننا، والغير منا عليها يتعثرون فى الطرق التى يرون فيها سبيل إنقاذ الضاد من محنتها؟

أستميحكم عذرا إذا ماجهرت قائلا: كل واحد منا مسؤول فى هذا، وكل من قال أنا عربى هو مسؤول أيضا، كل فى حدود ماله من تبعات؛ لأن العربية فقدت من يعنى بها فى البيت وفى المدرسة وفى الجامعة وحتى فى الجوامع.

لقد فقدت الفصحى من يحرص عليها فى جميع المجالس، حتى فى تلك التى كانت منابرها تهتز من بلاغة خطبائها فترنح جماهير الشعب من الصدى:

لقد افتقدت العربية أساليبها الأصيلة وبيانها الرائع فى الصحف والمجلات؛ وفى مؤلفات كبار العلماء، وحتى فى كتب الأدباء والشعراء المحدثين:

لقد طال العهد على الجماهير وهى تقرأ ما تقذفه المطابع إليها، وتسمع ما يردده أصحاب السلطان عليها، حتى فقدت حاسة استنكار اللحن والحمية فى الدفاع عن لغة الذكر الحكيم.

نعم، كل عربى منا مسؤول.

إن الرسام الذى كتب (لافتة) لطبيب؛ فصور الحرف اللثوى فى اسمه بالشكل الذى عليه نطق العامة مسؤول[2] وقديما كان الخطاطون من حفظة القرآن الكريم أو ممن تعلموا قواعد الإملاء على الأقل.

أما الطبيب الجامعى الذى رفع على عيادته تلك (اللافتة) فمسؤوليته أشد خطرا على العربية من مسؤولية بائع الفاكهة وقد ارتفى (لافتة) رسم عليها (بياع فواكى) زنة (بواكى).

---

(١) انظر مجموعة كتب الراحلين من أعلام الصحافة فى بلاد الشام من أمثال محمد كرد على وعبد القادر المغربى وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وخير الدين الزركلى وبشارة الخورى وأمين سعيد.

(٢) اللافتة موجوده على البناء ذى الرقم ٢٨ فى شارع سليمان بن عبد الملك.

والعامل الحكومى على تسجيل (الأحوال الشخصية) للناس —وقدجاءته فلاحة تقول: ولدت بنتا وأطلقت عليها اسم أمى (سلمى) فسجل (سلما) دون إثبات التنوين طبعا — مسئول مسؤولية كبرى عن قائمة طويلة من الأسماء المسجلة فى سجلات الحكومة بصورة لفظها بعيدا عن صورتها السليمة .

ومسؤولية الرجل الكبير — الذى أمر يوما بتسجيل محاضر الجلسات النيابية نقلا عن آلات التسجيل — بالغة الإثم، وأنا لست أدرى إن كان من باب الإنصاف أو من باب العدل ، القول : إن هذه المسؤولية دونها بمراحل مسؤولية الصحف ومحرريها الذين يعتمدون آلات التسجيل فينقلون عنها خطب وأقوال الزعماء والرؤساء بلغة العامة .

قرأت قبل أيام معدودات بحثا لأستاذين جامعيين نشراه تحت عنوان (اللغة العربية والتكنولوجيا المعاصرة) فى مجلة فكرية راقية نافحا فيه عن العربية وكفايتها لاستيعاب المصطلحات الجديدة ، ثم ختماه بالفقرات التالية :

« ولعل أكثر هموم اللغة العربية إيلاما هى مشكلة توحيد المصطلحات العلمية؛ وقد باءت جميع المحاولات المبذولة فى هذا الصدد بالفشل، ولم تؤت بعد ثمارها؛ نظرا لتقاعس الدول العربية عن التعاون الفعال والكافى فى هذا المجال ، وخصوصاً حيال إقرار المصطلحات العلمية وجعلها إلزامية لجميع الهيئات والجامعات ، ولو أن مجمعاتنا اللغوية تتلقى الدعم الكافى لوصلنا على الأقل إلى وضع مشابه للدول الأخرى ، ومع أن هذه المجمعات تقوم بمجهودات كبيرة إلا أن جهودها هذه تضيع فى زحمة تفرقنا وتباعد دولنا ، وهى بذلك نسخة طبق الأصل من واقعنا الممزق »[1] .

والقصة مع هذين الأستاذين اللذين التبس الأمر عليهما بين كلمتى « مَجْمَع » المخففة و « مُجَمَّع » المشددة تعيد إلى الأذهان قصة رئيس أحد المجامع العربية وكان يتحدث مع رئيس حكومة بلده، عندما أقبل وزير على رئيسه، فقدمه إلى المجمعى الكبير معرفا به بقوله: « رئيس المجمع اللغوى » وهو يشدد الميم الثانية ، مما أغضب الرئيس ودفعه إلى التنبيه على هذا الخطأ ، فضحك كبير الوزراء وهو يقول : « هون عليك ياسيدى فليس فى الأمر خطأ يغضب ، ألا تكتبون أنتم الكلمتين على صورة واحدة»؟

سادتى :

كنت قبل عام مضى فى مدينة جدة ، ويومها كان زمام سياسة الدنيا بيد عسكرى

---

(١) انظر له : مظفر وسمير صلاح الدين شعبان فى مقالهما (اللغة العربية والتكنولوجيا المعاصرة) ص ١١٠ من المجلة العربية عدد فبراير ١٩٨٣

«عتل بعد ذلك زنيم[١]» فإذا بي أقع في الصحف المحلية على الخبر التالي :

« هيج يسيء للغة الإنجليزية

أ . ف . ب (ميتشجان)

أدرجت كلية سولت سانتمري بولاية ميتشجان الأمريكية اسم السيد ألكسندر هيج وزير الخارجية الأمريكية في لوحة العار بسبب نطقه السيئ للغة الإنجليزية .

وطالبت الكلية أن يتحدث هيج اللغة اللاتينية الكلاسكية لفترة اختبارية مدتها ستة أشهر ليكفر عن سوء استخدامه المزمن للغة الإنجليزية ، وهو الأمر الذى لا يمكن إصلاحه أو تعديله .

ومنحت الكلية الجائزة الأولى للسيد مالكوم بالدريج وزير التجارة الأمريكى لتحدثه السليم باللغة الإنجليزية وإجادتها تماما[٢] » .

وألقيت بالصحيفة جانبا، وقد لفتني فكر منها : هل من جامعة أو مؤسسة عربية تجروْ على تقليد تلك الجامعة الأمريكية دفاعا عن الفصحى ؟ فأتعبني التفكير وأنا أتخيل طول قائمتنا السوداء وعدد المتزاحمين لاحتلال المراكز الأولى فيها من رؤساء وأمراء ووزراء .

وإذا سبق لى أن قلت بأن هناك أوزارا تجب تبعاتها في بعض الآثام تبعات الصحافة ، فأنا لا أدافع عن الصحافة لأخليها من مسؤولياتها ، فهي المسؤولة عن آثار ما تقذف به الناس صباح مساء من كلمات وتعابير عامية ومن جمل أو أساليب غير فصيحة ، ولو في أخبارها المحلية ؛ إرضاء لآلاتها الحديثة ، وهى دوما فاغرة الأفواه ، وإملاء لصفحاتها المتنافس على زيادتها بين الحين والحين أو تزلفا لذى سلطان .

إنها مسؤولة عن كل كلمة تنشرها ، مادامت تستطيع رفض النشر ضمن الحدود المرسومة لها من قبل النظام الذى تعيش فى ظله .

إنها مسؤولة عن كل كلمة تدعم تحلل السليقة العربية عند قرائها أو تفسد الذوق العام فى التفريق بين دلالات الألفاظ والجمل ، أو تميع حدود الزمن المرافقة لبعض الكلمات العربية .

فإذا كان من مقتضى الفن الصحافى استعمال الفعل المضارع فى عناوين الأخبار ؛ لشد الانتباه إليها ، فما الدافع لمغالاة بعض الصحف فى الفن حتى تصدر وهى ترفع مثل هذا العنوان (القمر الروسى يسقط « أمس » فى المحيط الهندى) .

وإذا كان الإبداع فى تبويب الصحيفة مرغوبا فيه ، فأين الإبداع فى باب يحمل هذا العنوان (حدث غدا) وقد تلقفته إحدى

---

(١) العتل : القوى الجافى الغليظ ، والزنيم الدعى الملصق بقوم ليس منهم – الآية : ١٣ القلم .

(٢) جريدة « عكاظ » جدة فى ٣ كانون الثا (يناير) ١٩٨٢

لإذاعات العربية لتنشر تحته تنبوءاتها عن حوادث المستقبل .

« ومجلة العربى » مثلا — وهى أوسع المجلات العربية انتشارا ، وأقلها مصادرة أو فى تمزيق بعض صفحاتها قبل التوزيع ، ومن أكثرها استقامـــة فى نهجهـــا الفكرى المستقل — ألا تتحمل تبعة ما تحدثه صورة اسمها فى أذهان ناشئة الأقطار البعيدة من اضطراب ؛ لاستهتارها بقواعد الإملاء فى التفريق بين الألف المقصورة والياء ؟

ولمن يرى رفع التبعة عن مجلة «العربى» محتجا لها بأن الرسام الذى خطط للمجلة اسمها، كان من بلد عربى جرت المطابع فيه من عهد بعيد ، على عدم التفريق بين الألف المقصورة والياء فى آخر الكلمة، أقول: ولكن مؤتمر مجمع اللغة العربية وجد ضرورة لهذا التفريق فأقره من بضع سنوات[1]، فلماذا لا يقرأون ما قرر ؟

١٢ — كلمة ختامية :

طال الحديث عن «لغة الصحافة»، وأرجو أن لا يكون قد أملكم ؛ فقد كان مجموعة أفكار وصور تواردت علىّ عندما بدأت أكتب ، فلممتها لأعرضها عليكم ، وأفضل ما يدل على الخطر الداخلى الذى يتهدد الفصحى — لا من أهل اليمين المتطرف أو اليسار الجاحد فحسب بل من بعض أهل الوسط — ما جاء فى نبذة وردت فى مقال نشرته صحيفة جزائرية من أيام قليلة متضمنا: «. . . وفى أحد المؤتمرات كُشف النقاب عن أمر فى غاية الغرابة يتلخص بأن تلك القوة ليست أفرادا من المجاهرين بالدعوة إلى العامية أو المحكية فحسب، بل فيهم أساتذة كبار يشعر المرء بوجودهم حتى بين أعضاء الهيئات والمجالس واللجان التى تقوم على خدمة اللغة ورعاية العلوم وتوجيه الثقافة ، وهم كثيرا ما يتظاهرون بالحماس الشديد فى الدفاع عن الفصحى وبالخفاء لا يتورعون عن مساندة أعدائها والمشى فى ركاب من لا يبالى بها[2] » .

عدنان الخطيب
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق

---

(١) الدورة السادسة والأربعون سنة ١٩٨٠
(٢) انظر صحيفة النصر قسنطينة فى ٢٥ يناير ١٩٨٣

الأسماء العتيقة والأسماء الجديدة

للدكتور عمر فروخ

فى عام ألف (*) وتسعمائة وستة وثلاثين من القرن الإفرنجى الجارى — وفى أثناء متابعة دراستى فى ألمانيا — حضرت فى جامعة ليبزغ دروس الأستاذ الدكتور أرنست برغمن أحد مستشارى هتلر للأمور الدينية وكان موضوع محاضراته : « تاريخ الدين والأديان » . ولما وصل أرنست برغمن إلى الإسلام قال كلاما مقبولا ، ولكنه أبدى ملاحظة أسف فيها على أن المسلمين يسمون أولادهم أسماء تتصدرها كلمة « عبد » ، بمعنى الرقيق المملوك .

لم أجد من المفيد أن أناقش الأستاذ برغمن فى أثناء الدرس ، فلقد كنت المسلم الوحيد فى ذلك الصف ، ولم يكن مقدراً لمناقشتى أن تثمر بين طلاب لا يعرفون من الإسلام إلا ما قاله الأستاذ فى محاضرته تلك .

ولكن بعد انتهاء المحاضرة وقفت بضع دقائق مع الأستاذ وحاولت أن أبسط له أن كلمة «عبد» إذا جمعت على « عباد » يصبح لها معنى غير المعنى الذى لها إذا هى جمعت على « عبيد» . وأسعفتنى اللغة الألمانية بكلمة « باند » (Band) ، فإنها إذا جمعت على (Bände) كان معناها « الجزء من كتاب» ، وأما إذا جمعت على (Bänder) فإن معناها يدل حينئذ على الحزام أو الرباط أو الشريط .

ووضحت الفكرة للأستاذ برغمن ودعانى إلى بيته بضع مرات وسألنى عن أمور وحقوق فى الإسلام بدلت كثيرا مما جاء فى هذا الموضوع فى تلك المحاضرة . ولكن الكلام على ذلك بعيد عن البحث الذى أجىء به فى هذه الجلسة من هذه الدورة (عام ١٩٨٣) :

أحب البشر منذ أقدم الأزمنة أن يسموا أولادهم أسماء تدل على نعمة الله عليهم أو على صلة تربطهم بالله. فمما يمكن الاستشهاد به هنا الاسم العـَقـَدى (ويقولون: الأكادى) «سرجون» من أسماء الأعرابيين القدماء (ويقول نفر من المؤرخين خطأ : الساميون) هذه الصيغة وصلت إلينا من اليونانين من طريق الرومان أو اللاتين من طريق الفرنسيين أو من طريق الإنكليز . وأحسب أن اليونانية القديمة واللاتينية القديمة لم يكن فيهما صوت «الشين » ثم عرفنا نحن فى بلاد الشام حصن « شيزر » مما يدل على أن هذا الصوت نشأ متأخرا فى اللاتينية ، ولعل لهذا الرأى سندا من كثرة وروده فى الإيطالية فى كلمات كان حقها أن تلفظ فى اللاتينية بالقاف .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

ونرجع إلى الاسم «سرجون» فإنه يقابل الاسم القديم شرّوقين. و«شرو» هو الملك و «قين» (بالكسر) هي القين (بالفتح) بمعنى العبد ، فيكون المقابل لاسم «شروقين» القديم «عبد الملك» بالعربية . ويحسن بالمؤرخ العربي النابه إجراء الأعلام على ما تلفظ به في لغتها الأصلية أو على ما قبلته اللغة العربية من اللفظ بها. يجب أن نقول شروقين أو عبد الملك ، لا سرجون ، وأن نقول «سَلْع »(بفتح فسكون) لا بترا ولا البتراء لأن كلمة «سلع» معناها الحجر أو الصخر ، فلما نقل اليونانيون هذا الاسم إلى لغتهم كانوا عاقلين فسموها بلفظ يدل على معناها في لغتهم . فإذا قلنا نحن اليوم «بترا» لم نَعْدُ أن نقول معنى اسم بلد بلغة غيرنا. وأما إذا قلنا «البتراء» (مؤنث الأبتر) أي «المقطوعة الذنب» أو ما يشبه الذنب ، كنا في الحقيقة جاهلين لطبيعة البلاد التي نعيش فيها . وليس بعد هذا الجهل جهل .

ونأتي إلى اسم آخر أقرب في المكان إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وهو الاسم الذي يقال له «رمسيس» والذي وصل إلينا من اللسان اليوناني أو اللاتيني عبر اللسان الفرنسي أو اللسان الإنكليزي وربما أراد نفر أن يكون أكثر أمانة ، فهؤلاء يقولون : رعمسيس ، وبذلك يكونون قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم . هذا الاسم يجب أن يكون ، فيما أحسب — وأنا لا أعرف من اللغات القديمة إلا نتفا — رع مسو (قال من أخذت عنه : خلقه رع) . ورع هو الإله الشمس أو الشمس الإله . وأحسب أيضا أن هذا الاسم قد استمر في مصر بعد أن تعربت فقالوا فيه : « عطا الله » ، تقيدا باللفظ : عطا (بمعنى أعطى ، مع التساهل) والله بالرفع فاعل . وربما اقتصر الناس على معنى الاسم فقالوا : عطاء الله (في مثل ابن عطاء الله الإسكندري) .

ويبدو أن الروم البيزنطيين (اليونان بعد اعتناق النصرانية) قد فهموا معنى هاتين التسميتين : العقدية البابلية والمصرية الفرعونية، فهما قريبا فسموا «ثيودوروس» (عبد الله) و « ثيودورا » (عبدة الله ، عابدة الله ، أمة الله) .

ومن الأسماء القديمة في الأعرابيين « نبوخذ نصّر» ، وهو متأخر النشأة (في الكلدانيين) ومزيج من اللغة الأعرابية واللغة الفارسية : فكلمة « نبو » (في المعنى اللغوي) : المفسر أو المنبئ . وكانت كلمة «نبو» عند الكلدان تطلق على الكوكب عطارد ، وعطارد في الخرافات القديمة

رسول الآلهة : ويبدو أن «خذ» هي «خدا» الفارسية بمعنى إله . فيكون معنى «تبوخذ نصر» فيما أحسب «رسول الإله نسر» ونسر من آلهة القدماء، عبده جماعة من عرب الجاهلية وورد ذكره في القرآن الكريم :

ويبدو أيضا أن العرب اختصروا «نبوخذ نصر» فجعلوها «بختنصر» . وتسمى نفر من النصارى في بلاد العرب ، قبل الإسلام وبعده «بخت يشوع» ، كما تسموا «عبد المسيح» . ولعل كلمة بخت (وهي فارسية بمعنى الجد بفتح الجيم أي الحظ) أصبحت تعني «العبد» :

وعرف العرب في جاهليتهم هذه الأسماء المعبدة فسموا ؛ عبد اللات ، عبد مناة ، عبد العزى ، عبد شمس ، عبد القيس ، عبد يغوث ، عبد ياليل ، وسوى ذلك من أسماء الأصنام ، كما سموا عبد الدار وعبد الكعبة وعبد الخير (والخير أحد الإلهين في الدين الثنوي : إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلام) . وسموا أيضا عبد الله .

وكذلك سمى عرب الجاهلية تيم الله وتيم اللات وتيم قريش. ومعنى تيم «العبد» جاء في ابن الأثير (بيروت ٥ : ٢٤٩) : «وفيها مات محمد المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمي تيم قريش» فهل يجوز لنا أن نقول إن «قريشا» كان اسما لصنم مع أن «تاج العروس» لم يذكر ذلك ، ولا أحسب أن ابن الكلبي قد ذكر ذلك في كتاب الأصنام :

وكان إذا دخل أحد في الإسلام ، في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى بأحد هذه الأسماء الوثنية ، بدل النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فجعله عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد الرحيم أو ما يشبه ذلك .

وفي الإسلام اتسعت التسمية بالأسماء المعبدة بإضافة كلمة «عبد» إلى أسماء الله الحسنى . وأسماء الله الحسنى مائة : أحدها اسم جامع لكل معانيها هو «الله» ثم تسعة وتسعون صفة على وزن اسم الفاعل أو صيغة المبالغة أو الصفة المشبهة . ولا وجه للقول بأن أسماء الله الحسنى مائه : تسعة وتسعون منها معروفة ، وواحد منها غائب عنا من عرفه نال كذا وكذا .

وإذا نحن استعرضنا هذه الأسماء الحسنى وجدنا أكثرها يدخل في أسماء الناس ولكن لا نسمع في الأسماء المعبدة اسما هو : عبد المصور أو عبد القابض أو عبد المذل أو عبد المميت ، غير أن الناس يزيدون في هذه الأسماء من عندهم فيسمون مثلا عبد المقصود وعبد المحسن وعبد الجواد وعبد السيد . ومع أن عبد السيد اسم مألوف عند النصارى ؛ لأن «السيد» عندهم هو المسيح عليه السلام ، فإن في المسلمين أبا نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ (ابن الأثير — بيروت ٩ : ٥٩١ و ١٠ : ١٤١) ، وهو فقيه من أهل بغداد تولى التدريس في المدرسة النظامية .

والشيعة يختلفون مع أهل السنة والجماعة فى أنهم يضيفون إلى كلمة «عبد» غير أسماء الله الحسنى فيسمون عبد الرسول وعبد النبى وعبدالصاحب (على بن أبى طالب) وعبد الحسن وعبد الحسين وعبد المحسن (والمحسن يقال فيه إنه ولد للإمام على من فاطمة، ولكنه ولد ميتا). وكذلك يسمون عبد الجواد. والجواد هو فى التاريخ الشيعى تاسع الأئمة أبو جعفر محمد بن على الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. وكانت وفاة عبد الجواد، سنة ٢٢٠ للهجرة (٨٣٥ م).

غير أن الشيعة إذا سموا عبد الرسول أو عبد الحسين فإن لفظ «عبد» لا يكون هنا عابداً بل خادما، يدلنا على ذلك استعراض عدد من الأسماء عندالفرس: غلام على، غلام حيدر (وحيدر هو على ابن أبى طالب)، غلام حسين، غلام محمد، غلام رضا، الخ.

ولكن هنالك اسمين من هذه الأسماء يردان عند الشيعة وعندأهل السنةوالجماعة، هما عبد المحسن وعبد الجواد. وأحسب أن المدرك السنى فى هذين الاسمين يختلف عن مدرك الشيعة فيهما. إن هذين الاسمين (الجواد والمحسن) ليسا من أسماء الله الحسنى (راجع المقصد الأسنى للغزالى، بيروت دار المشرق ١٩٧١ م، ص ٦٣)، ولكنهما عند أهل السنة والجماعة مزيدان على أسماء الله الحسنى، مثل المقصود والعاطى وغيرهما.

وفى المدة الأخيرة قلت الأسماء المعبدة بين المسلمين بعوامل مختلفة. ثم بالغ نفر فى اجتناب هذه الأسماء ولم يستطيعوا التخلص منها جملة، بعد أن سماهم بها آباؤهم، فحذفوا منها المضاف، فإذا عندنا اليوم أسماء منها: حميد، مجيد، عزيز فتاح، وهاب، حكم، جليل، كريم، رؤوف، بديع، رشيد، وغيرها أيضا، إلا أن عددا من هذه الأسماء يقبل التأويل بأن هذه الصيغ ليست عند التسمية من أسماء الله الحسنى، ولكنها صفات يمكن أن يتصف بها الإنسان اتصافا قاصرا بينما هى فى الأسماء الحسنى تدل على الكمال. وإذا كان الاسمان: رشيد وحكم، قديمين فى التسمية مفردين، فإن عزيزا ومجيدا وفتاحا ووهابا وعددا آخر أشباهها أكثر تأخرا فى الزمن وأقل ورودا فى التاريخ. ومجمعنا اليوم يقوم فى شارع جديد أو فى شارع يحمل اسما جديدا: شارع عزيز أباظة.

وكان فى الأندلس نفر عرفوا باسم بنى حوط الله. وحوط مصدر «حاط» بمعنى حفظ وصان ورعا وحمى (تاج العروس ١٩ : ٢٢٠) والحوط قرية (١٩ : ٢٢٢). وحوط أيضا اسم كثر وروده عند العرب (١٩ : ٢٢٣ – ٢٢٤، ٢٢٦).

وهذا الاسم يصغر فيقال: حويط (١٩ : ٢٢٤)

وكيف دار الأمر فلا وجه لإضافة اسم الجلالة إليه ، فالله سبحانه وتعالى هو الحافظ والحفيظ : «فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين» (١٢ : ٦٤ ، سورة يوسف) و « إن ربى على كل شيء حفيظ » (١١ : ٥٧ ، سورة هود) . وكذلك لايجوز أن يكون اسم الجلالة مضافا إلى اسم قرية ، فإن لله مافى السموات ومافى الأرض ؛ ولامضافا إلى اسم أحد من خلقه ، فالخلق كلهم عيال الله ، والله خالق كل شيء .

ولكن هذا الاسم « حوط الله » مشوه مرتين . إن أصل « حوط » هنا : حوت بمعنى السمكة ، وهو اسم رائج فى المغرب لكل مانقول له نحن فى المشرق : سمك . والخطف والتفخيم معروفان فى اللفظ المغربى ، ولعلهما كانا معروفين أيضا فى الأندلس . وأما التشويه الثانى فى « حوط الله » فقد جاء من التحسين للفظ من التحقير (وكل فتاة بأبيها معجبة) . فالاسم يجب أن يكون فى الأصل الأندلسى « حوتللو » من « حوت » بمعنى سمكة ثم « أللو » علامة للتصغير فى اللغة الأسبانية . فيكون معنى الاسم «سميكة» (السمكة الصغيرة) . وعز على تلك الأسرة الأندلسية التى عرف فيها نفر من العلماء أن يكون اسمها بين الناس «حوتللو»، فنقلوه « إلى حوط الله » .

ويبدو لى أن العرب وأن غير العرب من الشعوب الأعرابية قد سموا «عبداً» اسما مفردا محلى باللام، أو غير محلى باللام؛ من النظر إليه على أنه علم لايحتاج فى العادة إلى لام التعريف . وعندنا من الأمثلة «طرفة بن العبد» ثم «العبد ابن أبرهة» من ملوك اليمن قبل الإسلام (ابن الأثير ١ : ١٦٨) . وهنالك أيضا بنو «عبد بن ثعلبة» و«عبد بن عبد مناف بن الحارث» و « عبد بن غوث الحميرى » و « عبد بن قصى » وغيرهم .

وكلمة « عبد » هذه تأتى فى الأسماء ، وفى اللغة العربية الفصيحة ، على صيغ مختلفة نحو عبد وعبدة (ولا أحسب أن التاء المقبوضة هنا للتأنيث)، ثم عابد وعباد وعبود وعبدون وعبادة . أما « عبده » بالهاء ، فليست من الأصل ولا هى ضمير فى مثل قولنا : هو عبد الله وابن عبده ، ولو كانت كذلك لسمى العرب أبناءهم « عبده » ولم يحتاجوا إلى أن يسموهم — إذا هم شاءوا — عبد الرب أو عبد ربه . وإن الذين نقلوا منا أسماءهم من الواو فى « عبدو » إلى الهاء قد ظنوا أنهم بذلك يردون هذا الاسم من لفظه العامى إلى لفظه الفصيح . إن الواو هنا فى « عبدو » علامة للرفع (إذا نحن أخذناها من العربية القديمة) أو هى علامة للتعريف (إذا نحن استعرناها من اللغة الآرامية شقيقة اللغة العربية) .

إن عدداً من اللغات (كالآرامية والفارسية واللاتينية) ليس فيها علامة بارزة للتعريف . وتقوم الألف فى ختام الأسماء الآرامية مقام لام التعريف عندنا ؛ إذ أن هذه « الألف » تسقط فى اللغة الآرامية فى التركيب الإضافى

المعنوى (أى إضافة اسم إلى اسم) ، كما تسقط لام التعريف من المضاف عندنا فى الإضافة المعنوية أيضاً . ونحن نعرف ذلك من قرينة ملموحة فى الاسم الآرامى « عبدا » ، وهو من القديسين عندهم . هذا الاسم يكتب بالألف الطويلة ويلفظ أيضاً بالألف عند المشارقة (الآراميين الشرقيين : سكان الشام الداخلية والعراق) . أما الآراميون الغربيون (والذين يقال لهم : السريان من أهل شواطئ الشام) فإنهم يلفظون هذا الاسم بالواو المفخمة : إن هذا الاسم (وهذا موضع القرينة) إذا هو نقل إلى اللغة اليونانية كتب « عبدون » (بالتفخيم) ، مما يدل — فى كل حال — على أن هذه الألف فى « عبدا » زائدة ، ولعلها تقوم هنا مقام لام التعريف (عند العرب) أو لعلها تقابل فى اللغة اليونانية حالة من حالات الإعراب التى وصلت إلينا فى اسم الفيلسوف اليونانى فلاطن أو أفلاطن أو أفلاطون (بضم مختزل أو ممال وبالتفخيم فى الحالتين) .

ويبدو أيضاً أن اللغات الأعرابية قد فقدت الإعراب فى زمن متقدم، ذلك الإعراب الذى كان بالحروف ثم انتقل إلى العربية بالحركات ، إلا فى كلمات نادرة. وقريب من ذلك ما حدث فى اللغات الأوربية . إن الإعراب سقط فى اللغات الأوربية الجنوبية والغربية وكذلك فى معظم اللغات الشمالية (كالألمانية والدنمركية والأسوجية والنروجية والإيسلندية) .

وورثت اللغة بضع كلمات — سبعة عدداً — لا تزال تعرب بالأحرف ، منها ، كما جاء فى الألفية :

أبٌ أخٌ حَمٌ فو ذو هَنُ
والنقص فى هذا الأخير أحسنٌ

ثم كلمة « امرؤ » :

ثم وصل إلينا أيضاً عدد من أسماء الأشخاص فيها بقية من ذلك الإعراب بالحروف منها : معن وعمرو وعبدو وفضلو . أما « معن » فلحقت لفظاً بالأسماء المعربة بالحركات : وأما «فضلو» فلا يزال العامة والفصحاء عندنا يلفظونها بالواو لا بالضم فحسب ، وأما «عبدو» فقد احتال نفر منا فكتبوها بالهاء، وبقيت «عمرو» فقالوا : إن الواو هنا للتفريق فى الكتابة بينها وبين « عمر » . فلماذا لم يفرقوا بمثل هذه الواو بين زُهَر وزَهْر ،وقَمَر وقُمر إلخ ؟ والواقع أن الواو فى عمرو بقية من علامات الإعراب مثل كلمة « امرئ » التى أصرت على الاحتفاظ بحالها القديمة ولا تزال تعرب بالحروف وبالحركات معاً فى كل حالة من حالات الإعراب : بالواو ثم بالضمة على الراء (فى حالة الرفع) ، وبالألف ثم بالفتحة على الراء (فى حالة النصب) وبالياء ثم بالكسرة على الراء (فى حالة الجر) .

بقى أمر آخر :

أن التاء المقبوضة (أو المربوطة) فى « عبدة » ليست للتأنيث ، فلقد تسمى بها رجال منهم عبدة بن رباح الغسانى ، وكان

واليا على الجزيرة (شمالى الشام والعراق) فى أواخر الدولة الأموية (ابن الأثير ٥ : ٣٠٩)، ومنهم الشاعر الإسلامى عبدة بن الطبيب . وأما عنترة فأشهر من أن يحتاج إلى إشارة إليه بملاحظة أو بتعليق . وكذلك تسمى بهذا الاسم إناث أشهرهن عبدة صاحبة بشار بن برد .

وليس بنا الآن حاجة إلى دراسة صيغ مثل : عبّاد وعبّود وعبدون وعبادة ؛ لأنها تخرج بنا عما نحن بسبيله الآن .

رأينا فى الأسماء المعبّدة التى مرت أن المضاف (كلمة «عبد») كان واحدا ثابتا وأن المضاف إليه كان أحد الأسماء الحسنى المائة . ثم بدا للناس أن يجعلوا المضاف إليه واحدا ثم يجعلوا المضاف مختلفا، يدل على ما يتخيلونه مما يتمنونه فى اسم وليدهم أو فيما يحبونه فى رجالهم (حينما يجعلون من تلك الأسماء ألقابا) ، نحو : فضل الله ، رزق الله ، حب الله، إلخ ، ويبدو أن هذه التسمية (أو تلك الألقاب) كانت موجودة عند القدماء ، كما رأينا فى اسم «رع مسّو» وفى اسم «وهب اللات» (وهو ابن الملكة زنوبيا ملكة تدمر) ولقد كثر هذا الاسم مرة أو اللقب مرة أخرى فى لفظ « هبة الله » ، ومعنى الأسماء الثلاثة واحد . ثم تنوع هذا الاسم بتنوع المضاف ، فكان عندنا : فضل الله ، رزق الله ، حب الله ، شكر الله ، سعد الله ، نصر الله ، خير الله ، عون الله ، حسب الله ، إلخ . ويمكن أن نفهم عددا الأسماء فى تراكيبها الحاضرة على أنها تركيب إسنادى أو تركيب إضافى فنقول : رَزَقَ اللهُ) على أنها فعل وفاعل) أو رِزْقُ اللهِ (على أنها مضاف ومضاف إليه) .

ثم بدا للناس أن يلزموا فى المضاف إليه كلمة الدين وينوعوا المضاف ، وأحب هنا أن أبدأ بلقب « أسد الدين شيركوه » ، وقد اتفق أن يكون اللقب (أسد الدين) والاسم (شيركوه) متقاربين . إن «شير» من الفارسية معناها « الأسد» ، وكوه فى الفارسية أيضا معناها الجبل . فإذا عربنا الاسم قلنا هو أسد الدين أسد الجبل .

وتفنن الناس فى المضاف الذى أضافوا إليه لفظ « الدين » ، فقالوا : شمس الدين وبدر الدين وقمر الدين ونجم الدين ، كما قالوا فخر الدين وعز الدين ونصر الدين وسعد الدين وكمال الدين وخير الدين وزهر الدين ونصير الدين وشرف الدين وغير ذلك. ثم قالوا أيضا « صدر الدين » .

ويبدو أن الذين أحبوا هذه الأسماء والألقاب كانوا من غير العرب ، وكانوا يكتفون بأن يلمحوا المعنى العام ولم يلقوا بالا إلى ظلال المعانى . فإذا قبلنا أن يكون معنى عز الدين وناصر الدين ونصر الدين هو معز الدين وناصر الدين (وهذان تركيبان موجودان أيضا فى الأسماء والألقاب) ، فما معنى شرف الدين وكمال الدين ؟! أمعنى ذلك أن الشخص المسمى كان شرفا للدين وكان كمالا للدين (بعد أن كان الدين ناقصا) أم أن هذا

الشخص المسمى «كمال الدين» يمثل الكمال فى الدين ؟ ثم إذا نحن قبلنا أن يكون للدين صدر فى الاسم « صدر الدين » أنقصد أن الشخص المسمى يحتل الصدارة فى الدين أم نعنى أن للدين صدرا فنلمح أنه يجب أن يكون للدين أعضاء أخر؟ ثم كيف يكون الإنسان « تاج الدين » أو تاجا للدين؟

ثم زاد الناس فى تفننهم فقالوا : سيف الدولة وفخر الدولة ، كما قالوا : نظام الملك وفخر الملك ، وغير ذلك .

إن هذا التساؤل ينقلنا إلى موضوعين مهمين : إلى تقليد بعض الناس بعضا فى الأسماء الرائجة وأسماء المشهورين ، ثم إلى أن الكثيرين من الناس يقصدون لفظ الاسم لا معناه .

يمر فى التاريخ حقب يتوفر الناس فيها على أسماء معينة حتى ليظن الباحث أنه ليس فى اللغة سوى هذه الأسماء . فى الأجزاء الثلاثة التى ألفتها فى تاريخ الأدب فى المغرب والأندلس كان الاسمان اللذان يغلبان على كل اسم آخر اسم محمد واسم عبد الله ولم يكثر هذان الاسمان فى الأسر المختلفة فحسب ، بل كانا يكثران فى الأسرة الواحدة أيضا . لقد كان الرجل وابنه وحفيده ، وابن حفيده وحفيد حفيده ، فى كثير من الأحيان يحملون اسم محمد ، ونسقت مرة نسب أديب فقلت : هو محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن محمد (مكررة خمس مرات) ..

ومما زاد صعوبة البحث على أن كل محمد ، فى العادة ، كان يسمى ابنه عبد الله ، فأصبح عندنا : أبو محمد محمد بن محمد وأبو محمد عبد الله بن محمد وأبو عبد الله محمد بن عبد الله ، وغير ذلك من الأسماء وكناها إذا نحن مضينا فى المخالفة بين الاسم والكنية . وهذا يرجع إلى أن نفرا كثيرين كانوا — ولا يزال نفر قليل منهم — يحبون أن يسمعوا أسماءهم هم ينادى بها أبناؤهم .

ولم يقتصر حب التقليد فى التسمية على الأسماء الواردة فى الأسرة الواحدة ، بل تعدى التقليد إلى الأسماء التى يتسمى بها المشهورون — سواء أكانت تلك الأسماء لأصدقاء أو لأعداء — ففى عام ١٩٥٦ ، بعد أن انتهت الهجمة الأميركية الإسرائيلية على مصر بأثر الإنذار الذى وجهه رئيس المجلس السوفياتى الأعلى نيقولاى بلغانين سمى أحد المعلمين فى مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت (وكان اسمه هو أحمد) ابناً له ولد فى تلك الأيام «بولغانين» . ثم إن صاحبنا استفاق من وهمه وبدل اسم ابنه هذا . وفى مطلع الاجتياح الإسرائيلى للبنان رزقت امرأة فى الجنوب اللبنانى مولودا ذكرا فسمته «بيغن» .

وفى العام ١٢٩٣ للهجرة (١٨٧٦ م) جاء إلى عرش بنى عثمان سلطان شهير قدير يدعى عبد الحميد ، فكثرت التسمية باسمه فى أقطار العرب جميعا . وبعد الانقلاب

الذى قامت به الوزارة التى كثر أعضاؤها وأنصارها من «الدنما» (بالضم) : اليهود المتسمين بأسماء إسلامية ، وسقط به السلطان القوى عبدالحميد ، وجىء على أثر ذلك بالسلطان الضعيف الضعيف (مكررة مرتين) محمد رشاد ، سنة ١٣٢٦ للهجرة (١٩٠٨م) كثر فى البلاد العربية اسم رشاد . ثم نسيت التسمية بهذا الاسم ، لأن عوام الناس لا يرون فى خلع الأسماء على أولادهم إلا كما يرون فى خلع الألبسة على أبدانهم .

فى العام ١٩٢٠ ولد فى مصر أمير سماه أبواه «فاروقا» ، فاندفع الناس عندنا فى هذه التسمية اندفاعاً كبيرا . ثم هدأت الفورة فقل أن نسمع الآن بطفل جديد يسمى فاروقا — على ما فى هذا الاسم من المعنى ، وعلى ما لهذا الاسم من المجد التاريخى منذ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولكن الأسماء أيضا زىٌ يشع ثم يخبو لمعانها — عند جماعات من الناس بالسرعة التى انتشر بها ذلك اللمعان .

وفى كثير من الأحيان لا يدرك الناس من الأسماء إلا ما يأخذ بأسماعهم منها . ففى عام ١٩٥٢ ، بعد الانقلاب على الأسرة العلوية فى مصر ، كان النجم اللامع فى مجلس الثورة جمال عبد الناصر ، فكثر عندنا فى لبنان الإعجاب بهذا الرجل واندفع الناس مدة طويلة فى تسمية أبنائهم باسمه . ولكن القليلين منهم كانوا يسمون أبناءهم «جمالا» . أما الكثرة فكانوا يدعون أبناءهم «عبد الناصر» (مع أن عبدالناصر اسم والد جمال عبد الناصر) . ويبدو أن الجهل فى الناس لا يقتصر عادة على جانب من حياتهم ، بل يغطى جوانب كثيرة منها .

عندنا فى لبنان شارع مطروق مزدحم أطلقت عليه الحكومة اسم « شارع عمر ابن عبد العزيز » غير أن الناس يقولون شارع عبد العزيز .

وهذه الغفلة فى إطلاق الأسماء على المسمَّين بها لا تظل دائما بريئة كما رأينا فى عبد الناصر مكان جمال ، وفى اسم عبد العزيز مكان عمر بن عبد العزيز . هنالك آباء لا علم لهم بلسان العرب وتاج العروس يسمون بناتهم « رُحاب» (بالضم) . وهنالك اسم أوضح معنى من هذا لا أريد ذكره هنا لأننى لا أحب أن أتعرض لتيار السياسة ، مع أنى أجيد السباحة فى البحر الخضم وأحمل شهادة فى السباحة من بيروت ومن برلين .

ومن الدلائل على غفلة نفر من الناس فى تسمية أولادهم قلة معرفتهم بمعانى الأسماء وألفاظها. عندنا فى بيروت رجل نائب فى مجلس الأمة ووزير سابق وصاحب مركز راتب فى الجامعة . لهذا الرجل ابن سماه «إيهابا» (بالياء بعد الهمزة) ، مع أن العرب سموا «إهابا» . وكنت جمعت من أوراق البكالوريا اللبنانية الرسمية (نهاية المرحلة الثانوية) عددا من الأسماء كتبها أصحابها بأيديهم ، منها (والكلام من ذاكرتى الآن) : أسمى

(بالألف المقصورة) ، سوهيلا (بلام ثم ألف طويلة فى آخرها) ، ثوريا (بالواو بعد الثاء) ، لينا (بالألف المطواة) وعندنا رجل سمى ابنة له «ليندا» ، فسألته مرة : كيف يتهجى اسم ابنته بالفرنجية ، ففعل وأخطأ . إن كلمة ليندا من اللغة الأسبانية ، وهى تكتب بلامين فى أولها ، ولم يكن هو يعرف ذلك ، وأحسب أنه لم يكن يعرف أن معنى ليندا فى الأسبانية «جميلة» .

ولكن الناس يؤخذون عادة بالألفاظ ، وقلما ألقوا بالا إلى المعانى .

ومن الأسماء الرائجة اليوم بين جماعات منا هذه الغرائب : فادى ، فادية ، نادين نورا (بالتفخيم)، ريما (بالألف الطويلة ، على أنها عندهم مونث ريم) ، مايا ، وأمثالها .

هذه كلمة فى الأسماء المعبَّدة وما يتعلق بها من قرب ، أرجو أن أكون قد كشفت بها عن جانب يستحق أن يخصه الباحثون بمقال أكثر تفصيلا .

عمر فروخ
عضو المجمع من لبنان

لغة الخبر الصحفي

للأستاذ سعيد الأفغاني

تنفق وزارات التربية والتعليم في العالم العربي مئات الملايين سنويا، لتزود الناشئين بعربية سليمة، بها يكتبون ويقرؤون ويتحدثون بطلاقة. ومتى صاروا في سن المراهقة انضم إلى آثار المدرسين فيهم أثر الصحافة؛ فإما نهضت بلاغتها بمستواهم وإما انحطت به فيما تنشر من ركاكات وأخطاء . . . ثم جاء أخيراً الجهاز الإعلامي الجديد: الإذاعة، فصرنا نلمس في غير ما قطر عربي ضعف بعض المذيعين في ثقافتهم عامة وفي لغتهم العربية خاصة، شأنهم في ذلك شأن بعض الصحفيين، حتى صارت الصحافة والإذاعة في بعض الأحيان أداة هدم، تهدم بالليل كل ما تعب في بنائه المدرسون في النهار، وطفقت الدول تنفق على الإذاعات والصحافة عشرات الملايين لهدم ما أنفقت في بنائه مئات الملايين.

من هنا كان خطر هذه الأجهزة عظيما في الخير وفي الشر، ولقد تصدى عدد من أولى الغيرة على اللغة للتنبيه على أخطاء شائعة منذ مطلع هذا القرن في مقالات متسلسلة في الصحف والمجلات، نفعت في وقتها ثم جدت غيرها بتأثير الترجمة الحرفية والضعف بالعربية، حتى لقد يئس بعض الغُيُرُ وقالوا: « لا علاج على الأرض لهذا الوباء » بعد أن قدموا خططا مختلفة للإصلاح لم يستجب لها. أقول هذا وأنا أعلم صحفا عدة في العالم العربي تولاها بلغاء، وقاموا على سلامة لغتها، فصارت مضرب المثل في نشر الفصحى بين العامة والارتفاع بمستواهم. إن الصحافة وكل جهاز إعلامي سلاح ذو حدين منه النفع ومنه الضرر. وأرى أن الإصلاح ممكن وأن العلاج في (ضمير) الصحفي والمذيع، فهو الذي يسوق صاحبه إلى أن يأخذ نفسه بإتقان لغته وتوخي السلامة لها وأن يقوى فيها بيانه وأداءه، ولا حاذ على الأرض أقوى من (الضمير).

بهذا التفاؤل أبدأ حديثي عن لغة الصحافة خاصا منها لغة الخبر[1] فقط.

(*) ألقي البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م).

(١) استعرت خمساً من نشرات الأخبار من مصلحة الإذاعة بدمشق لتكون الأمثلة منقولة بالحرف.

الخبر أول مايقصده قارئ الصحيفة أو المستمع إلى الإذاعة . فوجب أن تكون العناية به صوغا وأداء بالغة، من حيث سلامة لغته وجودة أدائه ، وإذا كان لكل فن بلاغته فبلاغة الخبر هى فى سرعة وعى القارئ أو السامع له دون عناء ، باللفظ السهل الموجز الخالى من التزويق أو التفخيم خلوه من الابتذال ، وألا يثقل الخبر بالعواطف السلبية ولا الإيجابية . وبعبارة ثانية أن يكون كالخط المستقيم: أقصر مسافة بين نقطتين: مراد الكاتب ووعى السامع أو القارئ . ولهذا أمور تعين عليه وأمور تعيقه .

فمما يعين عليه فى رأيى أمران : قصر الجمل ، ومراعاة فعلية الجملة العربية :

١ - قصر الجمل :

الجمل القصيرة أدعى إلى متابعة الذهن لها بيسر وراحة ، أما الجمل الطويلة فإما أن يضيع المقصود منها على القارئ أو المستمع وإما أن تسبب له - إذا اهتم بالموضوع - شيئا من الإرهاق . وإذا كان الضرر من طول الجملة يسيرا على القارئ فى صحيفة لإمكان إعادته القراءة والإمعان فيها فإن المستمع لا سبيل له إلى استعادة الخبر . هاكم مثلا على خبر أذيع ونشر الشهر الماضى :

«دعا وزير الخارجية الإيرانى فى تصريح أدلى به خلال توقفه فى مدريد وهو فى طريقه إلى نيكاراغوا - المشاركين فى اجتماعات مكتب التنسيق التابع لمنظمة دول عدم الانحياز - إلى تأييد النضال الشعبى الذى تخوضه نيكاراغوا ضد الاعتداءات السياسية والعسكرية والاقتصادية الذى (كذا) تقوم به الولايات المتحدة ضد نيكاراغوا » [١]

هذا الخبر جملة واحدة بدأت بـ (دعا)، ثم ترابط بعضها ببعض بظروف وحروف جر حتى انتهت . وربما يخفف من هلهلتها إعادة الفعل (دعا) قبل قوله (إلى تأييد) الذى فصله عن الفعل (دعا) ٢٢ كلمة ، ومع هذا تظل الجملة غير مستساغة الطول .

٢ - فعلية الجملة الخبرية :

تعنى الجملة العربية بالحدث قبل المحدث ، لذلك كثيرا ما يتصدرها الفعل . وحين تقوم أغراض بلاغية تدعو إلى العناية بالمحدث أولا يقدمونه ، وهذا طبعا غير وارد فى الأخبار ؛ لأن الهدف منها اطلاع القراء أو المستمعين على الأحداث الجارية . وقد كثر الخروج على هذه البديهية فى الأخبار وأكثر ما تشيع فى موجزات الأنباء فقد جاء فى النشرة السابقة : « الرفيق فلان . . . (وبعد ثمانى كلمات) يقول فى جريدة النهار . . . » ولو بدأ بالفعل (قال الرفيق . . فى جريدة النهار) كان أقرب إلى طبع العربية ، ولعل إلف الترجمة الحرفية السريعة مسؤول -إلى حد- عن تجاوز السليقة السليمة فى مثل هذا .

---

(١) النشرة الثالثة فى ظهيرة ١٠ / ١ / ١٩٨٣

ذلك بعض ما يعين على بلاغة الخبر ، أوحت به قراءتى لخمس نشرات حديثة ، ومن ما تراكم فى ذكراتى من أمثال لها فى غير قطر عربى . وأما ما يعيق هذه البلاغة-بلاغة الخبر- فأمور منها

١ - التلوث بآثار الترجمة الحرفية السريعة:

منذ القديم تسرب بين محررى الصحف ضعفاء بالعربية أقوياء فى لغة أجنبية ؛ وتحرير الصحف - كإعداد الإذاعات - تلاحقه السرعة باستمرار ، فتقذف الجرائد إلى السوق كل يوم كلمات وتراكيب ركيكة ، ويتلقفها القراء المحدودو الثقافة ، فتشيع حتى ليقع فيها البلغاء من حيث لا يشعرون ، ثم يتصدى لها المطلعون الغُيُرُ على لغتهم بالتخطئة والإصلاح ، ولو استشار المحررون معجما موثوقا به أو أحد العلماء أو رجعوا إلى مصحح متمكن فى صحيفتهم لخف الضرر .

لكن هذا أيضا لا يقوم به إلا متعلم . ولكل زمان أخطاؤه وانحرافاته ، وأنا أعرض إلى ما وجدته من ذلك فى نشرات الأخبار المذكورة ، ناظما ما تشابه منها تحت عنوان واحد .

٢ - اضطراب الأزمان فى الخبر الاعلامى الواحد :

الغفلة عن دقة المدلول الزمنى للأفعال فى اللغة العربية تربك قارئ الصحيفة :

وفى حيز نقل الخبر إلى الجمهور ، على الكاتب التزام صحة التعبير فى أسهل أسلوب، إذ لا مجال فيه للاستعارة والمجاز والأغراض البلاغية، فلهذا مقامات أخرى.

إنك لتضحك إذا قيل لك :(امس سيزورك فلان) وقد نألف هذا من بعض الأروام الذين ينطقون كلمات بالعربية ، فنستعيدهم الكلام لنفهم ما يريدون ، لكنا لا نستسيغ أن نقرأ فى صحيفة أو نسمع ن إذاعة فى بلد عربية مثل هذا الخبر :

« السيد الرئيس يتلقى اليوم مكالمة هاتفية من الرئيس اللبنانى » (١) وكانت المكالمة قد تمت قبل كتابة النشرة بساعات فما معنى (يتلقى) هذه،أو هذا الخبر « قوات الاحتلال الصهيونى تمنع قافلة للجيش اللبنانى من العبور » (٢) : ويكون المنع حصل قبل يوم على الأقل.أو تسمع مثلا فى إذاعة مسائية : (فى الساعة العاشرة من صباح اليوم يستقبل وزير الداخلية وفود المحافظات). فتتبسم عجبا من الفوضى فى استعمال الأفعال .

٣ - الفصل بين المتضايفين :

المضاف والمضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة (٣) ، فلا يفصل بينهما بالمعطوف

---

(١) النشرة الرابعة المسائية فى ١٤ / ١ / ١٩٨٣ (٢) النشرة الثالثة فى ظهيرة ٧ / ١ / ١٩٨٣

(٣) لدلالتهما على شىء واحد ، وقد أوقعت ضرورة الوزن بعض الشعراء قديما فعطف على المضاف قبل مجىء المضاف إليه ، والضرورات لا يقاس عليها .

وقع ذلك للأعشى فى قوله : إلا علالة أو بداهة سابح نهد الجزارة .

ولأبى زبيد الطائى فى قوله : يامن رأى عارضا أسر به بين ذراعى وجبهة الأسد

وحرف العطف ؛ فمن الخطأ الذى تروجه الصحف والإذاعات أمثال قولنا: (على مديرى ومعلمى المدارس الحضور ..) أو (رفع مديرو وموظفو وعمال شركة كذا مطالبهم إلى وزارتهم ...) والصواب أن يقال : (على مديرى المدارس ومعلميها) أو (رفع مديرو شركة كذا وموظفوها وعمالها مطالبهم) من ذلك ما جاء فى خبر (تشكل خطورة على ما أسماه أمن ووجود إسرائيل)[1] ، وفى خبر آخر (ومناقشة وتقويم الأحداث)[2] وظاهر أن الصواب (ما أسماه أمن اسرائيل ووجودها) و(مناقشة الأحداث وتقويمها). إن الصحف والإذاعة مسؤولتان عن شيوع هذه الركاكة حتى فسدت تعابير الناشئة والكبار من كثرة التكرار ، فهما ينبه المدرسون إلى الخطأ صباحاً ، تعقهم فى المساء المذيعة أو الصحيفة بالخطأ نفسه فيرسخ الخطأ وينسى الصواب. وما أشك فى أن أول من أذاع هذا الخطأ صحفى أو مذيع اشتغل بالترجمة الحرفية عن الفرنسية مثلا :

٤ ــ تتابع الاضافات :

تستسيغ العربية تتابع إضافتين مثل : (خالد تلميذ مدرسة الميدان) وإن كان قولك (تلميذ فى مدرسة الميدان) أسوغ وأخف ، فإن زدت إضافة ثالثة (كتاب تلميذ مدرسة الميدان) وقع الثقل ، فإن زدت إضافة رابعة فأنت فى بحبوحة الثقل وغايته ، كما جاء فى خبر «إن وزراء دفاع دول معاهدة وارسو سيعقدون اجتماعهم»[3] وزاد كرم محرر الخبر فأتحفنا بخامسة حين قال : « لجنة وزراء دفاع دول معاهدة وارسو تتابع اجتماعاتها فى براغ ».

ولو فصل هذه القنانى الخمس المركوز بعضها فوق بعض عمودياً فقال (لجنة وزراء الدفاع لدول معاهدة وارسو) لزال المحذور ، فإذا كانت الترجمة الحرفية هى التى جنت على المحرر لأن الخبر مترجم فما عذره فى قوله (.... يصدر مرسوماً بتحديد موعد إجراء انتخابات مجالس المحافظات ...)[4] فهل هذا مترجم أيضا ؟ للترجمة الحرفية بلاء على ملكة المترجم بحيث لا تمضى على معاناته لها مدة حتى تفسد ملكته ويقضى على أصالتها . وله أن يستغنى عن كلمة (إجراء) لعدم ضرورتها فيقول (.. مرسوماً بتحديد موعد لانتخابات مجالس المحافظات) إذاً لأراح واستراح وعافى الناس من الركاكة . ومثل ذلك ما جاء فى خبر (أمين سر منظمة طلائع حرب التحرير)[5] .

(١) النشرة الثالثة فى ظهيرة ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٢) النشرة الرابعة مساء ١١/١/١٩٨٣

(٣) النشرة الثالثة فى ظهيرة ٧/١/١٩٨٣

(٤) موجز النشرة الأولى فى صباح ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٥) النشرة الرابعة فى ١١ / ١ / ١٩٨٣

٥ ـ عدوى الخطأ :

مضى على بعض الأقطار العربية عشرات السنين تتداول مصطلحات عربية صحيحة لمقابلاتها الأجنبية ، ثم سرت إليها عدوى من غيرها الذى ما يزال مبقيا على ركاكات المترجمين :

من ذلك قولهم أمين عام التنظيم ، مدير عام السكك الحديدية ، وهذا أشنع تركيبا من تتابع الإضافات ؛ إذ ليس فى التركيب إلا إضافتان وهذا ليس بمستنكر ، إنما المستنكر إضافة كلمة (عام) النكرة إلى (التنظيم) وإلى (السكك) إذ مامعنى (عام التنظيم) و(عام السكك)؟ إن الإضافة تكون لمعنى وهذه لا معنى لها ، فليس شىء اسمه (عام التنظيم) ولا(عام السكك) فحين تقول (أمين وزارة الداخلية) مثلا تدرك أن لكل من الإضافتين معنى مفهوما فـ(وزارة الداخلية) واضحة المعنى، وكذلك (أمين وزارة الداخلية) ، أما حين تقحم بينهما كلمة (عام) فيسقط التعبير لأن (عام وزارة الداخلية) لا مفهوم له ولا يدل على شىء . وهذا لحن وركة تسربا إلى بعض الأقطار حديثا ، مع أن الصواب ما كانت درجت عليه من قولها (الأمين العام لوزارة الداخلية) وهو التركيب العربى السائغ الواضح الدلالة الذى كنا نستعمله منذ أزمان فى عدد من الأقطار . وما أظن أنى سمعت مثل هذه الهجنة النابية إلا من قريب فى إذاعة الأردن وسورية . والأمل أن نلتزم السلامة التى كنا عليهافنقول (الأمين العام لوزارة الداخلية)و(المدير العام للسكك الحديدية) ؟

ومما وقع فيه العدوى أيضا كلمة (كادر وكوادر) ، فمنذ أكثر من أربعين عاما نستعمل كلمة (ملاك وملاكات) لأجهزة الدولة والمؤسسات ، فملاك وزارة أو شركة مجموع الدرجات فيها لموظفيها ولعددهم فنقول مثلا (ملاك وزارة العدل مئتا قاضى صلح ومئتا قاضى بداية واستئناف وتمييزه وخمسون مفتشا وخمسمائة كاتب من درجة كذا و . . .) ووقعت النكسة من سنوات قريبةفصرنا نسمع من بعض الصحفيين والإذاعات بـ (كادر وكوادر) الفرنسية بينما لا يزال الاسم الرسمى كلمة (ملاك) ، جاهلين ما قطعته بلادهم من خطوات ، كذلك عاد إلى الظهور ـ بدل الاتفاقات ـ الكلمة الأجنبية (بروتوكولات) على سماجة اللفظة وثقلها . وكنت لا تقرأ فى الصحف إلا (مديرين) جمعا لمدير ، فأخذ بعضهم فى الصحف والإذاعات يقول (مدراء) وهو جمع خطأ جدا ؛إذ لانقول فى جمع مشير مشراء ولا فى جمع معيد معداء ، وسألنا صاحب الجريدة مرة عمن كتبها فى جريدته فامتعض وقال: هو مسجل ويتطوع أحيانا فى إعانة بعض المحررين . . . وكانت إذاعة دمشق وصحفها منذ إنشائها ، حتى الآن تقول (سينشأ الضباب صباحا) ، ثم تسرب إليها فى فترة قصيرة كلمة (الشبورة) بدل (الضباب) وهى من دارجة بعض قرى لبنان

ثم رجعت كلمة (الضباب) بفضل يقظة مسؤول فيما أقدر .أكتب الله علينا أن يقود مخطئنا المصيب ؟ .

وجاء فى نشرة واحدة مرة (أذاع راديو بيروت) وفى نشرات بعدها (قالت إذاعة بيروت) أهناك اتجاهان فى إذاعة واحدة؟ أحدهما يقول : إذاعة بيروت ، والآخر يقول : راديو بيروت ؟.

مازلت أقول إن (الضمير) أشد ما نحتاج إليه فى أعمالنا .

٦ - كلمات تدل على غير المقصود منها :

جاء فى نشرة صباحية فى ٩ / ١ / ١٩٨٣ (ليقوموا بواجباتهم) والكاتب يريد(بالراجب عليهم) ، واجبى ما يجب لى عليك ، والواجب علىّ ما ينبغى علىّ القيام به تجاه غيرى والفرق بينهما جلى .

وجاء فى نشرة أخرى « ما سبق للعرب أن أقروه فى سابق اجتماعاتهم»[1] اللفظ يدل على ما سبق اجتماعاتهم ، وهم لا يريدون هذا ، بل يريدون ما قرروه فى اجتماعاتهم السابقة ، وفرق ظاهر بين التركيبين .

وجاء فيها أيضا « وقد فشلت سلطات الحكم العسكرى الصهيونى فى مساومته ». وهم يريدون (وقد أخفقت)،لأن معنى الفشل : الضعف ، ومعنى الإخفاق الخيبة وعدم النجاح ، والفرق بينهما واضح :

وجاء فى خبر آخر قولهم (إن التضخم المالى سيرتفع بمعدل ١,٤ بالمئة عن نفس المعدل فى التضخم خلال العام الفائت[2]) .

كلمة نفس لها معنيان : الأول واحدة من النفوس ، والثانى : التوكيد ؛ فأما المعنى الأول فتقدم فيه كلمة (نفس) تقول :(نفس الرجل طيبة) وفى المعنى الثانى :التوكيد ، يجب أن تتأخر (نفس) حتما ، تقول (رأيت الرجل نفسه)،وفرق كبير بين (نفس الرجل) و (الرجل نفسه) وتقديم المؤكِّد على المؤكَّد لحن تسرب من الترجمة الحرفية وعدم الانتباه إلى اختلاف اللغات فى استعمالاتها . والصواب أن يقال (سيرتفع بمعدل ١,٤ فى المئة على المعدل نفسه خلال العام الفائت .

أما قولهم :وهذا إن دل على شىء فهو يدل على اهتمامنا :فهو تركيب درج منذ سنوات وهو مترجم حرفيا عن تركيب أجنبى يوردون أمثاله خطأ فى مقام تقوية الدلالة على شىء ما وهو هنا الاهتمام . والذى ينعم النظر فى التركيب يجده على العكس ، فهو يعنى أن هذا لا يدل على شىء ؛ فإن كان فيه دلالة على شىء ما؛فرضا— فهو يدل على الاهتمام . وهذا مع ركته مضعف للمعنى المراد ،

---

(١) الثالثة فى ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٢) النشرة الأولى فى ٧/ ١ / ١٩٨٣

والصواب إسقاط الجمل الشرطية كلها بحيث يبقى (وهذا يدل على اهتمامنا) ، فإن أردنا الحصر قلنا (وهذا إنما يدل على اهتمامنا) .

٧ – متفرقات مما يشيع الآن فى الصحف والاذاعة :

أتكلم هنا على خمس كلمات لا يجوز إغفال التنبيه عليها لتسربها إلى الخاصة أيضا فهى من الخطأ الحديث:

يتمركزون ويتمحورون: « يتمركزون[١] فيها » فى العربية (يركزون) ولا داعى إلى إقحام الميم ثم الاشتقاق منها فليست من أصل الكلمة .

وفى خبر[٢] : (دعا إلى نبذ التمحور حول الأنباء القطرية) هذه أبشع من الأولى ومعناها غير صحيح ، هم يريدون معنى (يدورون حول الأنباء القطرية) وأتوقع أن يتجنب الإعلاميون هذه الركة ؛ حفاظا على لغة الصغار والكبار حتى العلماء منهم ، فإن التكرار الكثير للفظ الهجين على السمع يزلقه على ألسنتهم من حيث لا يشعرون ولا يريدون .

أكد على :

وجاء فى خبر واحد (. . التى أكدت عليها المؤتمرات . . . يؤكد يوميا على التزامه)[٣] يتكرر هذا اللحن فى كل صحيفة ونشرة تقريبا فيصعب إحصاؤه ، والجملتان السابقتان من خبر واحد وقد مل المصلحون من الإشارة إلى هذا اللحن ، فالفعل (أكد) ينصب مفعوله بنفسه ، وإقحام (على) بعده هجنة قبيحة ، وتكرارها هو الذى أشاعها ، والصواب أن نقول (أكدتها المؤتمرات) و (يؤكد يوميا التزامه) أى بإسقاط (على) بعد (يؤكد) .

أى :

فى خبر « لم يتقرر بعد عقد أى قمة »[٤] «منعت دخول أى طالب»[٥] «تعارض أى علاقة مع الكيان الصهيونى »[٦] هذه الاستعمالات لم تقتصر على الصحف والإذاعة ، بل عمت بها البلوى حتى تسربت إلى الكتب المدرسية والثقافية بل إلى اللغة الدارجة ، التى يتفاصح بها ، وصارت كالوباء الذى عم وطم ، وأصلها الترجمة الحرفية الخاطئة لـ (Any)

الإنكليزية ، وهذا المعنى لا ينطبق على (أى) العربية التى حصر استعمالها فى الاستفهام والشرط والموصولية والكمالية . والكلمة الصحيحة التى يجب أن تحل مكانها هى كلمة (كل) قبل المضاف إليها أو كلمة (ما) الدالة على التنكير بعدها فنقول (لم يتقرر بعد عقد قمة ما) ، «منعت دخول كل طالب » ، « تعارض كل علاقة مع الكيان الصهيونى » .

---

(١) النشرة الأولى فى ١٠ / ١ / ١٩٨٣
(٣) النشرة الأولى فى ٢٠ / ١ / ١٩٨٣
(٥ ، ٦) النشرة الرابعة فى ١١ / ١ / ١٩٨٣
(٢) النشرة الرابعة فى ١١ / ١ / ١٩٨٣
(٤) النشرة الثالثة فى ٧ / ١ / ١٩٨٣

مع :

كلمـــة (مع) تأتي بعد جملة تامة الدلالة وتعنى مصاحبة ما قبلها لما بعدها ، فمجيئها قبل أن تتم الجملة هو محط الإنكار . وفى العربية أفعال تدل بطبيعتها على المشاركة ولا يأتى فاعلها واحداً، بل متعدداً مثل (اجتمع ، اتفق ، تشارك) تقول : اتفق سليم وخالد ، واجتمع البائع والسمسار ، تشارك المجتمعون ، فإن قلت (اتفق سليم) كان قولك غير جملة ، لأن الفاعل لم يستوف بعد ، ولا تأتى هنا كلمة (مع) البتة بل لا بد من معطوف بالواو فنقول (اتفق سليم وخالد) . وعلى هذا فقول بعضهم (اتفق سليم مع خالد) لحن غير جائز . جاء فى الأخبار هذه الجمل (وكان قد اجتمع مساء أمس مع السفير الأمريكى)(١) والصواب اجتمع هو والسفير) أو (اجتمع بالسفير) وجاء أيضا : «للالتقاء مع المسؤولين ....لعقد اجتماعات مع المسؤولين»(٢) والصواب (للقاء المسؤولين ... لعقد اجتماعات بهم) . وأعجب مما تقدم خبر جاء فيه «قال وزير الخارجية الإيرانى : إن حرب بلاده مع العراق هى حرب دفاعية»(٣) أكانت إيران والعراق تحاربان معاً فى صف واحد حتى نقول (مع) ؟ هذا مايفيده الخبر عربياً. إن المكان هنا لحرف (اللام) لا ل(مع) التى عكست المعنى : والصواب : «إن حرب بلاده للعراق هى حرب دفاعية» . كذلك قولهم (اتفقت إنكلترا مع فرنسا) خطأ لأن (اتفقت إنكلترا) ليست جملة فلا تأتى بعدها (مع) ،و(اتفق) فعل مشاركة ينبغى أن يكون فاعله متعدداً ، والصواب (اتفقت إنكلترا وفرنسا) .

هذا :

تكثر كلمة هذا فى الأخبار والإذاعات والبيانات ، مفردة مبتدأ لا خبر له ، بل لا معنى للكلمة البتة ، وحتى الآن لا نعلم المراد منها . ولا خبر لها قد يفهم من قرينة أو كلام سابق . فمن عرف خبرها ومعناها فليفدنا أفاده الله ، هى كالنقطة بين كلامين ، استحدثت قريباً جـــداً ، فلتسموها (هذا الإذاعية) لا معنى ولا إعراب ، هى صوت والسلام .

وبعد ، فكل منا فى مجاله يستطيع إزالة التشويه عن صفحة البيان العربى الناصعة ، وقد أنيط بنا جميعاً ـ صحفيين ومذيعين وجامعيين ومجمعيين ومدرسين ومسؤولين ـ رفع لواء العربية ووقايتها من كل ضعف، وضمائر المسؤولين عن الصحف وسائر أجهزة الإعلام هى التى تجعل منها أداة هدم أو أداة بناء .

سعيد الأفغانى
عضو المجمع المراسل من سورية

(١ ، ٢) النشرة الثالثة فى ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٣) النشر .

لغة الصحافة في القطر الجزائري

للأستاذ أحمد توفيق المدني

أيها العلماء الأعلام والزملاء الكرام .

استجابة للقـــرار الذي اتخـــذته هيأتكم الموقرة ، القاضي بجعل موضوع لغة الصحافة خلال العصر الحديث ، موضوعا أساسيا تدور حوله مناقشات دورتنا الحالية، يسعدني أن أقدم هذه الملاحظات حول صحافتنا العربية بالقطر الجزائري ،وهي، والحمد لله، صحافة مزدهرة يانعة سليمة الفكر ، جيدة التحرير ، حاملة قسطها الأوفى في نشر اللغة العربية وإحلالها المقام اللائق بها ، في أرضها ، وبين أهلها وذويها .

ولا تجهلون سادتي الجلة أنه منذ ربع قرن كامل ، كانت الجزائر تخوض معركة الحرب التحريرية الوحيدة في العالم العربي من حيث طولها الذي زاد عن سبع سنوات عجـــاف ، ومن حيث شـــدتها وفظاعة وقائعها ، ومن حيث وحشية المستعمر في قمعها ومحاولة القضاء عليها وكذلك من حيث الانقلاب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي أحدثته بعد النصر المبين . فمن خرائب الاستعمار الفظيع الذي ملك الأرض وما فوقها وما تحتها ، وجعل ابن البلد الحرخادما ذليلا حقيرا ، أخرجت دولة مسلمة عربية فتية ، قوية ، محترمة الجانب لواؤها مرفوع وكلمتها مسموعة :

إن جزائرنا اليوم ومنذ عشرين سنة فقط ، ذات حكومة مركزية قوية ، يديرها حزب واحد هو الذي قاد الأمة في معركة التحرير الشامل ، فرفع العلم ووطد أركان الاستقلال . وهي ذات مجالس شعبية عديدة ، ولها ميثاق وطني ، ودستور صودق عليهما من طرف الشعب بما يكاد يشبه الإجماع ، وكلاهما يقرر بصراحة أن الإسلام دين الدولة ، وأن العربية هي لغتها الوطنية وأن الاشتراكية هي نظامها الاجتماعي والاقتصادي —والبلاد تسير ضمن هذا الإطار سيرا متواصلا ، فهي ترعى الدين الإسلامي وتحميه . وتنشئ في كل مكان المساجد العديدة البهية ، وعما قريب تفتح أبواب الجامعة الإسلامية الكبرى في مدينة قُسَنْطينة، ثم هي تعلم العربية الفصيحة بلهجتها القرآنية " :يد عن الأربعة ملايين من صبيان الأمة ذكورا وإناثا ، أي خمس عدد السكان البالغ ٢٠مليونا ، وهي ماضية في تعريب الثانويات والكليات بصفة مستمرة

(*) ألقي في الجلسة الرابعة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الخميس ١١من جمادى الأولى سنة١٤٠٣ﻫ الموافق ٢٤ من فبراير سنة ١٩٧٣ م) .

وقد تم تعريب عدد كبير منها كالحقوق والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، والعلوم الاجتماعية .

أما الصحافة عندنا فهى تابعة كلها للنظام السياسى الحاكم . نظام حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، وليست لنا إطلاقا صحف معارضة ، ما دمنا متفقين على الأسس ، إلا أننا نملك ونستعمل حرية النقد اللاذع والتوجيه الصحيح ، وتشمل الصحافة العربية عندنا ثلاث صحف يومية سليمة التفكير ، جيدة التحرير ، هى : « الشعب » بالعاصمة الجزائر ، و« النصر » بقسطنطينة فى شرق البلاد ، و« الجمهورية » بوهران فى غربها . كما لنا عدد لا يستهان به من المجلات الثقافية والعلمية والأدبية والفنية ، أهمها . المجاهد الأسبوعى ، والأصالة ، والثقافة ، والمرأة الجزائرية والجيش ، ومجلة التاريخ ، ونحو عشر مجلات شهرية أخرى .

أما الكتابة فى هذه الصحف والمجلات فهى — كما سترون — من النثر العربى الفصيح ، ربما تمتاز بالجودة ، والمتانة ودقة التعبير لا يستعمل من العربية القديمة غريبها[1] ، بل هو منطلق من البيان القرآنى المدهش ، الذى يدخل الأذن بغير إذن ، ويسمو بالفكر وبالروح معا إلى أعلى الدرجات ، فالصحافة عندنا من حيث التحرير ومن حيث التفكير ، لا تشرف الجزائر وحدها ، بل هى تشرف مغربنا الكبير ، وتشرف عالم العروبة الفسيح .

ولقد رأيت أن أنقل لجمعكم السعيد نبذا مما تكتبه عندنا مختلف الصحف والمجلات متناولة شتى المواضيع ، لكى تروا سادتى الحلة رأى العين ، سلاسة التحرير ، ودقة التعبير ، ولكى تطلعوا — حفظكم الله — على على ما يشغل الرأى العام عندنا من مشاكل العرب — وما أكثر مشاكل العرب — ومشاكل العالم ، ومشاكلنا الداخلية الخاصة[*] .

---

(١) ولا يستعمل من العامية شيئاً .

(*) ولى قبل ذلك ثلاث ملاحظات أود بيانها : أولا : أنى لا أريد من وراء ما سأقدمه لكم ، إطراء للجزائر ، أو تنويها بشأنها كلا . فلست والحمد لله إقليميا ، إنما أريد أن أقدم لكم صورة حية من صور الكفاح فى بلد كان فرنسى الجنسية واللغة والحكومة ؛ وكانت العربية محرمة الاستعمال فيه ، يعاقب معلمها ومتعلمها إلا ما ندر ، ولم تكن له منذ ربع قرن إلا صحيفة واحدة ، تمثل العروبة والإسلام الصحيح ، هى "البصائر" ، وما أدراك ماهيه . ففى عشرين سنة من الاستقلال الشريف ، أصبحت لنا ، وبفضل أبنائنا ، هذه الصحف التى ذكرت ؛ ونكتب يوميا وأسبوعيا مثل ما سأقدمه لكم .

ثانيا : أنى إن تكلمت عن الصحف الجزائرية ، فكأنى أتكلم عن صحف المغرب العربى عامة ، فلغتنا واحدة فى المغرب الأقصى الشقيق المحبوب ، وفى تونس العزيزة الغالية . وطريقة تفكيرنا واحدة ، وآمالنا البعيدة واحدة . وجهادنا العنيف فى سبيل الإسلام واللغة والوطن واحد .

ثالثا : تعقيباً على ما جاء فى المحاضرة القيمة الجيدة التى تفضل بها الأستاذ الجليل سعيد الأفغانى بالأمس ، أقول إن كتاب الأخبار فى كل صحفنا ، ربما وقعوا فى نفس الأخطاء اللغوية أو النحوية التى تفضل بذكرها فالصحيفة =

١ – الدين الاسلامى :

تقول صحيفة الجمهورية تحت عنوان « الإسلام قوة وحضارة » .

«لقد كان الدين الإسلامى وما يزال كاسحا للجهل بجميع أشكاله وهو من بين الديانات جميعا أقرب إلى العقل وأكثر تقبلا للتلاؤم مع الإنسان فى مغامرة الوجود المتجددة لأنه يعيد عن الهمجية ومظاهر الجهل ومتناسب هو وذكاء الإنسان ؛ لأن العقيدة الإسلامية هى الوحيدة المعروضة دون لبس أو غموض .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الإسلام هو قوة حضارية .

إن الإسلام تحصّل على قوة البعث والانبعاث لارتباطه بالواقع فى أصوله وجذوره وهو حياة الجماعة ونظامها الاجتماعى ويكفل توزيع الخيرات بالعدل بين الناس وهو التعاون فى جميع صوره وأشكاله، هو التعاون بين الضعيف والقوى وعطف الغنى على الفقير ، وأساسه العمل فى ظل الحرية والنظر إلى مستقبل الحضارة والرقى نظرة واقعية. وعندما تعود الحضارة الإسلامية –وهى عائدة لا محالة – فإنها تعود بروح جديدة وطموح . إن العلماء قد فسروا الإسلام بشكل يتفق والمصلحة العامة ، وكانوا يستنبطون من القرآن ما ينفع الناس .

وبعد ذلك جاء بعض الزنادقة الذين كانوا يجهلون روح القرآن الحقيقية وبدأت البدع والخرافات الخاطئة التى أبعدتهم عن القانون الإسلامى، مما جعل الشعوب الإسلامية تعيش فى فتن مزقت شملهم وفتحت الأبواب للاستعمار الأجنبى .

إن ما تحتاج إليه العالم الإسلامى اليوم هو إعادة اكتشاف الإسلام كما مورس أيام الخلفاء، وتطويره كما طوره المجتهدون والعلماء من الرعيل الأول الذين تفهموا روح القرآن الحقيقية .

لأن القرآن الكريم يعلمنا أن الحياة هى عملية خلق متطور وثابت. ولكل جيل الحق

= اليومية تقتضى السرعة فى الإنشاء والتجهيز ، وهذا ما يمكن أن يحدث الخلل فى السياق العربى المتين، وكتاب الأخبار فى كل الصحف العربية شرقا وغربا ، ليسوا جامعيين ، ولا مجمعيين بل هم فى الغالب من المترجمين و كتاب الطبقة الثانية أو الثالثة . ونرجو أن يجىء وقت قريب يستريح فيه قراء العربية من هذه التراكيب النابئة .

رابعا : ليست لنا فى الجزائر ولا فى أى قطر من أقطار المغرب العربى صحف باللغة العامية . وليست لنا فى كل بلادنا المغربية ، دعوة لإحلال العامية مكان العربية الفصيحة . بل إننا جميعا نجاهد الجهاد الكبير فى سبيل رفعة العربية وانتشارها ، حتى تصبح قريبا بحول الله ، لغة العامة والخاصة .

بعد هذا أعود للموضوع فأقدم لكم شيئا مما جاء فى الصحف الجزائرية عن مختلف الشئون .

فى حل مشكلاته الخاصة، فعلى الجيل الحالى من المسلمين أن يتفهم روح القرآن الحقيقية وفق مبادئه العامة، فى ضوء تجربتهم المريرة وشروط كبيرة فى العمل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، من معانى الرقى والتقدم من أجل سعادة الإنسانية. ولكى يستطيع المسلم أن يحقق ذلك عليه أن يرسى عقائده بشجاعته وبقوته المعنوية لتجاوز السلبيات التى كانت وما زالت سببا فى تدهور أمته العظيمة، بعد انتصار ساحق على كل مظاهر السلبية، وبعد كل التطور والتقدم الذى عرفته الأمم والشعوب التى ارتضت الإسلام دينا، ولتركيز الضوء على سلبياتنا التى ينبغى محاربتها نستطيع أن نقول إن الشرائع الدينية المتعلقة بتنظيم المجتمع لم تكن جامدة كما يعتقد الغربيون بل كانت تتطور يوما بعد يوم. ومن المؤكد أن حالة الشعوب الإسلامية أصبحت مريعة لكن ذلك لايعود إلى الإسلام وإنما عكس ذلك؛ فجمود المسلمين اليوم سببه التخلى عن الشرائع الإسلامية والتباعد عنها أكثر فأكثر.

وهذا يعنى العودة إليه لأن هذه الأمم لاتصلح إلا بما صلح به أولها كما قال مالك رضى الله عنه».

٢ – مقاومة الاباحية والتحلل :

تقول «الجمهورية» أيضاً :

«فى قاموس الخير نجد كل معانى العظمة والكرامة والوطنية والجهاد والإيثار ونكران الذات واحترام القيم، والتقاليد والعادات الحسنة.

وفى قاموس الشر نجد كل معانى الانحلال والإباحية والجبن والخيانة وحب الذات، والتنكر للقيم والعادات الحسنة، ونشر العادات السيئة، وفى قاموس الشر يكمن التفكك، الذى يجد صاحبه نفسه جاهلا كل شيء عن مجتمعه، وإن عرفه فإنه يسعى إلى تقديمه بصورة لا تتفق والواقع، لأن حب الذات وعبادتها يدعو دائما صاحبه للقيام بأعمال منافية للمجتمع، وما دام الأمر يتعلق بكسب مادى فإن هؤلاء يجتهدون ولو بالافتراء على الواقع، وتزلفا وقربى، للوصول إلى الهدف.

فهل، حقا، أصبحت الشهرة الأدبية تتم اليوم عن طريق كتابة روايات إباحية، وكتابات لا أخلاقية؟ يبدو أن هذه الشهرة وإن تحققت لأن «الموضة» كذلك، فهى شهرة زائفة، وستذهب أدراج الرياح، كما ذهبت شهرة الحلاج وغير الحلاج؛

ذلك أن أدب العورات، الذى يحاول البعض نشره تقليدا لموجة غربية، هو أدب بائد لا محالة، فعندما يجمع هذا الأدب فى جملة واحدة، بين كلمات كهذه «كان يمارس العادة ـــ» «ـ وكان معلم قرآن وعضوا فى جمعية العلماء» فهذا

يعنى أن كلاما كهذا هـو إلى الهذيان أقرب منه إلى الأدب ، وقد يستمر صاحبه فى الهذيان حتى يقول سخفا ، لا شعرا ولا أدبا .

قد يقولون فى كل من كتب مثل تلك الفقرة ، أو فيمن يريد إشاعة أدب « العورات » هو أديب ثورى وتقدمى، وهذا يدعونا إلى الترحم على الثورية ، إذا كان ذاك مقياسها، وعلى التقدمية، إذا كانت الإباحية معيارها ؛ لأننا سنصف كل من قال « وكان صديقا لعلى أبو طالب » — هكذا — والغلط من عندهم ، سنصفه بالثورية كما قد يصفون كل من ندد بالإباحية وأدبها بالرجعية والسلفية وقراء « الكتب الصفراء » كما جرت العادة من قبل .

لكن، إذا كان رفض أدب الإباحية ، يعنى بالضرورة إلصاق تهمة الرجعية ، فهل من الثورية ، أن تقـول أديبة : وفى جلسة سمر التقيت فيها بنزار قبانى ، على كؤوس . . . . .

وبعد ، لقد حمت حول الموضوع ، ولم أدخل فى صميمه . لأنه ليس من اختصاص الصفحة الخوض فى مثل هذا الموضوع ، ومع ذلك فإننا نؤكد ، أن معلم القرآن سيظل خادما لهذا الكتاب العظيم وستبقى الجزائر تذكر بوفاء مآثر رجال جمعية العلماء . وسيظل على بن أبى طالب — رضى الله عنه — رمز البطولة والفصاحة ، لو فكك بعضهم نفسه إلى أجزاء ، ثم التحم بأجزاء أخرى من ذوى أدب العورات والمعرة ، لما استطاع أن يأتى بحديث من مروياته أو خطبة من خطبه .

لقد قلنا شيئا ، وبقيت أشياء ، نرجو مخلصين ، من هؤلاء الإباحيين ، عدم الخوض فيها لأن ذلك يعنى نشر الغسيل على الملأ ، ولأن قصص المجون والفساد أصبحت ممجوجة ، ولو طعمت بأغراض ومجتمع يسعى إلى بناء ذاته ومستقبله، انطلاقا من واقعه ؛ فهو مجتمع يسمو عن قصص السخف والدعارة والانحلال .

ومن هنا ،تبدو بعض القصص والروايات المتداولة والمعلن عنها للإشهار ، روايات لا قيمة لها أخلاقيا ، على الأقل من وجهة نظرى . أما فنيا ، فقد كان لها الحظ فى تقييمها من طرف غيرنا . وكان لها الحظ أيضا . عندما وصفت بالثورية ، وأصحابها بالثوريين . وكما قلت ، فكم هى مغبونة تلك الكلمات وخاصة فى الوطن العربى ، ومسكين من وصف بها تملقا وزلفى ، لأنها أوصاف ما أريد بها وجه الله .

وأخيرا ، لقد كان من المفروض أن تنشر هذه الكلمة فى الصفحة التى نشر فيها التفكك ، ويأبى الله ورسوله إلا أن تنشر فى رحاب الكتاب والسنة ، لأنها كلمة خير ، أما الذين يزعمون أن الكتابات الإسلامية ليست أدبا ، فنشكر الله على ذلك ، لكن هؤلاء ينسون أنهم لا يزالون عالة على تلك الكتب التى هى محور رسالات جماعية ، وستبقى كذلك » .

٣ ــ أما فى ميدان السياسة العربية ، فتكتب صحيفة الشعب ، تحت عنوان :

(لبنان يدفع)

«تتحدث التقارير الصحفية عن المأزق الذى آلت إليه المفاوضات الثلاثية ، وصعوبة التوفيق بين المطالب اللبنانية فى إجلاء الاحتلال الإسرائيلى عن لبنان ، أو بين الأطماع الصهيونية فى تكريس نتائج الاحتلال لهذا البلد .

وهذه الصعوبات الطارئة لم تفاجئ بطبيعة الحال إلا أولئك الذين كانوا يتخيلون أن قوات الاحتلال الصهيونى دخلت إلى لبنان لمجرد القيام بحملة تأديبية ضد قوات المقاومة الفلسطينية ، وأنها ستنسحب من تلقاء نفسها بمجرد تحقيق هذا الهدف :

والواقع أن التذرع بتصفية وجـود المقاومة الفلسطينية من لبنان لم يكن إلا شجرة من غابة الأطماع الصهيونية التاريخية فى لبنان .

إن ما عرضته إسرائيل فى جلسات المفاوضات المتنقلة بين « خلدة » و« كريات شمونة » يوضح بكل بساطة أنها لا تريد فقط تحويل لبنان إلى بلد منزوع السلاح نهائيا ، ولكن تحويله إلى مجرد بلد تابع ومجال حيوى واستراتيجى أيضا .

ولكن فى مقابل هذا الإصرار الصهيونى على تحقيق جميع أطماعه والتهام لبنان سياسيا وعسكريا ، ماذا يملك لبنان المحطم الجريح المحتل لرفض إدارة المحتل الذى يجثم على نصف أرضه عسكريا وسياسيا .

لا شيء غير التفرج العربى الذى تركه يواجه مصيره المحتوم ألا وهو الاستسلام أو المحو من الخارطة السياسية للمنطقة . أما ما يقال عن الاستياء الأمريكى من التصلب الصهيونى فى المفاوضات فليس إلا مجرد مسرحية ، وذرا للرماد فى العيون ؛ فإسرائيل دخلت إلى لبنان بإرادة أمريكية وهى باقية بإرادة أمريكية ومطالبها جزء لا يتجزأ من الإرادة الأمريكية ومصالحها من صميم المصالح الأمريكية :

إن الأمل فى قدرة أمريكا على الضغط على إسرائيل هو بمثابة انتظار الضغط من شارون على بيغن أو العكس .

إن مهزلة الاستياء الأمريكى مهزلة من فصل واحد ، وستنتهى هذه المهزلة بإعلان عجز أمريكا انطلاقا من التجربة بأن الضغط لن يؤدى إلا إلى نتائج عكسية ، وسيطلب

من لبنان–مادام لا يستطيع مواصلة الرفض– دفع ثمن التصلب الصهيوني والعجز الأمريكي والغياب العربي » .

وفي نفس الموضوع ، تكتب مجلة المجاهد ، وهي اللسان الرسمي لجبهة التحرير الجزائري، تحت عنوان :

« الكلام الردىء ، في الزمان الردىء » :

«ما بعد بيروت، جملة ما تزال تتصدر عناوين الصحف ، ولا يكاد يخلو منها أو من مضموتها أي تحليل ، بصرف النظر عن هوية الكاتب ونيته .

نقرأ ذلك ونسمعه كأن بيروت نهضت من كبوتها واستعادت عافيتها أو كأن ما أصابها ، وأصاب أهلها ، لا يزيد عن كونه حادثا من الحوادث التي تقع في هذه المدينة أو تلك ، بين حين وآخر لسبب من الأسباب العادية .

نقول ذلك ونتعود على سماعه ، وكأن الاجتياح الصهيوني الهمجي ، المدعوم فكرا وعملا، من قبل الإمبريالية الأمريكية، الذي حصد الرؤوس ، وزرع الدمار ، وخرب النفوس ، وما يزال شبحه الرهيب يلقي بظله الأسود على ربوع لبنان . . يلاحق الثكالى والأيتام . . كأن شيئا من ذلك كله لم يحدث ، وكأن بيروت ليست هي لبنان، وليست أول عاصمة عربية مستقلة ، تطؤها أقدام الصهاينة ، منذ بدأ الصراع العربي الإسرائيلي المرير .

إن هذا الـ (ما بعد) الذي أصبح محور ردود أفعالنا ، تجب مقاومته لأنه لا يخلو من مضامين ، هي في الأساس من إيحاء العدو .

إننا نقول ذلك ، وكأنه ما كان ولم يعد يهمنا من أمر بيروت إلا خروج المقاومة وما دمنا قد حققنا ذلك ، فلا يحق لنا أن نفكر في بيروت ، ولا فيما لحق شعبها ، بل من اللائق أن ننتظر (ما بعد) أخرى ، تكون منطلقا لما نقول ونردد . إن رجحان كفة العدو طوال حقبة الصراع العربي الإسرائيلي لايعود فحسب إلى تفوقه في امتلاك أحدث الأسلحة، وتحكمه في كيفية استعمالها. ولهذا نراه عمد ، وما يزال، إلى شل الإرادة العربية بالحرب النفسية ، يمهد بها لكل عدوان ، ويؤكد بها كل انتصار عقب حرب١٩٦٧. وقف موشى ديان على حافة قناة السويس ، وقال للصحفيين ، مزهوا بانتصارات جيشه :(لن تقوم للعرب بعد اليوم قائمة . . ولن يفكروا في شن حرب على إسرائيل. إننا اليوم نسكن في عظامهم!).

ولما انصرف ، انفرد به أحد الصحفيين وقال له : هل تعتقد حقا أن إسرائيل انتصرت وضمنت السلام أمام هذا البحر العربي الذي يعد بالملايين ، ويزخر بالإمكانيات ؟

التفت ديان إلى محدثه ، ورد عليه قائلا في شبه تنهد : يا عزيزي هناك جنرال

واحد –لا أحد غيره – قادر على قهر العرب والانتصار عليهم إنه جنرال اسمه اليأس!!

وهذه الـ (ما بعد) هى إحدى بنات هذا الجنرال ، وما أكثر أخواتها ، التى دسها العدو فى نفوسنا وشغلنا بها لكى لا نفكر فى فلسطين ١٩٤٨ ولكى ننسى حريق المسجد الأقصى ، وأصبحت القدس بكاملها عاصمة للعدو ، وحتى لا ننشغل (بثورة الحجارة) التى عمت الضفة والقطاع ، فجعنا باجتياح الجنوب ومحاصرة بيروت ، وإخراج المقاومة منها .

لقد تمكن المرض منا وسكن عظامنا ، ولعله لن تطول وقفتنا عند جملة (ما بعد بيروت) وما أحسبنى خرجت من أسر الجنرال الذى أشار إليه ديان »!!

٤ – فى الميدان الاجتماعى :

تقول جريدة «الشعب» :

استعرضت الأخت زهور ونيسى–كاتبة الدولة للشؤون الاجتماعية ،أمام مجلس الوزراء المنعقد صباح أمس الأحد تحت رئاسة الرئيس الشاذلى بن جديد، رئيس الجمهورية الأمين العام للحزب – الخطوط العريضة للبرنامج المشترك لصالح المعوقين الذى يدخل فى إطار تدعيم السياسة الحالية لصالح هذه الفئة من السكان سواء على مستوى الوقاية أو إعادة التأهيل والإدماج .

ويؤكد هذا البرنامج للوقا " بين وزارة التخطيط والتهيئة العمرانية ووزارة الصحة وكتابة الدولة للشئون الاجتماعية ، يؤكد المكانة الهامة للمعوقين التى أكدت عليها النصوص الأساسية للبلاد ، كالميثاق الوطنى والدستور وقانون الصحة والقانون العام للعامل ، ويدعو ضرورة الحلول المرضية للمشاكل التى يواجهها المعوقون ،والتى تتطلب تدخل الدولة قصد إعداد وتنفيذ برنامج فى إمكانه تدعيم السياسة الحالية لصالح هذه الفئة من المواطنين .

وقد تعرض التقرير فى البداية إلى الوضعية الحالية للمعوقين مع تصنيف للأنواع المختلفة لهذه الفئة التى يبلغ عددها بحسب تقديرات وزارة الصحة سنة ١٩٧٩ ثمانمئة ألف معوق من بينهم :

٢٠٠ ألف معوق عقلى

٣٠٠ ألف معوق جسدى

٢٠٠ ألف معوق حسى (وهم: الصم–البكم – المكفوفون) .

ويهدف هذا البرنامج الذى يسير فى إطار الخطة السنوية (١٩٨٣) لتسطير برنامج لفائدة المعوقين حسيا (وهم: المكفوفون–الصم–البكم) وسوف يتم إنجاز هذا البرنامج كما يلى : – إنجاز ١٦ مدرسة للصم البكم تستوعب كل منها (١٥٠) طفلا، أى بمجموع ٢٤٠٠ مقعد، وبفضل هذا الإنجاز سوف ترتفع نسبة التكوين من ١٢,٥ إلى ٤٣ ٪

– إنجاز ٨ مدارس خاصة بالمكفوفين تبلغ قدرة استيعابها ١٥٠ مكان، أى توفير ١٢٠٠ منصب للتكوين، وبذلك سترتفع نسبة التكوين من ٤ إلى ١٦ ٪ ثم توسيع بعض المدارس كمدرسة الشباب الصم البكم بوهران، وإنشاء ملحق خاص بالفتيات بمدرسة الصم الكائنة بالحراش، وتهيئة وترميم وتجهيز المؤسسات الموجودة.

بالإضافة إلى هذه العمليات المقررة فى إطار برنامج خاص بالبنايات الجاهزة لسنة ١٩٨٣، هنالك مشروع لإنجاز مدارس لتكوين المختصين ومن بينهما :

– ٣ مدارس لتكوين المختصين فى الإعاقة بالبليدة وباتنة ومعسكر .

– ٣ مدارس للمعوقين السمعيين: اثنتان بالجزائر وواحدة بجيجل .

– ٧ مراكز طبية نفسية تربوية : اثنان منها فى الجزائر وواحد على مستوى كل من ولايات قسنطينة ووهران و أم البواقى وعنابة وسعيدة » :

– كتبت صحيفة ((النصر)) :

« إن الله خلق الإنسان ومعه عقله مع يديه، فإذا لم يستخدم عقله كانت يداه أقرب إلى قوائم الأنعام والسوائم . يقف هذا الأخ من قضية تنظيم النسل موقف العداء – يؤكد أن تنظيم النسل لا تقره شريعة ولا يوافقه العقل والمنطق، وقد أقحم العقل والمنطق ظلما وعدوانا، فالعقل يقول بأن كل جهود التنمية تلتهمها الزيادة السكانية . والمنطق الإنسانى أدرك منذ القديم أن الإنسان المبدع يساوى عشرة آلاف رجل على حد تعبير « هيرقليطس » . وقد أكدت الشريعة أن المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى: « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

لم يكن العدد فى يوم من الأيام هو الحكم الفاصل فى تقرير النجاح أو الفشل والنصر أو الهزيمة، والتاريخ يقول: إن حملة العبادلة قد استطاعت هزيمة الملك « جيروديوس » و « جرجير » – كما لقبه العرب – رغم أن النسبة كانت ١ إلى٦ ، وحملة العبادلة هى أولى الفتوحات الإسلامية فى شمال أفريقيا .

وفى العصر الحديث استطاعت إسرائيل أن تهزم العرب فى كل الحروب رغم أن النسبة كانت ١ إلى ٥٣ ».

٥ – وعن ((النقد الذاتى)) تقول مجلة ((المجاهد)):

« إذا كان طموحنا فى التقدم مرهونا بما يؤديه الفرد والجماعة فى مختلف المرافق، فإن الإشارة إلى بعض السلبيات التى تكبح خطواتنا نحو تحقيق أهدافنا يعد أمرا ضروريا مثل :

– عدم احترام الزمن : مما لا شك فيه أن المجتمعات المتقدمة تقدس عامل الزمن وهو سر من أسرار تقدمها، ونحن – للأسف – مازالت عندنا مقولات: قتل الوقت وتضييع

الوقت، وهى مقولات شائعة نستعملها فى حياتنا العملية اليومية دون خجل أو تأنيب ضمير .

— ذهنية البايلك : رغم النصوص والقوانين والإجراءات الهادفة إلى جعل العامل مسيراً ومنتجا مسؤولا ، فما زالت بقايا عقلية البايلك تتحكم فى سلوك وتصرفات قطاع لا بأس به من العمال المسؤولين على السواء ، وهو ما يدل عن قلة إدراك ووعى بالتحولات التى عرفها مجتمعنا منذ الاستقلال إلى يومنا. ذلك أن التسيير الاشتراكى للمؤسسات اليوم حقيقة ثابتة لا تحتاج إلى برهان رغم وجود الذهنيات المشار إليها ، والتى ستمحى من أذهان أصحابها كلما ازداد نشاط الحزب ومنظماته الجماهرية فى أوساط الشعب بمختلف فئاته .

— قلة الوعى السياسى : إن ضعف مستوى الوعى السياسى لدى المواطن يجعله عرضه للإشاعة وتصديقها ، لكونه يفتقر لأدوات تحليل ما يسمع ويشاهد ويعيش ، وهو ما يسهل مهمة أعداء الثورة ويزيد من نفوذهم ؛ لأنهم — كما يقول علماء الإدارة — يمثلون « التنظيم الغير الرسمى » ، أى أن نقدهم للأشياء لا يلزمهم بتصليحها وتسويتها ، وهو ما يجعلهم يركزون على نقائص الأمور دون إظهار جوانبها الإيجابية، والخطر يكمن فى تأثير نقدهم على المواطن غير الواعى .

هذه بعض المظاهر التى يجب على الحزب ومنظماته الجماهيرية واتحاداته المهنية والثقافية ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها أن يهتموا بها بشكل مكثف ، وحتى تكون هناك صلة دائمة بالعامل فى وحدته والفلاح فى مزرعته والطالب فى كليته من أجل تحقيق شعار المؤتمر الاستثنائى للحزب « من أجل حياة أفضل » والحياة الأفضل لا تكون دون مضاعفة جهودنا الرامية إلى رفع الإنتاج سنة بعد أخرى ، وهى مهمة وواجب كل عامل منا ، عليه أن يلتزم أمام نفسه أولا بالقيام بواجبه حسب جهده ومقدرته » .

٦ — وفى الأدب تقول «الجمهورية» :

« وقد أصبح من الضرورى أن يكون الشاعر فنانا وفيلسوفا فى الوقت نفسه ، وهذا ما تدعو إليه وبإلحاح . فالفنان قلب ، والفيلسوف عقل ، وهما مجتمعان كفيلان بخلق الشاعر الحقيقى ،

وبالنسبة للشاعر سمير رايس فهو يتوفر على خاصية الفنان، ولكنه يفتقر إلى خاصية الفيلسوف صاحب الرؤية الواضحة والموقف الثابت، والمعين ، وهذا ما لاحظه بعض المتدخلين حين قال : إن القصيدة عند سمير موقف غامض ولكن إمكانية التطور موجودة بدليل أن هذا الشاعر بدأ الكتابة فى وقت متأخر وفى ظرف قصير من الزمن استطاع أن يفرض وجوده بقوة فى الساحة الشعرية .

وقد لاحظ هذا الأخير أن هناك علامات تؤشر على أن سميراً لو استمر فى الكتابة

لوصل إلى إبداع شعرى قوى وأصيل، ومن هذه العلامات :

١ ـ قدرة الشاعر سمير على الإمساك بنبض القصيدة فنيا .

٢ ـ قدرته على تشكيل الجملة الشعرية المفعمة بالحس اللغوى ، فالشاعر إنما يبدع عن طريق اللغة ، وبفضل « إحساسه اللغوى ».

٣ ـ للشاعر سمير أذن موسيقية مرهفة الإحساس ، ومن ثم فإن الجانب العروضى ـ أى الميزان ـ لديه سليم من الكسور ،

وكما يرى الشاعر زتيلى هذه كلها مؤشرات تدل على أن سميرا قادر على تطوير أدواته الفنية بغية المزيد من العطاء الشعرى الجيد .

وعلى العموم فإن الأمسية ـ رغم حضور جمهور متواضع ـ كانت هامة وجدية ، ونتمنى من اتحاد الكتاب أن يواصل مثل هذه النشاطات لاسيما فى هذا الزمن ، والبقية تأتى ».

٧ ـ وفى النقد الأدبى تقول «الجمهورية» عن رواية ظهرت حديثا :

اشكالية الرواية :

« يمكن أن نقول : إن نهاية الأمس تطرح سؤال وظيفة الثورة من حيث هى فصل تاريخى فى علاقة هذا الفعل بالمجتمع الذى قام فيه، إذ أن الرواية تشدد على العلاقة بين الثورة والقرية ، فالثورة تعيش التاريخ أما القرية فتعيش خارج التاريخ . لهذا يصبح دور الثورة هو نقل القرية وإنسان القرية من زمن الراحة والسبات إلى زمن الحركة والانطلاق . إن قدرة الثورة على نقل الإنسان من وضع لا تاريخى إلى وضع تاريخى هو الذى يحدد معنى الثورة الحقيقى ، فتحقيق الانتقال هو تحقيق الثورة وغياب هذا الانتقال هو غياب الثورة ، بل يمكن أن نقول أكثر من ذلك ، إن إمكانية تحقيق الفعل التاريخى هى إمكانية ارتباط هذا الفعل بحركة التاريخ وامتلاك آفاق جديدة ، ينطبق هذا على الثورة وعلى الدين وعلى الدولة ، فالثورة لا تظل ثورة إلا بتطورها المتجدد الذى يحدد مهامها المتجددة ، فهى تبدأ بتحرير الأرض ، ثم هى تنتهى إن لم تحرر الإنسان من كل أشكال البؤس والحصار ؛ أى أن الثورة تنتهى عندما تحرر الأرض من المستعمر ثم تنسى تحرير الإنسان من الاقطاع والجهل ، وكذلك حال الدين فالدين لا يمكن أن يلعب دوره التاريخى إلا عندما يرتبط بالأرض والإنسان والهموم اليومية . فهو دعوة مفتوحة على الدنيا وعلى السماء ، أو دعوة سماوية هدفها تحرير ما هو « دنيوى » . أما خلع الدين عن ما هو (أرضى) وحصره فى (السماوى) فقط فإنه طرد للدين من التاريخ ومن مسار الزمن التاريخى ، وما يصدق على الدين يصدق على الدولة ، فارتباط الدولة بالتاريخ هو ارتباطها بوظيفتها فى خدمة الإنسان وتحريره ، أما عندما تنقطع عن الإنسان فهى تدور فى عالم أجهزتها الرسمية وبذلك تنسى التاريخ وينساها التاريخ .

يحاكم بن هدوقة مفاهيم الثورة والدين والدولة فى علاقتها بتحرير الإنسان وتحقيق دورها الاجتماعى، أى أنه لا ينقد هذه المفاهيم المطلقة ولا يدعو إلى هدمها، وإنما إلى ربطها بالحركة التحريرية؛ لهذا يهاجم تعاليم الدين الصماء بلا هوادة، لكنه فى هذا الهجوم لا يهاجم الدين كدين، بل يهاجم الشكل الجامد من الدين، الذى ينسى الإنسان وبؤسه، ويقبع صامتا فى خدمة الجهل والإقطاع، وفى هذا الإطار يدعو بن هدوقة إلى ربط الحاضر بالماضى، والمعاصر بالتقليدى والراهن بالقديم؛ إذ أن كل المفاهيم لا تعثر على دلالاتها إلا فى شكل وظيفتها فى حاضر الصراع وفى صراع الحاضر».

٨ – وفى الثقافة تقول «الجمهورية»:

«أما على الصعيد العربى، فإن أحياء هذه الذكرى يرجع أساسا إلى سنة ١٩٦٦، حيث تم تأسيس الجهاز العربى لمحو الأمية بموافقة مجلس جامعة الدول العربية، إلا أنه رغم هذه المدة الزمنية الطويلة نسبيا، نرى الأمية مازالت ضاربة أطنابها بالدول العربية، حيث تصل نسبتها إلى ٧٠٪ مما ترك التخلف والفقر عالقا بها، علما بأن أراضيها تزخر بخيرات لا تحويها بلدان أخرى متقدمة كثيرة، وأنها قد استقلت منذ زمن بعيد، وعليه، فأين نحن من شعار محو الأمية إذا كانت الأموال العربية تستغل فى مشاريع لغير صالح جماهير أمتنا».

٩ – أما فى الميدان العلمى، فتقول صحيفة الشعب فى اكتشاف (فيروس) السرطان:

«لقد أتيح لنا أن نكتشف بواسطة المجهر الإلكترونى الذى يكبر ما بين مائة وخمسمائة ألف مرة تلك الفيروسات فى خلايا حنجرة الإنسان المصابة بالسرطان، غير أن مجرد اكتشاف الفيروس أمر غير كاف أبدا، فمن الضرورى جمعه بكمية كبيرة وفصله عن كافة المواد الأخرى وتركيزه ودراسة خصائصه؛ لتشخيصه بشكل شامل، وهذا ما قمت به مع الأكاديمى جدانوف والدكتور إيلين.

وتسنى لنا إثبات أن هذا الفيروس يشبه من حيث سماته كلها ذلك الفيروس الذى يسبب سرطان أثداء القرود.

ثمة ثلاث فئات من الفيروسات التى تسبب الأورام الخبيثة فى أجسام الحيوانات، وهى فئة «س» التى تسبب فيروساتها سرطان الدم وورم المعى الخبيث لدى الحيوانات، وفئة «ب» التى تسبب السرطان لدى الفئران، وفئة «د» التى تتضمن فيروسات السرطان المستخرجة من أجسام القرود والإنسان.

ولقد تركزت جهود العلماء فى الماضى على اكتشاف ودراسة الفيروسات من فئة «س»، أما نحن فنجحنا للمرة الأولى فى اكتشاف نوع جديد من الفيروسات من فئة «د».

وعند مقارنة ذلك الفيروس بجميع الفيروسات المعروفة والمستخرجة من

الحيوانات ، اتضح أنه يختلف عنها ويشبه الفيروس المستخرج من ثدى القردة المصابة بالسرطان ، وتبين الأبحاث أن العينات المضادة لذلك الفيروس موجودة فى خلايا سرطان الثدى عند الإنسان .

لقد ظهرت فى العقود الأخيرة فرضيات جديدة حول أسباب نشوء الأورام الخبيثة ولكن وجهة نظر العلماء السوفيات — وفى مقدمتهم زيلبيرت عضو أكاديمية العلوم الطبية — بدأت تتغلب تدريجيا» .

١٠ — وفى الاقتصاد ، تقول مجلة الجيش وهى من ابدع مجلاتنا :

(وأعتذر عن نقل هذا المقال بطوله ، نظرا لأهمية مافيه من معلومات غزيرة).

«تقييم الوضع الاقتصادى غداة الاستقلال :

لقد ظلت الجزائر ما يقرب من قرن وربع قرن تئن تحت السيطرة الاستعمارية من عام ١٨٣٠ إلى عام ١٩٦٢ ، هذه الفترة التى عرفت فيها البلاد أبشع أنواع الاستغلال والنهب الاستعمارى ، حيث استنزفت خيراتها وشرد أبناؤها ، وطردوا إلى قمم الجبال الصخرية والمناطق الفقيرة ، بعد أن وزعت الأراضى الصالحة للزراعة والمناطق الخصبة على أقلية بسيطة من المعمرين حولت خيرات هذه الأرض لصالح «المتروبول» ، بينما بقى أبناء البلاد يعانون من الجوع والفقر والتشرد والجهل ، وعرضة للأمراض الفتاكة .

ولكن رغم هذه الظروف الحالكة والوضعية الاجتماعية المزرية ، لم ينطفئ بصيص الأمل ، بل كانت المقاومة متواصلة ومستمرة منذ دخول المستعمر — ابتداء من مقاومة الأمير عبد القادر — إلى أن كانت الثورة التحريرية الكبرى سنة ١٩٥٤ التى تحدت الإرادة الاستعمارية ووقفت فى وجه أعتى قوة فى العالم آنذاك : «الحلف الأطلسى » ، فاقتلعت بذلك جذورها بعد سبع سنوات ونصف من الكفاح المستميت للحصول على الاستقلال ، الذى كلفها تقديم مليون ونصف مليون شهيد من خيرة أبنائها ، وفعلا تحققت آمالها بتاريخ ٥ يوليو ١٩٦٢ الذى اشرقت فيه شمس الحرية على كامل التراب الوطنى ولكن كيف وجدت الجزائر نفسها فى هذا التاريخ ؟

لما أحس الاستعمار الفرنسى بنهايته فى بلادنا ، بدأ ينظم خطط التخريب والنهب للاقتصاد الجزائرى قبل انسحابه بحيث جعل الدولة الجزائرية المستقلة ترث اقتصادا مخربا ، تسيطر عليه متناقضات السياسات الاقتصادية التضخمية التى طبقتها السلطات الاستعمارية فى إطار (مشروع قسنطينة). وتسلمت الجزائر مصيرها السياسى وهى تواجه وضعا اقتصاديا واجتماعيا متدهورا ، خلفه الاستعمار ؛ حيث وجدت نفسها أمام ٣٠٠ر٠٠٠ يتيم وحوالى ٤٠٠ر٠٠٠ من المعتقلين والموقوفين فى السجون وما يزيد عن

٣٠٠٫٠٠٠ لاجئ خارج الوطن و٧٠٠٫٠٠٠ مهاجر ، خاصة من القرى إلى المدن وما يقرب من ٣ ملايين من المجمعين الذين أخرجوا من ديارهم وقراهم؛ لتجمعهم داخل مراكز أقيمت لهذا الغرض والتى تشبه المحتشدات، وما يزيد عن ٣٠٠٫٠٠٠ مجاهد، حاربوا فى الجبال، عادوا منهكى القوى، أكثرهم معطوب أصابه رصاص العدو وشظايا القنابل وغارات النبالم ، ولذلك كانت إعادة تنظيم السكان وتثبيت الوضع الاجتماعى والاقتصادى من الصعوبة بمكان قبل البدء فى معالجة الجروح الغائرة التى تركها الاستعمار البغيض فى الجسم الجزائرى ، من جراء التخريبات المادية فى الهياكل الاقتصادية والإدارية والاجتماعية المختلفة .

فلقد دمرت ٨٠٠٠ قرية تدميرا كليا مما نتج عنه تشريد عائلات، وبقاؤها بدون مأوى كما أحرقت آلاف الهكتارات من الغابات مع أن البلاد كانت فى حاجة ماسة إلى تشجير واسع ، وتعرضت مساحات شاسعة خاصة فى المناطق الجبلية إلى (سياسة أرض محروقة) ولا زالت معالمها حتى اليوم تمثل مشهدا من مشاهد التخريب كما تركت الأراضى مهملة سنوات طويلة ، كذلك أشجار الفواكه بقيت بدون علاج وقائى ، وأدى الانخفاض الكبير فى عدد المواشى من ٧ ملايين إلى ٣ ملايين رأس إلى حد انقراض بعض أنواع منها تقريبا كالبقر .

وكانت مصالح النقل أهم المصالح التى يمكن القول بأن المستعمر قد اهتم بها فى الجزائر ، وفى شمال البلاد بخاصة ، وذلك لتمكنه من تحويل الإنتاج وخيرات البلاد من مصادرها إلى فرنسا. هذه المصالح قد دمرت فهدمت الطرق ونسفت الجسور وبلغ التدمير حدا أصبح معه من اللازم أن تؤدى خدمات استنفدت الجزء الأكبر من ميزانية مصلحة الجسور والطرق لسنة ١٩٦٣ » .

١١ — وفى الميدان الفنى تقول : صحيفة الشعب عن المسرح الجزائرى :

«أطرف ما يقوله أشباه المثقفين هذه الأيام ، إنه من باب السخرية القول إن هناك مسرحا فى الجزائر .

وللحكم على هذا الرأى ، نقول: إن الموقف السالف الذكر من الظاهرة المسرحية لا يدهشنا ما دام يبدو صحيحا ظاهريا، إذ تنبع هذه الصحة من كونها تعكس واقعا حقيقيا لم يستطع مروجوه التعبير عن خلفياته ومسوغاته الموضوعية ، وأبرز مثال يجسد ضحالة آرائهم وسطحيتها، يتجلى من خلال عدم تمكنهم من التفرقة بين حجم المسرح فى الساحة الثقافية وتأثيره فى المجتمع ، وبين الظروف التى تحيط برجال مسرحنا ، والتى تحدد بدورها مدى ذاتية أو موضوعية المستوى الذى يظهر به مسرحنا حاليا .

إن المستمع لمقولة « ليس هناك مسرح فى الجزائر » يتخيل أن المسرح قد غاق

أبوابه وفر رجاله إلى حيث لا يدرى أحد أو أنهم اعتادوا التكاسل ووجدوا مبرر عدم الاهتمام بقطاع المسرح ؛ لينتهزوا هذه الفرصة ويبقوا وراء الكواليس فى انتظار المرتب الشهرى ، وحتى لا يقال : إنهم يتقاضون أجرا مقابل لاشىء ، نجدهم يقدمون مسرحية أو اثنتين فى السنة ، يقتبسون الأولى ويترجمون الثانية .

وللأسف الشديد مازالت هذه «الفتاوى» تنتشر من يوم إلى آخر وبين عشية وضحاها ، وأصبحت بفعل التداول أحكاما موضوعية يتقبلها العقل بكل سهولة ، وذلك ما يهدد ويزيد فى الوضعية المتدهورة التى يمر بها المسرح الذى مازال حيا يرزق ، وإن تسببت علاقة وسائل الاعلام به فى الظرف الذى يعرفه ، إلى جانب الإهمال الكبير الذى مازال يعانيه إلى حد كتابة هذه "سطور .... » . إلى أن تقول الصحيفة :

« وانطلاقا مما سبق ، نقول : إن المسرح لا يمكن أن يستمر بهذه الوضعية ؛ لأن المسرح الذى يعتمد على المبادرات الشخصية أو الاجتهادات الفردية لا يمكن أن يتوصل إلى توفير كل شروط الإبداع ، لأنها تبقى محدودة بإمكانيات ضيقة لا يمكن أن ترتفع إلى مستوى العملية الإبداعية الشاملة ، ومن هنا ، فإن التفكير فى مستقبل مسرحى أضحى الإجراء الملح ، قبل أن يتوقف المسرح نهائيا كما قال أحد المسرحيين الجزائريين » .

١٢ — واخيرا عن الرياضة ، تقول صحيفة « الشعب » :

« انطلقت أمس بالملعب الملحق لألعاب القوى (مركب ١٩ جوان) للألعاب الخماسية العسكرية تحت إشراف العقيد على بوحجة عضو اللجنة المركزية للحزب ، وقائد الناحية العسكرية السابعة الذى كان مرفوقا بالمقدم على القاسمى عضو اللجنة المركزية ومدير المصلحة المركزية للرياضة العسكرية وعدد من رجال الجيش .

وبعد الإعلان عن الانطلاقة الرسمية للدورة واستعراض الوفود الممثلة للنواحى العسكرية السبعة والأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال والمدرسة العسكرية للتربية البدنية والرياضة والمدرسة العليا للتقنيات ، فتح المسبح الأولمبى المغطى التابع للمركب أبوابه فى وجه المتنافسين ؛ ليتباروا على تحقيق أحسن النتائج الممكنة فى النوع الرياضى الأول المسجل فى برنامج الألعاب الخماسية التى تضم — بحسب التسلسل — السباحة (اليوم الأول) واجتياز الحواجـــز ، ورمى

القنابل اليدوية (اليوم الثانى) والعدو الريفى والرمى (اليوم الثالث والأخير) :

وكان على المتسابقين قطع مسافة ٥٠ م أى طول المسبح فى أقصر ظرف زمنى مع احترام شروط اجتياز الحواجز الأربعة التى وضعت فى الرواق بين نقطتى الانطلاقة والوصول .

وسيتواصل الجو التنافسى صباح اليوم بالمدرسة العسكرية للموسيقى ببنى مسوس التى تحتضن مسابقتى اجتياز الحواجز ورمى القنابل » .

وهكذا أيها السادة الأبرار ، أنهى هذا العرض المفصل عن لغة الصحافة عندنا منذ الاستقلال ؛ وأيتم فيه رأى العين سلامة العربية ، وجودة التعبير ، وحسن التنسيق فى مختلف شعب الحياة اليومية التى يهتم بها الشعب العربى الجزائرى اهتماما عظيما .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى الاختيار والتفصيل ، مع اعتذارى عن تطويل اقتضاه المقام . ولكم الشكر الجزيل .

أحمد توفيق المدنى
عضو المجمع من الجزائر

لغة الصحافة

للدكتور محمد عزيز الحبابي

لغات ولسان :

يتكون اللسان العربي من لغات ؛ من بينها لغة الصحافة . فكما لنا لغة خاصة بالفقه وأخرى بالتجارة ، وثالثة بالفلسفة ، ورابعة بالرياضيات ، . . لنا لغة الصحافيين .

لن يفصل هذا العرض لغة الصحافة عن المكونات الأخرى للسان العربي مادامت كلها تتعامل فيما بينها وتتخاصب . بيد أن للغة الصحافة فعلات أكثر نفوذا إلى وعي الشعوب وإلى ذاكرتها التاريخية والجمعية :

تدخل لغة الصحافة في لغات الإعلام وهي اللغات الأولى من حيث التأثير المباشر على الأفراد وعلى الرأي العام ، ومن حيث الانتشا إنها أقوى من لغة المهد . فأفق هذه ضيق ؛ إذ ألفاظها وتعابيرها تنحصر في المحسوسات البدائية ، يتعلمها الطفل ، عفويا وفطريا . وهناك لغة ثالثة يدركها كل من يشملهم التمدرس ، وعددهم بالعالم العربي ينمو ببطء ؛ لأن النمو الديمغرافي يعاكسه . ولغة المدرسة ليست ، وللأسف ؛ لغة جميع الأطفال ، بل تكتسب بجهود وتحصيل وحظوظ ، ويذهب نحوها الأطفال ؛ خلافا للغة الصحافة التي تأتي عند القارئ وتغزوه يوميا ، وفي كل أطوار سنه . إنها تهاجم بصره وتغريه . فهي على الأرصفة في الطرق ، وفي المكتبات ، وفي قاعات الانتظار ، وفي مكان العمل ، وفي «الباص» والقطار والطائرة . لغة الصحافة تتابع المؤجدين حيثما حلوا .

لغة الصحافة سيف ذو حدين معلق فوق الرقاب ، فكما تقول الحق ، نشرا ودفاعا ؛ تؤكد الباطل وتسانده وتذيعه ، وكما تنمي التواصل بين البشر لصالح التطور الحضاري والرقي العام ، تقطع أحيانا روابط التواصل بين الأفراد والشعوب ، وتعكر صفو الوعي الفردي والجماعي . ولقد صدق من صرح بأن الصحافة هي السلطة الرابعة ؛ أي إنها تأتي بعد السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وقبل السلطة الخامسة التي تتكون من تجمع الصحافة مع باقي السلطات في يد واحدة احتكارا واستبدادا .

(*) ألقى في الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٦ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

من هنا خطورة الصحافة . إنها فى إمية دائمة : إما أن تستعمل لغة واضحة ودقيقة وصحيحة المعنى والمبنى ، (وإن الدقة والوضوح يستلزمان صدق الأخبار ، وحسن النية)، وإما أن تستعمل لغة مهلهلة تقريبية ومبهمة ؛ ومن هنا الخلط بين المفاهيم والالتباس بين المعانى ، فيحصل سوء فهم وسوء تفاهم يستغلان استغلالات سلطوية وتخلفية ، فتسخر أفرادا وجماعات لصالح قلة من الهيآت الخاصة .

إذا كانت تلك الأدوار المزدوجة فى ما تقوم به الصحافة ، وكان نفوذها على ذلك المستوى من الخطر ، وجب التحرى عن لغات الصحافة . ولغة هنا لا تنحصر فى معرفة قواعد النحو والصرف والتراكيب ، بل إنها أيضا قدرة تتسرب للذهن وللضمير فتوجهها إيجابيا أو سلبيا .

(فاوست) يسكننا :

فاوست بطل أسطورة جرمانية قديمة ترمز —على ما يظهر— إلى أن الإنسان الذى يتطاول على الواقع — عوضا من أن يتكيف معه — لا بد من أن يتعرض لأخطار وتجارب قاسية . ولن يتغلب على وضعه إلا بنقد ذاتى جرىء يفتح به بصره على الواقع ولو كان مرا .

فموقف العرب من لسانهم موقفان: موقف عاطفى، الحب فيه يعمى ويصم ، وموقف يعتمد الموضوعية ويخضع للواقع حلوه ومره .

من مميزات الكائن البشرى السوىّ الحرص على عدم ضياع هويته الأصلية. إن ضياع لسان قوم ، يكسر هيكل مجتمعهم ، إذ لا فرد ولا مجتمع دون لسان وتواصل . فالكائنات العاقلة تتساكن فيها قوى متضاربة ، وأى فرد لا يحافظ على الاعتدال بينها يخسر مقومات هيكله السيكلوجى المجتمعى ، فيكون مآله مآل (فاوست) .

وبدل أن يبقى رجلا يتمتع بالحياة ، طبيعيا ، ويكتسب من المعرفة ما تسمح به قدراته ، يتحمل المخاطر ، ويبذل الجهود التى تقتضيها المغامرة من أجل الجاه والمعرفة دون تهاون — تنازل (فاوست) عن روحه لـ (ميفيسطوفيليس) أمير الشياطين ، وبالمقابل التزم هذا الأخير بخدمة (فاوست) مدة أربع وعشرين سنة ، يوفر له ملذات فوق العادة ، ويمنحه أقصى ما يمكن من المعرفة. فأعرض (فاوست) عن اللجوء إلى اللسان القومى وإلى تعاون مع أبناء جنسه ، فأعرض وبات يتحدث بلغة (ميفيسطوفيليس) وحدها .

وما إن تراءى لـ (فاوست) أن مشروع التعاقد دخل حيز التنفيذ ، حتى انطلق وهو خلو من الروح الفردية والجماعية ، يعمل فى الكون كمن أصبح قادرا على فهم كل شىء والسيطرة على كل شىء . وسرعان ما أضحى متجبرا فى العالم :

ولم يمر إلا وقت قصير حتى اضطرب وجدانه أمام الفراغ والسأم . فجند مجموع

قواه للهدم والعنف متخبطا فى الكون ، غائبا عن المحيط الإنسانى وعن الواقع ، وهل من سبيل إلى الاندماج فى مجتمع وإدراك واقعه دون معرفة لسان ذلك المجتمع . فالروح النضوى المتسرب بين كثير من المثقفين العرب يتأتى من شعورهم بالاغتراب داخل أمتهم لأنهم يجهلون ، أو يتجاهلون لسانها إما لاعتباره ناقصا ومتجمدا ، وإما لانبهارهم بألسنة الغرب .

وبعد أن تخلى فاوست عن لسان قومه والتآلف معهم ، غدا يقتله الحنين إلى هويته الأصيلة ، وبدأ ضميره يستيقظ رويدا رويدا : لكن ، هيهات أن تنسجم طبيعتان فى شخص واحد كما جاء فى القرآن :

«ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» .

جن (فاوست) من البحث عن ذاته وعن قيم يزن بها بنود العقد الذى يربطه بـ(ميفيسطوفيليس) بعد أن اقتنع بأن الصفقة خاسرة ، قسمة ضيزى .

كيف يقيم ويقوم الخسارة ، وقد استرخص من قبل تراثه ولسانه والروح والكرامة ؟

يلتقى (جوتيه) بفاوست فى القرن التاسع عشر ، ويأخذ بيده ليشخصه من جديد . استعاد فاوست كل أبعاده وغدا لا يستوحى سلطة الفكر والمعرفة إلا من إنسانيته ، وبلغة الأم ، اللغة المتجذرة فى كيان شخصه وفى أعماق ذاكرته ، إذاك وعى فاوست وضعه المزيِّف والمزيَّف ، فدخل معركة ضد من اغتصب منه الروح ، فكانت عاقبة (ميفيسطوفيليس) الخسران المبين . أما فاوست الإنسان فقد صار يحقق ما يرنو إليه من توق للعمل ، إلى أن أصبحت حركاته قصدية فى مغامرات إنسانية ؛ لأنه التزم بتحقيق مثل عليا ، كما أدركها بوجدانه ووعيه وعقله وحدسه ، على ضوء قيم شمولية مشتركة أخذها من الثدى والمهد ، وعن الأم والأب والإخوة ورفاق الطفولة فى البيت والمدرسة والشارع .

لا نهضة بلا لسان متطور :

فمتى يستعيد فاوست العربى العصرى روحه لينحى عن الطريق كل آثار ميفيسطوفيليس ، ويجعل قوتى : الدفع ورد الدفع متكاملتين ؟ .

متى سنستأنف ، متعاونين ، المسيرة نحو آفاق جديدة تضمن الكرامة للجميع ، وتصحح الاتجاهات الاقتصادية والمعنوية معا ؟

تـود شعوبنا بكل أحشائها أن تتجاوز القطيعة والانشقاق الصراعى بين مسؤوليها نحو الانتصار على التخلف . ولا كفاح ناجع دون مناخ ثقافى تتفتح فيه الشخصية الفردية وتنتعش فيه الذاكرة الجماعية عن طريق اللسان القومى .

وصفت الصحافة بأنها « صلاة يومية » أى أنها بعد أن بدأت قليلة الانتشـار واختيارية الوجود فى حياة الأفراد والجماعات ، أمست لازمة وشبه مقدسة ، وها هى اليوم

تغزو الآفاق وتتابع الناس ، حتى من لا يحسن القراءة منهم ، هجوما مسموعا ومرئيا بل تتسرب حتى أسرَّة الناس ، مما جعل لغتها أقوى انتشارا وتأثيرا فى الأعماق .

فالسؤال إذن : هل للصحافة العربية على اختلاف أنواعها ، لغات فى مستوى الأدوار المنوطة بها ؟

بصفة إجمالية ، إن الواقع المعيش يجيب بالنفى . فنى الوقت الذى تفككت فيه كل عرواتنا ، وباتت « الأمة » العربية بلا جامع مشترك (لا سوق اقتصادية مشتركة ، ولا توحيد فى برامج التعليم ، ولا أحلاف دفاعية ، ولا نظرة منسقة فى السياسة ، والديبلوماسية ، ولا . . . . ولا . . . وألف لا ولا . . . .) كل ما تبقى لنا هو اللسان العربى لنتواصل به ، رغم الاختلافات والتنافى ، وهما يتناوبان الظهور والاختفاء ، فوق ساحة الدول العربية ، مع مر السنوات .

نعم ، باللسان العربى يقع اللقاء والافتراق أى به نتصل ، والضمير فى « نتصل » لا يعود إلا على حاملى الشهادات وعلى المؤبجدين عموما ، أما جمهرة الشعبيين العرب ، فلا يحسنون قراءة ولا كتابة . إن الدارجات تغرقهم فى قطيعة مع لسان تراثهم ، ويفصل بعضهم عن بعض ، كلما انتقلوا من مكان عاميتهم إلى مكان عامية أخرى . هكذا العاميات والدارجات تغرقنا فى اللاتفاهم بيننا .

فماذا يستفيد المصرى ، الأمى والمثقف على السواء ، من أخيه المغربى عندما يقول له : « الخوهد لوليا طلعتلى الزعْف » ؟ وماذا يستفيد المغربى ، كيفما كان مستواه ، عندما يسمع شقيقه ابن الكنانة يصرح : « أنا عايز أُوَدْ زَىْ ده » ؟

إنها شقة تزداد مع الأيام ومع المسرح ومع السينما ، ولغة الأغانى ، عمقا وتعقيدا . فقراءة الصحف والمجلات ميزة من امتيازات نخبة المتعلمين .

والقراء نوعان : نوع يتهجى العناوين ويتفرج على الصور ، ونوع يستوعب مايقرأ . والقراءة الحق لاتكتفى بالتأبجد ، بل لا بد من تعلم جد طويل الأمد ؛ لأن اللسان العربى ليس سهلا كما يزعم البعض . إنه عسير جدا لعلتين : أولاهما أنه ليس لسان الخطابات اليومية فى السوق والبيت . . . ثانيتهما أنه يجند البصر على حساب السمع . إن العربية ، حتى المكتوبة ، لا تخلو من صعاب لا يتغلب عليها إلا أفذاذ قلائل .

على رأس لائحة تلك الصعوبات : أن الكتابة العربية معوقة لفقدان الحركات على الحروف ، وكل جهاز أو جسد أصابه عطب ما فى حركاته ، بات مشلولا .

قد ننتصر — إن قليلا وإن كثيرا — على القطيعة وعلى صعوبة القراءة إذا جندنا الإذاعة والتلفزة ، وكذلك السينما والمسرح والأغنية

فى خدمة اللسان العربى ؛ أى الجامع المشترك بيننا ؛ لأنها أدوات فعالة لترسيخ الجمل السليمة والألفاظ الصحيحة فى الذاكرة والنطق المستقيم فى الحديث .

فهل سيصبح العزم على القيام بذلك ؟

من الجواب ستكون بداية الإصلاح الأشمل ، أو نهاية المحاولات المتفائلة ، فمن الصحفيين من يضعوا مصطلحات وعبارات وترجمات تفرض نفسها بفضل التكرار فيتعود عليها البصر أو السمع فتستقر بالذاكرة . وهذا ناموس طبيعى ، لأن ما يجد قلبا خاليا يتمكن . والواقع أن بعض ما يوضع ارتجالا (الخبر الصحافى لا ينتظر) أو بعد بحث وتأمل ، يكون مقبولا لسلاسة بنيانه واشتقاقه ، كما أن بعض ما يقترحه صحفيون آخرون لا يقبله الذوق ، أو يكون غير دقيق .

كذلك ، يرجع الفضل إلى الصحافة فى ترويج ألفاظ عربية كانت مهجورة ، فأعادوا لها الحياة .

نقطة ثالثة . حينما يقع اكتشاف أو اختراع ، سرعان ما يسميه الصحفيون قبل المجامع والجامعات والمعاهد العليا . وعندما تضع إحدى هذه الهيآت أسماء لتلك الاكتشافات ، تكون الأسماء التى أطلقها الصحفيون قد استقرت .

فهل من حل لهذا الوضع ؟

أتدخل المجامع والهيئآت العلمية الأخرى فى حرب مع الصحافة ؟

تلك سلسلة من التساؤلات وليست الوحيدة على كل حال .

ومهما يكن من اجتهادات ، فإن الوضع الحالى غير مشجع . استمعوا إلى إذاعة الرباط ، مثلا ، فكل الأغانى بالعامية ، وأحيانا بكلمات يمجها الذوق العامى نفسه مثلا : « عينيك كيف الزلميط » (زلميط les allumettes الفرنسية) . طبعا ، قد تصادفون ، عرضا أغنية بشعر عربى ، لكن ذلك من النوادر ، والنادر لا حكم عليه أو به . بنفس الإذاعة المسرحيات بالدارجة ، وأرقاها بالعامية .

تتبعوا بإذاعة القاهرة مباراة لكرة القدم بين الزمالك والأهلى ، فتسمعون خليطا عربيا إنجليزيا ، لا هو هذا اللسان ولا هو ذاك : أفسايد (عوضا عن الشرود أو التسلل) و كورنر (عوضا عن ركنية أو جانبية) وبنالتى (فى مكان ضربة جزاء) .

ولنتصفح برامج المسرحيات المعروضة حاليا فى مسارح العالم العربى جميعه ، وللشرائط السينمائية فى قاعات العروض العربية كلها ، سنجد أن جلها أجنبى ، والباقى بالعاميات باستثناء قلة القليل :

فإلى أين نسير ؟

إن القضية ليست فى تصحيح وزن صرفى أو اختيار لفظ أفصح من آخر ، أو تأكيد

قاعدة نحـــوية . إن القضية مصيرية ، وبالتالى تستوجب تغيير بنيان أجهزة الإعلام والتثقيف ، وغربلة الأطر المسؤولة . استبدال فنانين وصحفيين بآخرين يفرضهم مستواهم الفنى واللغوى ، ويعون مسؤوليتهم حق الوعى .

لقد جلس البعض على كراسى فى الحكم أو الإدارة ، واستلذوا السكوت و«متاعْليش» ويتجنبون كل رجوع إلى ضمائرهم ليصلحوا ما حولهم . فمنهم من باع ضميره ، كما فعل (فاوست) مقابل الهدوء ، حتى لا يزحزحوا عن كراسيهم ، ومنهم أنصاف مثقفين ، لاهم يعملون على إصلاح ماهم من نقصان ، ولا هم تحركوا ؛ لأن الحركة تفضحهم . الكل يتآمر على العربية وعلى ما حملت من تراث إنسانى وما يمكنها أن تساهم به لصالح الإنسانية .

فكأن الجميع ملتزم بالسكوت نحـــو (ميفيسطوفيليس) أمير الشياطين الذى اشترى من (فاوست) روحه ؛

ننتقل الآن إلى وجه ثان من المشكل : إنه استلاب التخاطب اليومى عند كثير من المثقفين العرب الذين انبهروا بالغرب فتغربوا لغويا وسلوكيا . تلك غربة واغتراب وتمغرب . إنه عائق ليس أقل خطورة من العوائق السابقة . بل على العكس ، إنه انتحار لشخصية الأمة بواسطة انتحار كرامة أطرها العليا والوسطى ، وذوبان الآمال المعلقة عليها .

لا مجال للخلق العفوى فى عالم الفكر أو المعانى والمثل ، كما هو محال فى عالم الماد . لا بد من مواد أولية ومن فكر ليفهمها قبل أن يتصرف فيها . ومن المسلم به أنه لا فهم ولا فعل إلا عن طريق اللسان . فبالألفاظ تسمى الأشياء ، وتتحول مفاهيم ندخل بها فى حوار مع ما نريد إدراكه ، فيبدأ الاكتشاف والتصرف فى الموضـــوعات المدركة . لذلك ، لن تلعب أية لغة أدوارها إذا تجمدت أو جمدت .

لقد أتى دهر على لساننا كان خلاقا مبدعا كشافا ، ثم أغلق باب الاجتهاد فى الفقه ، وجف معين علم الكلام ، وبالتالى تجمدت العربية . اجتهد الأجـــداد عندما ترجموا ، واجتهدوا عندما فـــكروا ، بل حتى عندما سامروا فى ليالى المرح والدعابة ، ثم أصابتهم الأمواج من كل مكان ، وجاءتهم ريح عاصف ، فكان ما كان .

إن الذبذبة والحيرة ، كالوثوقية ، عرقلة للفكر ، تمنعـــانه من مرونة التصرف فى الواقع . فالوثوقية المادية ، والوثوقية المثالية ، تعارضان توحيد الرؤية والالتحام بالواقع . إنهما حاجزان فى طريق بناء المستقبل ، بل حتى فى سيرورة تصوره ؛ لأن التفكير مضمونا خارجا عنه يتجاوزه . فمعيار اليقين ليس فى الفكر ، بل فى علاقة الفكر بالحياة وتطابقه مع ما جرياتها . وما جريات حياة اليـــوم هى السرعة والتفتح ، فاللسان

العربى معرض لتحولات العصر ، ومن يحاولون تجسيده يقتلونه .

ذاك هو معنى «الإنسان حيوان سياسى ، مدنى بالطبع » ؛ على اعتبار أن السياسة هى التى تُسيِّر المجتمع وتنظِّم العلاقة بين الأفراد. فلا قوانين للفكر توجهه وتجعلنا نخضع لها قبل أن نخضعها لنا .

الفكر أفقى ، وإن ظنه البعض عموديا ، بيد أن أفقيته محدودة ، مكانيا وزمانيا . إنه «آلة» تاريخيه وتأريخيه . ومن هنا تصدر عن الفكر دلالات حضارية . فعمليات الفكر قصدية ، غائية . لذلك ، كلما أردنا تحليل فعل فكرى ، وجب أن يقوم التحليل بلسان واضح ودقيق ومتحرك :

إن ماهية الفكر ومضمونه يتلازمان كما أن أى فعل فكرى ، فى فرديته ، لاينفصل عن فعل الفكر بصفته موضوعا . فالشعور حضور الذات مباشرة فى ومع محيطها . ومن وظائف الفكر المتميزة أن يعين الشعور ليرتفع على مستوى الإحساس إلى الوعى ، ولينتقل بالوعى إلى التأمل فى علاقات الذات بمحيطها . إن التأمل شرط سابق على أى تخطيط للوسائل الكفيلة بإصلاح خلل علاقات الذوات بمحيطها وبالتاريخ .

ليس المحيط المجتمعى فضاء جغرافيا وحسب ، بل ثقافة تتجلى فى السلوك والعادات والأعراف ، المكتوب منها وغير المكتوب ، كما أن التاريخ ليس أحداثاً وآثاراً وحسب ، بل إنه أيضا ، ذاكرة جماعية تسكن اللسان القومى ، بكل لغاته وتتحرك بحسب ديناميته . فهو الذى يسقى الفكر والحدس والإحساس ، من الداخل ومن الخارج ، فمثل من يحاول إيقاف هذا الرافد أو الآخر (برفض الاجتهاد والتفتح) كمثل من يحاول إيقاف الحياة فى تدفقها.

محمد عزيز الحبابى
عضو المجمع المراسل من المغرب

من كناشة النوادر
للأستاذ عبد السلام هارون
(٤) *

أول جمال يراها الأوربي :

حينما عبر يوسف بن تاشفين من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس فى سنة ٤٧٩ ورأى الأدفونش اجتماع العزائم على مناجزته، علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا فى عدد لا يحصيه إلا الله تعالى ، يقول ابن خلكان : ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلا ورجلا من الفريقين ، كل أناس قد التقوا على ملكهم، فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر فى آخرها ، فأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها. وكان ليوسف بن تاشفين فى عبورها رأى مصيب ، كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها .

وكان ذلك فى وقعة الزلاقة التى هزم فيها الأدفونش فى دون الثلاثين من أصحابه ، وغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ بلادهم خيرا .

تامور الزكاة :

الزكاة إحدى الدعائم الخمس فى الإسلام، ولعلها أكثر هذه الدعائم خضوعا لرقابة الحكام والولاة، الذين وظفوا لها الدواوين والعمال لإحكام أدائها ومصارفها . والناظر فى كتابى: الأحكام السلطانية للماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ ، والأحكام السلطانية لأبى يعلى الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨، يجد دستوراً حافلا لتنظيم الأموال ما كان منها زكاة ،وما كان فيئاً أو جزية أو خراجا .

ويذكر ابن حجر فى تهذيب التهذيب أن مسلمة بن عبد الله الدمشقى — أحد الرواة عن عمر بن عبد العزيز —كان صاحب « تامور الزكاة » فهذا استعمال قديم لكلمة « تامور » العربية الأصيلة التى فسرت بأنها دفتر

(*) ألقيت فى الجلسة الرابعة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (الخميس ١١ من جمادى الأولى ١٤٠٣ ه الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٨٣ م) .

الزكاة ، فكأن مسلمة هذا كان المسجل لموارد الزكاة ومصارفها :

والتامور في اللغة : غلاف القلب ، أو حبته ، أو دمه ، كما أن التامور وعاء الولد وماء الركية ، يقال : في الركية تامور : أي ماء.

رفيف العين :

أخذنا — نحن العرب — كما أخذ الناس جميعا ، أن نتفاءل ونتشاءم بما نجد ومانلقى : ولعل أقرب الأمور فيما يتفاءل به الناس هو الأعين إذا ما بدت خلجاتها .

ومن النصوص القديمة في ذلك ما أنشده الآمدي في المؤتلف والمختلف ٧٣ من قول جميل بن سيدان الأسدي ، وهو أحد الأعراب :

أيا جُمل هل دين مؤدى لحينه
فقد حل ذاكِ الدين ، واحتاج طالبه
فطالت به أحلامه إن قضيته
وظل بما مَنّيْتِ يلمع حاجبه

وقال الآمدي تعليقا على هذا : يلمع حاجبه : يختلج ، كأنه يبشره بوصالك. ويقول أيضا : وعندهم أن الجفن الفوقاني إذا اختلج فهو بشارة . وأنشد أبو عبيدة :

لم أدر إلا الظن ظن الغائب
أبيكِ أم بالغيب رفّ حاجبي

أي اختلج . . . ويقال : إن الجفن الأسفل يؤذن بغم ، كما أن الأعلى يؤذن ببشارة .

أجرة الخان في اليوم :

الخان كلمة فارسية معربة ، وهذا يعطي أن أسلافنا العرب إنما اتخذوا نظامها — من بعد — نقلا عن الفرس. فقد كانت خيام العرب وبيوتهم ونيرانهم بأعالي اليفاع ، وذبائحهم هي الخان لكل مسافر أو نزيل يقرونه تمام القرى ، ويتبعونه الكرامة حيث مال . . . . وبخروج العرب من جزيرتهم في أسفارهم كان من الطبيعي أن تنشأ الخانات والمنازل في طريق السفر وفي المدن أيضا .

ولعل خانات المنازل في السفر كانت أقل نفقة ، فإن منها ما كانت تتكفل به الدولة الإسلامية في مختلف عصورها ، ولا كذلك المدن ، ولسنا نعرف بالتفصيل ما كان يجري في خان الخليلي بالقاهرة المُعزّية ، على مر العصور وكر الدهور .

والذي نريد أن نصل إليه هو مستوى الأجور في هذه الخانات . وقد عثرت . على نص نادر لولد ابن عائشة الذي توفي أبوه سنة ٢٢٧ . يقول الولد شاكيا لأبيه مالقي من ضيق في بغداد ، وأن آماله الجسام نيا تناثرت بين يديه ، فكتب في آخر كتابه إليه :

أنا في الخان أؤدي — كل يوم درهمين
نازل فيه على نفـ — ـسي على سخنة عين
وأراني عن قليل — لابساً خفي حنين

فأين هذى الشكوى مما نراه فى خاناتنا وفنادقنا ؟

أما لفظ « الخان» فيقول فيه الجواليقى ٢٣٩ : « والفندق بلغة أهل الشام : خان من هذه الخانات التى ينزلها الناس مما يكون فى الطرق والمدائن ».

أما صاحب القاموس فلم ينص على تعريبها ، والذى فيه أن الخان هو الحانوت أو صاحبه. وأما صاحب اللسان فينص على التعريب ويقول : « الخان : الحانوت أو صاحب الحانوت ، فارسى معرب ، وقيل : الخان الذى للتجار » .

وأما أدى شير فيقول : الخان فارسى بحت ، وهو الحانوت ، وهو موجود فى جميع اللغات الشرقية الدارجة ، وهو يطلق على الدكان والمخدع والماخور . وأما الميدانى فى «السامى» ٤١٣ ، فيعرّفه بأنه « كاروان سراى» أى منزل القوافل على الطريق ومحط رحالهم :

عاشوراء :

يوم عاشوراء هو العاشر من المحرم عند العرب ، وتاريخه قديم جدا ، يرجع إلى ما قبل الإسلام . وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فى الجاهلية ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه .

وفى الصحيح أيضا من حديث ابن عباس أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يومٌ صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : « فأنا أحق بموسى منكم »فصامه . وبذلك صار صوم يوم عاشوراء فرضا ثم أصبح فيما بعد سنة إسلامية.

ولسنا بحاجة إلى سرد مباهج هذا العيد عند مسلمى مصر ، والتزامهم إلى الآن بعمل مايسمونه العاشوراء من حبوب القمح ، لا يكاد بيت من بيوتهم يخلو من صنعها أو ذوقها .

وحين نكر البصر إلى أصله عند اليهود ، نجد أنه العاشر أيضا ، لكن لا من المحرم ، بل من شهورهم العبرية ، وهو شهر تشرى .

ويذكر البيرونى فى الآثار الباقية ص ٢٧٧ أن صوم هذا اليوم هو الصوم المفروض من بين سائر صيام اليهود ، ويسمى صوم الكبُّور ، يصومونه خمسا وعشرين ساعة ومن لم يصم وجب عليه القتل .

ومما يذكر أن البيرونى كان من أعظم العلماء خبرة بطقوس اليهود. وصيغة فاعولاء من الصيغ النادرة فى العربية لا نكاد نجد منها إلا تاسوعاء وهو التاسع من المحرم

والضاروراء: الضراء، والساروراء: السراء والدالولاء : الدلال .

ولم أجد هذا الإحصاء فى مرجع إلا فى لسان العرب فى مادة (عشر) عن ابن بزرج، وزاد عليه ابن الأعرابى : الخابوراء : موضع. ولم يتعرض ابن خالويه لهذه القضية، وعقد لها السيوطى فى المزهر ٢ : ٦٩ فصلا زاد فيه عن ابن خالويه : ساموعاء، قال : «وهو اللحم فى التوراة. ولم أجد هذا فى كتابه ولعله من كتاب آخر» .

سنة الفقهاء :

قال أبو جعفر الطبرى فى تاريخ سنة ٩٤ من الهجرة «وكان يقال لهذه السنة : سنة الفقهاء ، مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة ، مات فى أولها على بن الحسين عليه السلام، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد ابن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام» . . .

واقتصر الطبرى على هذا . ولم يذكر على ابن الحسين بوصفه فقيها ، بل ذكر وفاته فقط .

وقد وجدت الصفدى فى نكت الهميان ١٣١، يعين هؤلاء الفقهاء فى دقة وتفصيل وذلك فى ترجمته لأبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة؛ إذ يقول : «وكان من سادات التابعين ، ويسمى : راهب قريش» . ويذكر أنه توفى سنة ٩٤ للهجرة، وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء ؛ لأنه مات فيها جماعة منهم . وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة فى عصر واحد ، وعنهم انتشر العلم والفتيا فى الدنيا . . . وقد جمعهم بعض الشعراء فى بيتين :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة
فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم : عبيد الله ، عروة ، قاسم
سعيد ، سليمان ، أبو بكر ، خارجة

وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة؛ لأن الفتوى بعد الصحابة صارت إليهم وشهروا بها ؛ وكان فى عصرهم جماعة من العلماء مثل سالم بن عبد الله بن عمر ، ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة ؛

وأقول : أما عبيدالله فى هذا الشعر فهو عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلى وكان، مع زهده وورعه، شاعرا مجيدا . وقال ابن عبدالبر : كان أحد الفقهاء العشرة، ثم السبعة الذين تدور عليهم الفتوى .

وأما عروة فهو عروة بن الزبير بن العوام حفيد أبى بكر ، أمه أسماء بنت أبى بكر ، وهو أخو عبدالله بن الزبير ومصعب .

وأما قاسم فهو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق . وكان ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيقتدى به . وكان صموتا شديد الصمت ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز قال أهل المدينة : اليوم

تنطق العذراء ! يعنونه بذلك : قال ابن عبد البر فى بهجة المجالس ٢ : ٦٤ : «كان القاسم بن محمد يلبس الخز ، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ، وكانا يتجالسان فى المجالس ويتحدثان الدهر ، لا ينكر واحد منهما لباس صاحبه » .

وأما سعيد فهو سعيد بن المسيب المخزومى ، وأبوه المسيب من أهل بيعة الرضوان . وفيه يقول الإمام أحمد : « أفضل التابعين سعيد بن المسيب » ويقول ابن حبان : « ما نودى بالصلاة من أربعين سنة إلا وسعيد فى المسجد » .

وأما سليمان فهو سليمان بن يسار الهلالى ، مولى أم المؤمنين ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سعيد بن المسيب يقول للسائل : اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقى اليوم .

وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن عبد الرحمن الذى أسلفت شيئا من ترجمته فى أول هذا الفصل .

أما سابع هذه الحلبة فهو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى ، وأبوه أبو خارجة زيد بن ثابت كاتب الوحى ، وبه كان يكنى . قال المصعب الزبيرى فى كتاب نسب قريش : « كان خارجة وطلحة يقسمان المواريث ويكتبان الوثائق ، وينتهى الناس إلى قولهما » .

فهذا تاريخ رجال الحقبة الأولى من أحقاب التشريع الإسلامى فى عنفوانه . وكانت السنة الرابعة بعد التسعين من الهجرة خاتمة لحياتهم الحافلة بالفتوى والتشريع .

سم الخياط :

لم يختلف المفسرون واللغويون فى تفسير هاتين الكلمتين . فالسم هو الثقب . والخياط هى الإبرة التى يخاط بها . ولكنهم ذهبوا مذاهب شتى فى تأويل قوله تعالى : «حتى يلج الجمل» ويشتد خلافهم حين تختلف القراءات بين «الجَمَل» و «الجُمَّل» بالضم وتشديد الميم ، و «الجُمَل» بضم ففتح مع التخفيف ، و « الجُمْل » بضم فسكون و « الجَمْل » بفتح فسكون . وقد تكفل أبو حيان بنسبة هذه القراءات الخمس فى الآية الأربعين من سورة الأعراف .

وقد اتفق السبعة على القراءة الأولى «الجَمَل» وفسّر بهذا الحيوان المعروف زوج الناقة ، كما فسرها ابن مسعود تهكما منه بالسائل الذى لم يعرف معنى الجمل فى القرآن . واختلفوا فى «الجُمَّل» : أهو حبل السفينة الغليظ ، أم هو الحبل الذى يصعد به فى النخل . أما سائر القراءات فلا يخرج تفسيرها كذلك عن الحبل الغليظ .

فواضح أن أعلى القراءات هذه هى قراءة «الجَمَل» بالتحريك . وقد وجدت نحو هذا فى إنجيل متى فى الفقرتين ٢٣ ، ٢٤ من الإصحاح التاسع عشر : «فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم ، إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات . وأقول لكم

أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » .

الجمل عند اليهود :

جاء فى غزوة بنى قريظة من السيرة ، أن سلمى بنت قيس ، وكانت إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد صلّت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء ، سألته رفاعة بنى سموءل القرُظىّ . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم وكان رفاعة هذا قد بلغ ، فلاذ بهـا ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يانبى الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل — وهى عبارة تحتاج إلى وقفة وتفسير — قال ؛ أى الراوى : فوهبه لها فاستحييته .

وهذه رؤية صادقة لحال من كان يدخل الإسلام من عرب اليهود ، فإنه يجد الإسلام قد وسّع له مجال الطعام فى مطعم هو أشيع المآكل عند العرب وأقربُها إلى أذواقهم ، وهو لحوم الإبل وشحومها .

وقد نص القرآن الكريم على ما كان من تحريم كثير من اللحوم والشحوم على بنى إسرائيل «وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون » . يقول أهل اللغة والمفسرون إن المراد بذوات الظفر يعم ذوات المناسم من الإبل والنعام ، لأنها كالأظفار لها ، وكذلك ما ليس بذى أصابع منفرجة كالبط والأوزّ .

فى مجال التأليف :

بسط الإسلام نوره على دنيا الثقافة بسطا عريضا ، فكان نشاط التأليف عبقريا من حيث العدد والكم ، ومن حيث النوعُ والكيف والكيف ، كما يقولون . وأمامنا أمثلة عظيمة من نشاط الجاحظ وأبى عبيدة ، والمدائنى ، وابن سينا ، والصفدى ، وابن منظور . ولعل من ألمع المؤلفين فى العصور القريبة العلامة ابن حجر ، وجلال الدين السيوطى (٨٤٩ — ٩١١) الذى يقول : شرعت فى التصنيف فى سنة ست وستين وثمانمائة — أى فى السابعة عشرة من عمره — وبلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه » وقد استمر السيوطى بعد مقاله هذا يكتب ويؤلف . وقد عدّ له بروكلمان ٤١٥ مصنفا ما بين مطبوع ومخطوط والعلامة فلوجل ٥٦٠ مصنفا ، وذكر له الأستاذ جميل العظم ٥٧٦ مصنفا بين كتب ورسائل ومقامات (عقود الجوهر فى تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر) .

وفى تاريخ ابن إياس ٣ : ٦٣ أن مؤلفاته بلغت ستمائة مؤلف . وكان السيوطى قد برع فى علوم كثيرة . وكان علم الحساب والمنطق فى موقع منه يخشاه ويتهيبه . يقول

« وأما علم الحساب فهو أعسر شئ على وأبعده عن ذهنى ، وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله » :

ويقول أيضا : « وقد كنت فى مبادئ الطلب قرأت شيئا فى علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى ، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه ، فتركته لذلك ، فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم » .

ويروى لنا السيوطى فى ترجمة إسماعيل ابن أبى بكر اليمنى ، أنه كان غاية فى الفهم والذكاء ، صنف كتابا سماه «عنوان الشرف» مجموعة فى الفقه ، وفيه أربعة علوم غيره تخرج من رموزه فى المتن عجيب الوضع ، وهو: نحو، وتاريخ ، وعروض ، وقواف فى خمس كراريس فى كامل الشامى » .

ثم يقول السيوطى عن نفسه : «وقد عملت كتابا على هذا النمط فى كراسة واحدة فى يوم واحد وأنا بمكة المشرفة ، وسميته : النفحة المسكية والمنحة المكية ، جعلته مجموعة فى النحو ، وفيه عروض ومعان ، وبديع ، وتاريخ .» ولاريب أن هذا عمل عبقرى يفخر به التأليف العربى .

لسان العرب :

قد يظن أن هذه التسمية تسمية فريدة بين المعاجم ، أو أن أول من أطلق هذه التسمية على كتاب هو جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى المصرى . ولكنى عثرت على نص فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ص٤٤٠) يذكر أن لابن سينا الحسين بن عبد الله كتابا سماه لسان العرب فى عشرة مجلدات .

ومن المعروف أنه كان للرئيس ابن سينا مشاركات شتى فى علوم العربية ، منها كتاب أسباب حدوث الحروف ، وكتاب الملح فى النحو .

ويذكر القفطى فى ترجمة أبى منصور الجبان — معاصر ابن سينا ومنافسه فى الدولة البويهية — أن أبا منصور هذا شرع فى تصنيف كتاب فى اللغة أحسن ترتيبه وتبويبه ، واستوفى فيه اللغة غاية إمكانه ، وجاء كبيراً وسماه : «لسان العرب» ومات قبل إخراجه من المسودة ، فبقى على حاله . فهذا لسان عرب ثالث .

ولعل السر فى إقبال ابن سينا على التأليف اللغوى ، ما كان من هزيمته أمام أبى منصور الجبان فى مجلس علاء الدولة بن فخر الدولة ابن بويه . يقول القفطى فى إنباه الرواة (٤ : ١٧٠) : « وبعد انفصاله من المجلس — يعنى الرئيس ابن سينا — نظر فى اللغة وتبحر فيها ، وعمل رسائل أودعها به نوعا متوافرا من اللغة » .

تهذيب الحيوان :

من بين ما صنعت فى مؤلفاتى : تهذيب سيرة ابن هشام ، وتهذيب إحياء علوم الدين للغزالى ، وتهذيب كتاب الحيوان

وقد ظن بعض الإخوة من الأدباء أنى قد انفردت بهذا العمل فى كتاب الحيوان، وراقه صنيعى، وكتب إلىّ مثنيا. والحق أنه قد سبقنى إلى تهذيب الحيوان عالمان جليلان من علماء القرن السابع، أما أحدهما فهو شاعرنا المصرى هبة الله بن جعفر بن محمد سناء الملك، المعروف بابن سناء الملك (٦٠٨) قال ياقوت فى ترجمته: وصنف كتاب روح الحيوان، لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ. ويقول ابن خلكان (٢: ١٨٨) بعده فى ترجمته له أيضا: واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسمى المختصر: روح الحيوان. وهى تسمية لطيفة.

كما يشير صاحب كشف الظنون إلى أن للموفق البغدادى اختصاراً آخر للحيوان. والموفق هذا هو عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد، المعروف بابن نقطة، المتوفى سنة ٦٢٩، وكلا المختصرين قد ذهب فى طيات التاريخ، فلم نر لأحدهما أثرا.

مقامات الحريرى:

جاء فى تاج العروس (زوك): وزاكان مدينة بالعجم، منها عبيد الزاكانى صاحب المقامات التى ضاهى بها مقامات الحريرى فأغرب وأعجب، وهى بالفارسية، رأيتها فى خزانة الأمير صرغتمش.

أجزاء القرآن الكريم:

يروى اليعقوبى فى تاريخه (٢: ١١٣) أن مصحف على بن أبى طالب كان فى سبعة أجزاء: الجزء الأول: البقرة وسورة يوسف، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وحم السجدة، والذاريات، وهل أتى على الإنسان، وألم تنزيل السجدة والنازعات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت، وسبح اسم ربك الأعلى، ولم يكن، وهو جزء البقرة، وعدد آياته ثمانمائة وست وثمانون آية، وهو ست عشرة سورة.

وعلى هذا النمط وتعداد الآى الست والثمانين والثمانمائة يكون جزء آل عمران (١٥ سورة) وجزء النساء (١٧ سورة) وجزء المائدة (١٥ سورة) وجزء الأنعام (١٦ سورة) والأعراف (١٦ سورة) والأنفال (١٦ سورة).

وقد وجدت فى مطالعاتى وفيما أحييت من التراث أن أول محاولة لتجزئة القرآن كانت تجزئة حسابية عددية لا تجزئة مصحفية كما هو المألوف فى المصحف الكريم المتداول بيننا اليوم، وهى المحاولة التى رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى مجالسه (١: ٦٣) التى حققتها منذ خمسة وثلاثين عاما يعزوها إلى القارئ المكى حميد الأعرج المتوفى سنة ١٣٠، أنه حسب نصفى القرآن بعدد الحروف، ثم ثلاثة أثلاثه وأربعة أرباعه إلى أن انتهى إلى عشرة أعشاره، وبلغ من دقته أنه كان يجزئ الكلمة الواحدة فى التعداد فيجعل على سبيل المثال (مأ) نهاية للثمن الأول من المصحف و(واهم) بدءاً للثمن الثانى، وهى كلمة (مأواهم). ومن

البديهى أن هذا التقسيم إنما هو ضرب من العناية والدراسة لا دخل له بتجزئة الكتاب الكريم . ومهما يكن فإنه يدل على عبقرية حسابية .

أما أقدم تقسيم مصحفى منصوص عليه فهو التقسيم الرباعى المنصوص عليه فى البرهان للزركشى (١ : ٢٤٤) بناء على تأويل الحديث عن واثلة بن الأسقع عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « أعطيت السبع الطُّوَل مكان التوراة ، وأعطيت المثين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثانى مكان الزبور وفُضِّلت بالمفصَّل » .

فالسبع الطول أولها البقرة وآخرها براءة ؛ لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة — أى التوبة — سورة واحدة . والمثون ماولى السبع الطول ؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقارب . والمثانى ماولى المثين لأن الأنباء والقصص تثنى فيها بصفة خاصة . والمفصل : ماولى المثانى من قصار السور ، سمى مفصلا لكثرة الفصل بين السور بالبسملة .

ونحو هذا التقسيم مع شئ من التفصيل فى الإتقان للسيوطى (١ : ١٧٩ — ١٨٣) .

ولعل أول إشارة لتحزيب المصحف وتجزئته إلى ثلاثين ، ماورد فى البرهان للزركشى (٧٤٥ — ٧٩٤) ١ : ٢٥٠ إذ يقول :

« وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها » .

ولعل لفظ (الربعة) الوارد فى هذا النص يعنى به المجموعة التى تربع ؛ أى تحمل وترفع .

وقد شاعت أيضا كلمة (الختمة) ويذكر المرتضى الزبيدى فى مستدرك تاج العروس أن الختمة بالفتح ، ويُكسر : المصحف ، عامية . ووصفه اللفظة بأنها عامية ليس كما ينبغى ، والأولى أن يقال إنها مولدة صحيحة ؛ لأن القارئ يختمها بإكمال تلاوته لها جميعها فهى تسمية باسم المرة .

الفية ابن مالك :

من المعروف أن عدد الأبيات التى نظم فيها ابن مالك ألفيّته هو الألف . وقد بدا هذا واضحا فى كل مخطوطاتها وطبعاتها . لكنى وجدت الصبان فى حاشيته على شرح الأشمونى (٤ : ٢١٧) فى باب الوقف يقول ، تعليقا على بيت ابن مالك :

وو صلها بغير تحريك بنا
أُدِيمَ شذَّ فى المُدام استحسنا

قال : يوجد فى بعض النسخ قبل هذا البيت :

ووصلَ ذى الهاء أجز بكل ما
حرِّك تحريك بناء لزما

من تاريخ الخط العربى :

يقولون : إن أول من جوَّد المصاحف خالد بن أبى الهيَّاج ، وكان منقطعاً إلى الوليد ابن عبد الملك ، يكتب له المصاحف ، وكذلك

أخبارَ العرب وأشعارَها . ومن بعد خالد عرف مالك بن دينار السامى، مولى سامة ابن لؤى المتوفى سنة ١٣١، وتعاقب التجويد بعد ذلك حتى بلغ غايته على رأس الثلثمائة على يد أبى على محمد بن مقلة، وابنه عبدالله ابن مقلة . وأبو على هو أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط وضبطها فى إحكام صادق، وسمى خطه بالخط المنسوب، وفيه يقول أبو عبيد البكرى صاحب المعجم :

خط ابن مقلة من أرعاهُ مقلته
ودّت جوارحه لو أصبحت مقلا

وفى أوائل القرن الخامس ظهر أبو الحسن على بن هلال البغدادى، المعروف بابن البوّاب المتوفى سنة (٤١٣) وقد نوّه أبو العلاء المعرى الضرير بابن هلال هذا فى إحدى بغدادياته، إذ يقول فى نعت الهلال :

ولاح هلال مثلُ نون أجادها
بجارى النضار الكاتب ابن هلال

وجارى النضار : ماء الذهب .

ويقول ابن خلكان : وسألنى بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخرين من جملة أبيات فى صفة كتاب :

كتاب كوشى الروض خطت سطوره
يد ابن هلال عن فم ابن هلال

فقلت له : هذا يقول : إن خطه فى الحسن مثل خط ابن البواب، وفى بلاغة ألفاظه مثل رسائل الصابى ؛ لأنه ابن هلال أيضا .

والصابى الذى يشير إليه ابن خلكان هو المترسل أبو إسحاق بن إبراهيم بن هلال، المتوفى قبيل سنة ٣٨٠ .

وبذلك نستطيع أن نضيف إلى معاجم المثنى والمبنّى « ابنا هلال » . . .

وممن عرف بجودة الخط بعد ابن هلال، ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى، صاحب المعجمين، المتوفى سنة ٦٢٦ ثم ياقوت بن عبد الله الرومى المستعصمى مولى المستعصم، المتوفى سنة ٦٨٩

الثقة بالتواريخ المعاصرة :

من الخطأ الفاحش الذليل أن يكلف مؤرخ معاصر تكليفا ديوانيا أن يكتب تاريخا بإيعاز من ولى الأمر مهما سمت منزلته وعرف بالنزاهة ونقاء الجيب وسلامة النفس ؛ إذ ليس من طبيعة البشر إلا أن يجاملوا معاصريهم ومن هم فوقهم مهما تصنعوا من عدالة وإنصاف. فهذا الأسلوب مضيعة للتاريخ وبهتان عظيم .

ومن نماذج هذا الخطأ فى القديم ما أمر به عضد الدولة بن بويه الديلمى أبا إسحاق الصـــابى الســـابق الذكر، أن يصنع له كتابا فى أخبار الدولة الديلمية، فعمل الصابى هذا الكتاب وسماه «الكتاب التاجى» فماذا حدث بعد ذلك؟ قيل لعضد الدولة هذا :

إن صديقا للصابي دخل عليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض، فسأله عما يعمل فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها !

يقول ابن خلكان راوى الخبر : «فحركت ساكنه وهيجت حقده. ولم يزل مبعداً فى أيامه » :

وكان عضد الدولة قبل هذا التكليف قد أرهبه واعتقله ، وعزم على إلقائه تحت أيدى الفيلة. فشفعوا فيه ، ثم أطلقه ورسم له أن يكتب هذا التاريخ الملفق المنمق .

القسامة :

جاء فى اللسان (قسم ٣٨٠) : القُسامة بالضم : ما يأخذه القسام من رأس المال عن أجرته لنفسه من رأس المال، كما يأخذ السماسرة رسما مرسوما لا أجرا معلوما ، كتواضعهم أن يأخذوا من كل ألف شيئا معينا .. وذلك حرام :

ثم يقول : قال الخطابى (وهو أبو سليمان حمد أو أحمد بن إبراهيم بن الخطاب المتوفى سنة ٣٨٨ ، وكان فقيها محدثا) قال : ليس فى هذا تحريم ، إذا أخذ القسام أجرته بإذن المقسوم لهم ، وإنما هو — أى التحريم فيمن ولى أمر قوم، فإذا قسم بين أصحابه شيئا، أمسك منه لنفسه نصيبا يستأثر به عليهم.

وفى هذا النص الذى أورده صاحب اللسان ما يكون ضميمة وسنداً لما يجرى من خلاف حول المعاملات المصرفية الحديثة .

فى مجال النحو واللغة :

الدال اليابسة :

من أغرب ما وجدته فى تعبيرات الضبط اللغــوى المعجمى ، ما جاء فى كتاب : « تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه » من نوادر المخطوطات (١ : ١٠٦) يقول مؤلفه الفيروزبادى فى ضبط جحدم : بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليابسة ، بدلا من قوله : «الدال المهملة» ، كما هو المألوف عند أصحاب المعاجم .

(ترجمة الجيم فى الأعلام والكلمات الأعجمية) يختلف العرب المعاصرون فى ترجمة ما أوله جيم غير معطشة من الأعلام والكلمات الأعجمية، فأهل مصر يجعلونها جيما قاهرية ، وكثير من العواصم العربية يجعلها غينا أو كافا .

جاء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (١٢٩) : «ويقول أبو بكر الرازى فى كتاب الحاوى : إنه ينطاق — أى يطرد — فى اللغة اليونانية أن ينطق بالجيم غينا وكافاً ، فيقال — مثلا — جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز » .

الاعراب :

كما أسرف قوم فى إهمال الإعراب جهلا أو تخلصاً من الأخطاء ، نجد أن قوماً من العرب قد أسرفوا على أنفسهم

فأجروا الإعراب فى الكلمات كلها وصلا ووقفاً .

وجدت فى كتاب سيبويه (٤ : ١٦٧ هارون) « وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرُو ، ومررت بزيدى وعمرى. جعلوه قياساً واحدا، فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف » .

تنوين الموصوف بابن :

من المعروف عند علماء الرسم أن تنقص ألف ابن وابنة إذا وقع أحدهما مفرداً نعتاً بين علمين مباشرين أولهما غير منون وثانيهما مشهور بالأبوة ، ولو ادّعاء بشرط ألا يكون فى أول سطر .

وهذا هو الجارى فى مألوف الرسم أو الإملاء كما يقولون ، ونص عليه علماء النحو أيضا، لكن هناك خلافا فى نحو: أبوبكر بن أبى قحافة ، وعبد الله بن أم مكتوم ؛ أى إذا وقع ما قبل الابن مضافا أو وقع ما بعد الابن مضافا .

يقول الصبان — وهو نص نادر — : «وجزم الراعى بوجوب تنوين المضاف إليه ، وكتابة ألف ابن إذا كان الموصوف بابن مضافا ، كما فى قام أبو محمد ابن زيد . واختاره الصفدى فى تاريخه بعد نقل الخلاف واختاره أيضا المصنف — أى ابن مالك إذا كان المضاف إليه ابن مضافا ؛ أى فى نحو رأيت محمداً ابن زين العابدين » .

فهذان النموذجان عندهما يكتبان ويقرءان بتنوين ما قبل الابن ، وبإثبات ألف ابن فى الكتابة كذلك .

والراعى الذى ذكره الصبان هو محمد ابن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسى، نزيل القاهرة ، المتوفى سنة ٨٥٣ ، له شرح على الألفية والآجرومية .

واحد عشر
والواحد والعشرون

الفصيح فيهما أن يقال : أحد عشر والحادى والعشرون لكنهما وجهان جائزان .

وفى التصريح (٢ : ٢٧٧) : « وحكى الكسائى عن بعض العرب واحدَ عشر على الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » .

وقد علق الأشمونى على هذا بقوله : «وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم : واحدَ عشر فشاذ نبه به على الأصل المرفوض» .

ثم يقول : «قال فى شرح الكافية : ولا يستعمل هذا القلب فى واحد إلا فى تنييف ؛ أى مع عشرة أو مع « عشرين » وأخواته .

اى ان :

يخطئ كثير من الكاتبين والمتكلمين فى استعمال أنّ المفتوحة الهمزة بعد أى التفسيرية ، والصواب « أى إن» بالكسر ؛ لأنها تكون تفسيراً لكلام سابق ، أى لجملة لا لكلمة ، وإذن فإن الواقعة بعدها هى بدء الكلام فوجب كسر همزتها .

ومثاله ما أسعفنى به ابن منظور حينا أنشد بيت أمية بن أبى الصلت فى مادة (عول) :

سَلَعٌ ماومثله عُشَرٌ ما عائلٌ ما وعالت البيقورا

وفسره فقال : « أى إن السنة الجدبة أثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر » .

ولو أخطأ لقال : أى أن السنة الجدبة . وعلى هذا إذا فسرنا قول الشاعر :

وترمينى بالطرف أى أنت مذنب

وتقليننى لكنّ إياك لا أقلى

قلنا : «أى إنك مذنب » لا «أى أنك مذنب ».

أما أى المفسرة للمفرد فلا تأتى بعدها إنّ مطلقا، بل نقول : هذا عسجد ، أى ذهب ، وغضنفر ، أى أسد ، وما بعد أى عطف بيان أو بدل عند البصريين ، وعطف نسق عند الكوفيين .

الطريحة :

كلمة مولدة قديما ، تستعمل بمعنى الكمية التى يجب عملها مطلقاً ، من نسج أو بناء أو طلاء ، أو تصنيع ، أو كتابة أو تأليف. وجاء فى ترجمة عبد الملك بن سراج النحوى من كتاب «بغية الوعاة» ٣١٢ أنه طال عمره مع البحث و التنقير ، وكان يقول : «طريحتى فى كل يوم سبعون ورقة». واشتقاقها من الطرح ، كأن الشيء يطرح أمامه ليعمله ، أو كأنه طرحه من وراء ظهره بعد أن كان مثقلا به. وعبد الملك هذا ممن توفى سنة (٤٨٩)

الحلزون :

كلمة عربية أصيلة ينسب إليها الشكل الحلزونى المعروف. وهى أحد ما جاء على وزن فَعَلُول كالزرجون للخمر والكرْم والقربوس لحنو السرج ، والقرقوس للقاع الأملس الغليظ . وفى اللسان: «الأصمعى : حلزون : دابة تكون فى الرمث » . وفى القاموس : «دابة تكون فى الرمث أو من جنس الأصناف » ، ويفسّره الدميرى فى «حياة الحيوان» بأنه دود فى جوف أنبوبة حجرية يوجد فى سواحل البحار وشطوط الأنهار . وهذه الدابة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية ، وتمشى يمنة ويسيرة تطلب مادة تغتذى بها ، فإذا أحسّت بلين ورطوبة انبسطت إليها ، وإذا أحسّت بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف الأنبوبة الصدفية حذارا من المؤْذى لجسدها ، وإذا انسابت جرّت معها بيتها .

وفى معجم المعلوف ٢٣١ : «والحلزون عند عامة أهل الشام : الصغير منه يسمونه فى العراق زلنطح وسلنطح . ويقول الصبيان : سلنطح ياسلنطح ، طلع قرونك وانطح .

قلت : ولعل هذا تأصيل لما تقوله عامة المصريين للرجل العيار المرهوب الجانب لعدم مبالاته «ظلنطحجى» يعنون أنه إذا استثير صارع قرنه برأسه لا يبالى ما صنع . و«جى» هى علامة النسبة فى التركية .

من غرائب التصحيف :

والتصحيف آفة من آفات العلماء لا يكاد عالم فاضل يخلو منها، مهما أوتى من علم . جاء فى شواهد الأشمونى قول ذى الرمة :

ويسقط بينها المرئى لغوا
كما ألغيت فى الدية الحُوارا

والبيت بهذه الصورة السليمة موثّق مفسّر فى ديوان ذى الرمة، ويقول الصبان، وهو نحوى جليل فى التعليق عليه ٤ : ١٩٢ : قال البعض : لبس بنظم ، وانظر ماضبطه وما معناه ، فإنى لم أقف عليه ، لكن وجد فى بعض النسخ على كونه نظما من بحر الوافر :

ويسقط منهما المرئى لَقْوا
كماء العِنْب فى الدُّبّة الحوّاءَ

بضمير التثنية فى «منهما» وضبط «لقْوا» كغزو ، وسكون نون العِنْب وتخفيف باء الدُّبّة وواو الحواء .

وهكذا أفلت الزمام من عالم جليل ، ولكن لم يفلت زمامنا فى الحكم له بالفضل فلكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

عبد السلام هارون
عضو المجمع

تصحيح الأوضاع

للأستاذ محمد الفاسي

سيدى الرئيس :

أيها الزملاء الكرام (*) :

إننى أشكر مجمعنا العتيد على اختياره موضوع لغة الصحافة لأبحاث هذه الدورة من المؤتمر، لأن أمر تفشى الأغلاط فى لغتنا من حيث اللغة والصرف ومعانى الألفاظ والتراكيب ودخول الهجنة عليها ، بلغ من الخطورة حدّا جعل كل المهتمين بمستقبل اللغة العربية يخافون عليها ؛ إذ أن هذه التحريفات أكثر ضرراً عليها من الدعوة إلى العامية ، لأن هذه الدعوة قد برهن الزمن للعقلاء من أمتنا على مضرتها وتسلحوا ضدها بشتى الوسائل ، ولكن نسبة هذه الأخطاء للصحافة وحدها صار غير صحيح فى وقتنا هذا ، فمنذ كتب «اليازجى» عن لغة الجرائد ومن جاء بعده ممن عالجوا هذا الموضوع ، ظهرت وسائل أخرى إعلامية أعمق أثراً فى المجتمعات ، وأشمل نفوذاً مما تسرب حتى فى أقلام العلماء والكتاب ، ثم إن هذه الوسائل لم تبق محدودة فى نطاق بلد واحد، ولكنها انتشرت فى كل العالم العربى أكثر من انتشار الجرائد والمجلات ، أى ما كنا نطلق عليه اسم الصحافة .

ولقد اهتم العرب منذ القرون الأولى من الحضارة الإسلامية بتصحيح الأخطاء فى كتب يسمونها عادة أخطاء الخواص ، والأمر ليس خاصا بالعربية ، فاللغات الحديثة كلها تتعرض لهذه الأخطاء بسبب تعميم التعليم الابتدائى الذى يجرئ كل واحد على الكتابة والتأليف، حتى من كانت بضاعته مزجاة ، وإذا أخذنا مثلا لذلك فى اللغة الفرنسية ، نرى كبريات الصحف اليومية تخصص ركنا لتصحيح أوضاع اللغة الفرنسية ، وتوجد هيئات ترعاها الحكومة تسهر على سلامة اللغة ، وترجع الفاسد منها إلى الصواب ، وتبعد الدخيل الإنجليزى الذى يغزو الآن لغات الدنيا، وتحل محله ألفاظا فرنسية ، وفى الأسبوع الماضى قدم السيد «لانج» وزير الثقافة الفرنسى للصحافة مائة كلمة فرنسية لتحل محل نظيراتها الإنجليزية .

وقبل أن أتعرض لتصحيح بعض هذه الأخطاء والتحريفات، وأنا أعنى بهذا منذ

(*) ألقى فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣هـ الموافق ٢٦ من فبراير ١٩٨٣ م) .

زمن طويل ، واجتمع لدى الشئ الكثير منها عدة مقالات فى جريدة الرسالة التى تصدر فى مدينة سلا بالمغرب فى هذا الموضوع تحت عنوان «تصحيح الأوضاع » — أقول قبل ذلك ينبغى أن أشير إلى أسباب تفاحش هذه الظاهرة التى عملت وسائل الإعلام المسموعة — أكثر من غيرها — على تفشيها ، والسبب الأول هو إصرار العرب على عدم استعمال الشكل والضبط على ما يكتبون. فمن هنا مئات الأغلاط اللغوية والنحوية ، وإذا كنا فى العصور الماضية لا نحتاج إلى ذلك ، لأن عدد المثقفين كان قليلا ، وكان لهم من الوقت ما يكفيهم فى صغرهم وشبابهم لتعلم قواعد النحو العربى الكثيرة المتسعة ، فإن ظروف العصر الحاضر لا تساعد على ذلك ، وأنا أعتقد أن العربية أسهل اللغات ؛ لأن قواعدها ليس فيها شذوذ ؛ كما هو الشأن فى اللغات الغربية مثلا ، وذلك لأن واضعى النحو العربى كانوا من العباقرة النبغاء ؛ إذ اهتدوا إلى جعل قاعدة لكل ظاهرة نحوية كتابة وإعرابا ، مما جعل من جهة أخرى حفظ هذه القواعد والاستيلاء عليها يتطلبان زمنا طويلا لذلك ، حيث يضيق بنا الوقت لاستيعابها ، واليوم يتعين ، بل يجب تلافى الأخطاء بشكل كل ما ينشر على الناس . ولاحظْ فائدة هذا فى طبع « المصحف الشريف » الذى لا يلحن فيه أحد مطلقا بفضل الشكل الكامل لكل ألفاظه .

والسبب الثانى : العجلة فى نشر الخبر ، مما لا يدع وقتا للمحرر التلفزى والإذاعى للبحث والتنقيب عن اللفظ المناسب والتركيب الصحيح ، ثم إن للمترجمين مسؤولية عظمى فى هذه الحالة السيئة التى صارت إليها اللغة العربية ، وقد لاحظت هذا فى منظمة اليونسكو ونبهت عليه ، وكم مرة فى أثناء الاستماع إلى مترجم أو مترجمة أطلب الكلمة من الرئيس لأقول : إننى لم أناضل النضال المرير أنا وزملائى العرب لإدخال لغتنا إلى اليونسكو لكى نراها اليوم تمزق بهذه الصورة ، ثم إننى عقدت مع ثلة من المترجمين جلسة أطلعتهم فيها على مآخذ بينتها لهم كتابة بعد ذلك .

ثم إن من المسؤولين على إفساد لغتنا أصحاب المتاجر والمعامل وكل من يعلق على محل عمله أو يكتب على سيارات نقله أسماء ما يقوم به من عمل ، وأمثال هؤلاء يجب أن يردعوا :

وفى المغرب ، عند تأسيس الأكاديمية الملكية المغربية ، جعل مؤسسها وراعيها جلالة الملك «الحسن الثانى» — نصره الله — من أهدفها أنها «تقوم بالمحافظة على صفاء اللغة العربية وصحة الترجمة ، وأن ما تقرره من ذلك ملزم ». ومن أمثلة هذه الانحرافات : الشركة التى تسمى نفسها « المغرب خشب» وهى تعنى بذلك بكل بساطة : « شركة خشب المغرب» ، وكذلك «المغرب حليب » ولو

كان هذا التركيب صحيحا لكان معناه أن المغرب محلوب ، ولكنهم يعنون بذلك فقط : «شركة حليب المغرب» ومظاهر هذه التشويهات كثيرة .

ومن أسباب هذه الأخطاء الإهمال وعدم الاكتراث ، بدليل أننا نرى فى كتابة علماء ومثقفين أغلاطا لا نجدها حتى عند تلاميذ المدارس الثانوية ولا يمكن أن تنسب للمطابع ؛ لأن الطابع يمكن أن يغلط فى حرف ، وأما أن يطبع من عنده تركيبا خاطئا ـ عوض صواب الكاتب ـ فهذا بعيد .

وهذه اللامبالاة ناتجة عن كسل فكرى ، لأن الانتباه وتوخى الصواب ـ خصوصا فى لغة المخاطبة ـ يتطلبان مجهودا عقليا يكسل عنه المتكلم والكاتب أحيانا ، وهكذا نسمع ونقرأ ألفاظ القناعة بمعنى الاقتناع ، ولاندرى من أين جاء هذا الخلط ، لأن كل عربى سليم الذوق يعلم أن من لم ينتظر أكثر مما جاءه فى حظه واكتفى به فهو قانع ، أما الذى تشرح له مسألة حتى يصدق بها فهو المقتنع ، وقد حصل له الاقتناع ، ولكنك صرت لا تسمع فى الخطب ولا تقرأ فى الكتابات إلا القناعة ، وعسى الذين يغلطون فى هذا المفهوم يرجعون عن غلطهم ويقتنعون بصواب الاقتناع عوض القناعة .

ومن ذلك استعمال لفظة الشفوى لما هو غير مكتوب والمقصود الشفاهى ، وهذا الغلط ناتج عن الرغبة فى الهروب من النسبة إلى الجمع ، ظنا أن لفظة الشفاهى نسبة إلى شفاه جمع شفة ، والواقع أن الشفاهى ـ بمعنى غير المكتوب ـ هو نسبة إلى المصدر أى شافه يشافه مشافهة وشفاها ، كما نقول : ناضل مناضلة ونضالا ، أما شفوى فهو ما ينسب لشفة كالحروف الشفوية مثل : الباء والميم ونحوهما . ومن هذه الأغلاط الشائعة استعمال لفظة المراقب أو المراقبين لمن يشاركون فى اجتماعات عامة وطنية أو دولية بدون أن يكونوا أعضاء عاملين ، وبدون أن يكون لهم حق التصويت ، فهم مجرد ملاحظين observer, observlew

وكنا فى المغرب لا نسمع ولا نقرأ إلا لفظ ملاحظ حتى أخذ مذيعونا يقلدون من يقول : «مراقب» عوض «ملاحظ» ، ولو تنبه هؤلاء إلى معنى المراقب لوجدوه أكثر حتى من عضو مطلق ؛ لأن من له حق المراقبة هو الذى يفحص أعمال من له رقابة عليه وينتقده ويوجه له اللوم إن اقتضى الأمر ذلك .

وكذلك المتتبعون لأحوال بلاد ما ـ من حيث السياسة ـ فهم كذلك ملاحظون لا مراقبون ، ولكنك لا تسمع ولا تقرأ إلا «يرى المراقبون» ، « ويقول المراقبون » : ونحو هذا . . وقد وصلت أخيرا هذه العدوى إلى المغرب :

ومن الأخطاء الكتابية ما يتعلق بالهمزة ، وخصوصا الهمزة المضمونة فى وسط الكلمة ، التى تكتب هنا فى مصر فوق الياء مثل :

«شئون » ولعمرى لا أدرى ماالحامل على ذلك ، وجعلها فوق الواو متيسر كجعلها فوق الياء ، أما عندنا فى المغرب فإننا كثيرا ما نرى الهمزة المكسورة مكتوبة فوق الألف ، ولكن هذا يقع فقط فى الآلة الكاتبة ؛ لأن صانعى هذه الآلات قبل اليوم كانوا لا يعتنون بسبك هذا الحرف ؛ أى الألف « تحته همزة » ، ومن هذا القبيل إهمال النقطتين تحت الياء فى آخر الكلمة ، فيلتبس مثلا عليّ بعلىّ .

وأما فوضى كتابة الهمزة فإنها عامة ، ولكن فى المطابع التى لا تتقن عملها ، مع أن كتابة الهمزة لها قواعد ثابتة ، وهذا مثل مايتعلق باللغة العربية كلها نطقا وكتابة ، يحتاج إلى انتباه وتفكير ، خصوصا مع انعدام الشكل ، وهو فى نظرى السبب الرئيسى لأكثر الأغلاط التى صار الوعى العربى الآن يتتبعها بكل اهتمام :

ومن الاستعمالات الخاطئة استعمال لفظ معمار بمعنى هندسة معمارية وتسمية المهندس المهتم بالبناء معماريا ، ولكن الذى أعرفه هو أن المعمار هو هذا المهندس نفسه ، وقد جاء فى الجزء العاشر من معجم الأدباء «لياقوت» أن أحد الأمراء أيام العباسيين بنى دارا جميلة وحضر الملك محمود بن نصر المرداسى يوم الاحتفال بفتحها فأعجبته أيما إعجاب ، وسأل عن الثمن الذى لزم لبنائها ، فقال له صاحبها : والله لا أدرى بالضبط ولكن المعمار هنا وسأناديه ليخبرنا بذلك « معجم الأدباء ج ١٠ ص ١٠٠ » .

ومن الأغلاط الشائعة : النسبة إلى كلمة لاعلة فى آخرها وبدون موجب بزيادة واو .. وهذا ينم — كمظاهر أخرى من هذا التشويه — على فقدان الملكة العربية ، فما أحوجنا أن نقول : «الإدارة الغابوية ، والنظام الأسروى ، والحركة الوحدوية » ، فى حين أن التركيب الإضافى هو آلف فى هذا المقام ، فقولنا : إدارة الغابات ، ونظام الأسرة ، وحركة الوحدة ، أخف على اللسان وأنسب للسليقة العربية .

ومن هذه الأخطاء التى تدل على الجهل باللغة استعمال لفظة « أخِصَّائى » للدلالة على العالم أو الخبير المتخصص فى فن ما ، ظنا من مخترعها الأول أنها مشتقة من مادة «خصص» ، والواقع أنه رأى هذه الكلمة مكتوبة بدون شكل هكذا « ا ، خ ، ص ، همزة فوق الياء ، وياء النسبة » فقرأها أخصائى ، فى حين أن مستعملها كان يعلم مايقول ولكن لم يشكل ، أو بالأحرى لم تشكل المطبعة (وهذا داء عضال) فلم يقرأها على صوابها وهو : إخصائى — اصطلاح عربى للخبير بالشئ العارف له معرفة دقيقة .

ومن التقليد للغة الفرنسية — بالخصوص عند أبناء المغرب العربى — استعمال لفظة «الوطن الأم » ؛ لأن لفظة الوطن Parrie

بالفرنسية مؤنثة ، وإن كان اشتقاقها من اللاتينية Peter لفظا مذكرا ، والأب مذكر فى أكثر اللغات الأخرى ، فينبغى أن يقال ، الوطن الأب إذا كان ولابد أن نقتبس هذا التعبير من اللغات الأعجمية.

ومن هذا القبيل -أى تقليد اللغة الفرنسية- تأنيث الأفعال الراجعة إلى اسم مذكر أضيف إليه اسم مؤنث ، فيقولون مثلا : توصلت جلالة الملك ببرقيات تهنئة ، والحالة أن العربية لاتبيح مثل هذاالتراكيب ؛ لأن المقصود هو المضاف إليه ما قبله ، أى لفظة الملك ، وسبب هذا أيضا أن أسلوب اللغة الفرنسية يفرض أن يعتبر فقط المضاف ؛ لأن صيغة هذه اللغة الوقوف مع الألفاظ ، وهو نوع من الجمود يضفون عليه صفة الوضوح ، فيقولون : الفرنسية لغة الوضوح .

ومن الاستعمالات الخاطئة عند التونسيين — متأثرين باللغة الفرنسية — قولهم : « المدينة أين ولد فلان » و « البلد أين أنا ذاهب » .

ومما عمت به البلوى فى هذه السنين الأخيرة استعمالات فجة لا يستسيغها الذوق العربى وتحدث التباسا فى المفاهيم ، وذلك بقولهم : « التحديث » ، ويقصدون به جعل الشئ حديثا ، « والتعصير » : أى يجعل الشئ عصريا ، وسبب مثل هذه التراكيب هو اللجوء إلى ألفاظ خاصة عوض استعمال جملة تفسيرية واضحة ، كأن يقال مثلا : موافق للعصر أو متمش مع الطرق الحديثة ، وهكذا لا يلتبس الأمر لا بتعصير الفواكه ولا بسرد حديث النبى صلى الله عليه وسلم .

وأبشع منهما « التطبيع » بمعنى إرجاع العلاقات طبيعية ، وفى بلاغة اللغة العربية ما يكفى للتعبير عن كل هذه المعانى بألفاظ جزلة واضحة .

ومن باب تفخيم الأشياء فى بعض البلاد العربية تسمية أشياء بسيطة بألفاظ فخمة ، فالمدرسة -وإن كانت ابتدائية- معهد ، والتلاميذ طلبة ، والمعلم الابتدائى أستاذ ، والجمعية رابطة ، والأمم الفقيرة المتخلفة — وهذا عندى هو المقصود بالذات فى هذا الفصل- نامية ؛ أى نمت وتم نموها ، وهذا الاستعمال أصله الإذاعات الأوربية الناطقة بالعربية وهى تتملق منتجى النفط ، ولا تريد أن تجرحهم بنعتهم بالأمم المتخلفة -وهو أصدق تعبير عن حاله هذه الأمم — فأخذوا يقولون أولا : الأمم التى تسير فى طريق النمو ، ثم قفز واقفزة واحدة إلى نعتها بأنها لم تبق فى طريق النمو ، وإنما وصلت إلى النمو وصارت نامية ، وأحسن ما يعبر به عن هذا المفهوم لفظة متنامية ؛ لأن « تفاعل » فى العربية يؤدى هذا المعنى ، فتقارب مثلا -يسعى نحو القرب . وتماثل للشفاء دخل فى طور النقه ، وقد أخذ بها كتاب العراق ، وقد نشرتها فى المنتديات الدولية كاليونسكو والاليسكو :

ومن التراكيب الشائعة فى هذا العصر استعمال فعل «عانى» بدون مفعول كأنه لازم، ويركبونه مع حرف الجر «من» فيقولون مثلا : «وأهل القرية يعانون من قلة الماء» ، ولا يقولون ماذا يعانون، وهذه ترجمة للكلمة الفرنسية Sou Pprir de وهو فعل لازم ويأتى أحيانا متعديا ، وهذا من أمثلة سوء الترجمة ، ولكن هذه العبارة كتب لها انتشار كبير ولا تخلو منها جريدة ولا خبر إذاعى أو تلفزى .

وإنى أعفيكم من التصحيحات التى تعرض لها الأستاذ والزميل الفاضل سعيد الأفغانى ؛ لأنه أثلج الصدر بتصحيحاته وذلك كاستعمال « الكوادر » لما نسميه « الأطر » أو الإطارات ، وأزيد : أن كوادر — زيادة على هجنتها وبشاعتها فى العربية — لها معنى فاحش فى العامية المغربية ، وأما « مدير عام الشركة » — ولا يمكن أن يقرأ إلا هكذا — فهى من علامات أخرى لانعدام السليقة العربية . هذه هى الطامة الكبرى التى أعتبرها عنوان هذا الانحطاط الذى أصاب بعض نواحى لغتنا الحية القوية، التى لا يمكن لكل هذه الانحرافات أن تزيل عنها رونقها ومقامها، لأنها محفوظة من قبل المولى تعالى الذى أنزل بها كلامه القديم .

وأريد أن أختم هذه الكلمة الوجيزة بما قاله أحد حكماء اليونان وهو «أنتيستان» من رجال القرن الرابع قبل المسيح، قال: « إن الاستيلاء على الألفاظ هو رأس الحكمة» ، والسلام عليكم ورحمة الله .

للأستاذ محمد الفاسى
عضو المجمع من المغرب

الرُّوح (*)

للدكتور حسن علي إبراهيم

إذا جلَّى النهار الشمس صبحا　　وسال نُضارها فى الخافقين
وإن وافى الهلال بجنح ليل　　فأرسل نوره مثل اللجين
وزينت السماء كفرط ماس　　بكل نجومها والفرقدين
فسبح باسم فاطرها جميعا　　وخالق لُبِّنا والأصغرين
لمن أعطى الحياة لكل حيّ　　وكون ماءها من عنصرين
خلقنا من تراب ثم صرنا　　بعين نجتلى وبمسمعين
وما الأجسام إلا من جماد　　كصخر قُدَّ من جبلى حنين
فرب بميت الذرات حس　　تعالى الله رب النيرين
دم من ميت الذرات يجرى　　فيدفعه الأذين إلى بطين
فهل للكلس والفسفور لب　　وهل يرنو الجماد بمقلتين ؟
أيغضب ما مكونه جماد　　ويمسى الترب وهو قرير عين ؟
وتنتج ذرة الكربون شعرا　　ولوحات تسر الناظرين ؟
ويشدو الميت من ماء وملح　　فيطرب قلبنا والسامعين ؟
ويكتب ميت الكبريت سفرا　　فتفهمه كهارب ذرتين ؟
هى الروح التى دبت فأوعت　　محركة الخواطر واليدين
وأما الروح ذى من أمر ربى　　وسر عند رب المشرقين
وما أوتيت من علم قليل　　كرشف من مياه الرافدين
وهل يحيى الجماد سوى قدير　　تناهى قدرة فى العالمين
وفى هذى الخوارق خير رد　　لزندقة وهرطقة ومين
ومن مارى فقد مارى بقلب　　ونفس فى الضلالة غارقين

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الخامسة من مؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ، الموافق ٢٦ من فبراير ١٩٨٣ م).

ومما راعني أني ملاق — إله الكون بعد نوى وبين
قريب فهو في نفسي وحسي — ويعرف ذلتي وثقيل ديني
لمن قلبي هواه ولا أراه — ومن روحي لديه لحين حيني
وبعد الموت روحي في يديه — فماذا بين ماض لى وبيني ؟
فهل يغضى عن الأوزار طرا — وقد فاض الشباب بكل شين ؟
وما من شيمتي أبدا خداع — وما آذيت إنسانا بزين
ولى من خشيتي أبدا شفيع — فكنت أرى النهاية قيد عيني
وقد أزان المشيب صلاة عبد — فبعد الشين جئت بكل زين
وهل تجدى شفاعة مستجير — تناهت بعد شيب السالفين ؟
وحب محمد خير البرايا — أيردف دعوتي بشفاعتين ؟
رسول الله زرتك في منامى — وفي صحوى وأنت بكل فين
تضيء خواطرى وتنير قلبي — لأمضي في طريق الجنتين
فإني للرسول حبيب صدق — ولله المهيمن خير قين
دعوت إلى الهدى فانجاب ليل — غشى قلب الأنام بغيهبين
ظلام الجهل فوق ظلام كفر — فدك الحق تين القلعتين
فإن الحق أمضى من مواض — مهندة وسمر من ردين
رسول الله كنت ختام هدى — وفقت المرسلين برتبتين
عرجت إلى السماء فزدت قدرا — عليهم باجتياز البرزخين
وكنت ختامهم بكتاب حق — فزينت الجبين بدرتين
ومن بعد الرسول أهاب رهط — بمن ضلا بغىّ سادرين
فكوكبة سرت للشرق تهدى — وكوكبة هدت في المغربين
فعم الدين والإيمان أرضا — يضيء وكنت نور الكوكبين
عبدت الله إيمانا وحبا — أخير منهما من محصنين
فطاعة خالق وجميل فعل — حبيت من الإله بنعمتين
وحب محمد بشغاف قلبي — أتنزع مقلة من محجرين
قضيت العمر في كبد أعاني — سهام الغدر تدمى الجانبين
فصفحا ياغفور وحسن مثوى — وهب لى منك تين الراحتين

حسن ابراهيم
عضو المجمع

اللغة المصفاة

للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

تمهيد :

لعل مما اعتاد عليه أهل الفكر فى العصور المختلفة أن يشهدوا الاختلاف فى العناية بأمر اللغة بين علماء اللغة الحراص عليها ، وغيرهم ممن يضيق ذرعاً بمقاييس اللغة وقواعدها ، أو يجد عنتا فى الالتزام بأصولها وأسسها . ومن هؤلاء من يتعمد العبث بتلك الأصول والمقاييس أو يزعم أن نقل الأفكار والتجارب العقلية والشعورية ليس مما يتوقف على ضبط قواعد اللغة والالتزام بها ، بل إن منهم من يدعو إلى نبذ ما يعرفه أهل العربية باللغة الفصيحة والعدول إلى لغة الحياة اليومية التى تعرف بالعامية أو اللهجات المحلية، زاعما أنها هى اللغة الحية حقاً ، وأن اللغة الفصيحة لا تملك من أسباب الحياة والحيوية إلا قدراً يسيرا .

على أن فى جملة الحراص على اللغة الداعين إلى التزام الفصيح الصحيح فيها من لا يعبأ كثيراً بالحاجات المتجددة فى الحياة الفكرية والعلمية والتقنية ، التى تطلع فى كل آونة بجديد لابد أن يجد له فى اللغة مايقابله اسماً يسمى به أى لفظ يدل عليه . ومثل هذا الموقف قد يحمل من يقف فى الطرف الآخر على أن يستهين بالتراث الفكرى فى اللغة ، ويحسب أن الحفاظ عليها سليمة فصيحة يقعد عن اللحاق بما ينتجه ويخرجه هذا الركب المغذ فى التقدم العلمى والتقنى . ومن أهم ما يتذرع به هؤلاء أن مايقال له الفصيح نبات بيئة بدوية صحراوية غير متحضرة ، فهو ليس بقادر على التعبير عن حاجات الحضارة ومسايرتها فى تقدمها .

وهم بذلك يتجاهلون أن اللغة العربية كانت فى عصور الازدهار الحضارى لغة العلم والفلسفة وسائر نواحى الحياة الفكرية والاجتماعية والمادية ، ولما تزال آثارها وآثار من كتب بها شاهدة على ذلك. تلك حقبة من تاريخ العربية بدأت منذ نزل بها الكتاب العزيز (قرآنا عربيا غير ذى عوج) استمرت على ذلك قرونا عديدة .

إن هذه الإشارة، بل اللمحة الموجزة مما يكفى ، وليست الإفاضة فى مثل هذا مما يليق بهذا المقام .

(*) ألقى البحث فى الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين ، يوم الاثنين ١٥ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٨٣ م) .

— ١ —

إن قضية الفصاحة والبلاغة ما تزال — كما كانت من قبل — محل اختلاف بين من يعبرون باللغة وينشئون ، ومن يتلقون ذلك التعبير ويتذوقون ، ويحكمون عليه بالجمال أو القبح . ثم بين من يعبر باللغة ممن يكون التأثير فى نفس سامعه أو قارئه غاية أمله وكل مبتغاه ، أو من يكون غرضه الإفادة الدقيقة ونقل الأفكار فى صورة لا لبس فيها ولا إبهام ، ولا غموض ولا التواء. الأولون هم الذين يقال عنهم الأدباء فى ما ينشئون من شعر أو نثر ، قصة أو رواية ونحو ذلك من فنون الأدب قديمها ومستحدثها. والآخرون هم العلماء ومن يسلك مسلكهم فى التعبير عن حقائق العلم ونظرات الفلسفة، ونحو ذلك مما يتحرى فيه جانب الدقة وإصابة الغرض أولا، وإن من أشهر ما يؤثر عن أسلافنا فى تعريف البلاغة قولهم: إنها إصابة القصد وبلوغه من أيسر طريق . وقالوا قولتهم التى جرت مجرى الأمثال : إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وهى عند كثير منهم إصابة المعنى وبلوغ الغاية فيه ، دقة فى العبارة وجمالا فى صوغها وتركيبها وإبلاغها إلى من يتلقاها واضحة جميلة ، سهلة المدخل فى النفس ، حسنة التأثير فيها .

— ٢ —

وهذا الاختلاف الذى كان بين القدامى من أهل العلم بالعربية له ما يشبهه عند المعاصرين من علماء اللسانيات Lin guisties فإن لهم فى الحكم على اللغة بالصحة والخطأ مذاهب ثلاثة :

المذهب الأول هو الذى يستهدى بالتاريخ الأدبى ، وفيه تقاس الصحة اللغوية بمقدار الموافقة لما كان يجرى على ألسنة شعراء وأقلام الكتاب وآثار الأدباء الأقدمين .

والمذهب الثانى وهو الذى يسترشد بالتاريخ الطبيعى ، وهو يرى أن اللغة كائن حى ، يتحول تحول الكائن الحى ويتطور دائما إلى ما هو أحسن ، واللغة بهذا الاعتبار تتطور وتتحول إلى ما هو أحسن وأفضل فى جو من الحرية التامة التى لا تقيدها قوانين ولا تتحكم فيها ضوابط، وعلى هذا المذهب ، فليس فى اللغة صحيح وغلط ، ما دام التطور يقضى بالجديد فى الاستعمال ، ويحكم له بالغلبة على الألسنة والأقلام .

أما المذهب الثالث فهو الذى يصح أن يطلق عليه المذهب الاجتماعى أو النظرية الاجتماعية . وفيه يحكم بصحة اللغة وسلامتها وفصاحتها وبلاغتها بمقدار ما يؤدى إلى فهم السامع ويصل إليه ويبلغه مراد القائل فى دقة وفى سرعة ، وبمقدار ما فى أدائه من يسر وسهولة(1) .

---

(1) Jespersen: Mankind, Nation, anb jndividual from a Linguistic Point of view (85 - 88) .

وهذا الموقف هو الذى يختاره علماء اللغة أولو التأنى والتزام جانب الموضوعية ، وهو الذى يوافق فى جملته موقف علماء العربية ويجرى على سننهم فى ما كانوا يمثلونه أو يتمثلون به بقولهم عن البليغ إنه يصيب المحز ويطبق المفصل . ولقدأوجزتْ كل ذلك مقالة إبراهيم بن محمد المعروف بإبراهيم الإمام ؛إذ يقول : يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع .

وهو موقف يرعى الجانب الاجتماعى ويجعله أكبر همه ، ولا يقتصر فى حكمه على متن اللغة — ألفاظاً وتراكيب — مجرداً منتزعاً ممن ينشئه ويعبر به ، وممن يتلقاه فيتأثر بهارتياحاً وإعجاباً أوحيرة واضطرابا .

— ٣ —

إن هذا المذهب وإن يكن أقرب المذاهب إلى القبول ، فإنه يثير جملة من المشكلات والتساؤلات ،من ذلك مثلا أن يتساءل : أى سامع أو متلق ذاك الذى يتخذ منه معيار للحكم فى تذوقه وفهمه ؟ وأى قائل أو منشئ ذلك الذى يتخذ أداؤه مقياساً لليسر والسهولة أو العسر والوعورة ؟ وأى مجتمع أو شريحة اجتماعية — كما يقال هذه الأيام — ذاك الذى يصح أن يتخذ العرف أو الذوق— الذى يسود فيه — مقياساً للصحة والخطأ أو الجمال والقبح ؟

إن من المجتمعات ما هو منغلق على نفسه محدود العلاقات بغيره ، بحيث يتفرد بطرائق معينة وأساليب خاصة فى التعبير باللغة ، سواء فى ذلك طرائق النطق والتلفظ أو وسائل التركيب وأساليب التعبير ، ومثل هذا الطراز من المجتمعات لا يصح فى هذا الباب أن تتخذ خصائصه وطرائقه اللغوية موازين أو معايير يستهدى بها فى الحكم على التعبير اللغوى ، ما دام الأساس فى الحكم هو إبلاغ المراد من الكلام فى دقة ويسر وفى إمتاع .

وإن من المعاصرين من علماء اللغة من يصف اللغة بالفصاحة والبلاغة ، إذا كان التعبير بها مبرأ من الصبغة المحلية ومما لا يصح أو ينسب قائله إلى إقليم أو بلد ممايتحدث بتلك اللغة . بل إن الفصيحة البليغة هى التى تحررت من كل ما يميز اللهجة الإقليمية مما يجعلها غير يسيرة الفهم أو مستساغة لدى أهل غير ذلك الإقليم[1] .

والذين يرون فى اللغة كائنا حيا يتحول تحول الكائن الحى ويتطور إلى ماهو أحسن، عليهم أن يعتبروا بالعامل الاجتماعى وأن يتدبروا أمره ؛ لأن فيهم من يتخذ من هذه المقولة كلمة حق يراد بها باطل؛ فيستسلم

(1) O. Jespersn ; Mankeind ... et. (78)

للفوضى اللغوية التى تسلم إلى غلبة اللهجات العامية وتفضى إلى تمزيق شمل اللغة وإخلائها المكان للأساليب والتعابير المحلية .

وهذا إنما يؤدى إلى عسر التفاهم بين الناس وهو بالتالى كارثة اجتماعية ينتج عنها التناحر والتنازع وغياب التواصل الفكرى والشعورى بين أفراد المجتمع وأجزائه ، وهو — أعنى التواصل — من أهم وأقوم ما فى حياة الإنسان .

ثم إن التطور البشرى لا يسلم بالضرورة إلى الانشطار والانقسام فى المجتمعات ، بل إنه يسلم — إن كان تطوراً سليماً مبرأ من الانحراف — إلى التقارب والتفاهم والتوحيد والانتظام فى سلك منسق من العلائق الاجتماعية ، وأهمها وسيلة التعبير عن المشاعر والأفكار وسائر الحاجات الإنسانية .

إن من مظاهر هذا التطور الاجتماعى السليم قيام المدن الكبرى وما يكون لها من آثار فى تطور اللغة وتوحيد طرق التعبير باللغة وأساليبها وألفاظها . وليس هذا مرجعه إلى كون سكان تلك المدن الكبرى أخصب أذهاناً وأوسع مدارك وأرهف مشاعر ، ولكنه يعود فى جملته إلى عامل اجتماعى يفعل فعله فى هذه المجتمعات الرحبة الوسيعة ، إذ أنها تلقف مما حولها ما يوافق الذوق العام وما يرتضيه الأكثرون من أهلها ويستسيغونه من طرائق النطق والتلفظ وأساليب التعبير . وهى أيضا تقتبس وتغتذى ممن يهاجر إليها أو ينزع نحوها من بقاع أخرى تشاركها فى اللغة ، فتتخير من ذلك ما تختار .

— ٤ —

ونحن واجدون فى تاريخ العربية مصداق هذه المقولة ، وصورة واضحة للتطور اللغوى السليم فى مجتمع عربى ، يمكن أن يعد نموذجا ومثالا صادقاً للمجتمع السوى المتفتح الذى تتلاقى فيه ألوان اجتماعية متعددة وتتفاعل فيه قوى فكرية وشعورية تستمد من منابع شتى ، فيؤتى ذلك كله ثماره فى اللغة وما تشتمل عليه من ألفاظ مفردة وكيف تنطق بها ، أو أساليب وتراكيب منتقاة مهذبة تستبعد مالا يقبله الذوق العام وتستبقى كل حسن جميل مستساغ .

فإن من الأمور التى يكاد ينعقد عليها الإجماع بين علماء العربية ، أن قريشا كانت أفصح العرب ، وأن لغتها هى الفصحى المنتقاة المبرأة مما فى لغات كثير من القبائل من عيوب فى النطق أو فى بناء الكلم أو فى بناء الكلام .

ومعلوم أن قريشا كانت تقطن مكة ، ومكة هى مهوى أفئدة العرب من كل بقاع الجزيرة ، إليها يحجون ، وفيها يتاجرون ، وعلى صعيدها تلتقى وفودهم الآتية من هنا وهناك ، يتحدث بعضهم إلى بعض ، ويطلع بعضهم بعضاً على ما لديه من أشعار ، أو أفكار ، أو أىٍّ من فنون القول يجدونه أهلا للعرض والنقد ، وفى محافلها

يحتكمون: أيهم أشعر، وأيهم أبلغ، وأيهم أملك لناصية الكلام، وأيهم أكثر رجاحة عقل وحسن تقدير وتدبير.

ومن المعروف أن العلاقات الاجتماعية وما يستتبعها من تداول الأحاديث وتبادل الآراء تقضى بأن يعرض الإنسان على الآخرين خير ما عنده، ويتجنب من العوائد ومظاهر السلوك ما لا يرى فى الإعلان عنه والتظاهر به مدعاة فخر ولا وسيلة مباهاة، فلا ينطق إلا بما يحسبه مقبولا لدى الأسماع، مستساغا فى الأفهام، وهو يتأنق فى حديثه ومنطقه مثلما يتأنق فى مظهره وملبسه. والعرب قديما أولو اهتمام باللسان وحسن المنطق، وهم هم القائلون: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه» وحكيمهم زهير بن أبى سلمى هو الذى يقول:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ثم إن العلائق الاجتماعية وسيلة من وسائل الاقتباس وسبيل من سبل التواصل بين الناس، تواصل مادة وتواصل فكر وعقل وشعور. ومثلما يتجنب الفرد ما يقدر فى نفسه أنه غير مقبول ولا مستساغ لدى الآخرين، فإنه يأخذ عنهم ما يعجب به منهم وما يستحسنه ويرتضيه، سواء فى ذلك الجانب المادى فى الشكل وما يحيط به، أو الجانب الفكرى والمعنوى وما يتصل به من وسائل التعبير باللفظ أو الحركة أو غير ذلك.

وهكذا استصفت قريش لغتها من بين لغات القبائل الذين كانوا يفدون إليها فى المواسم ويغشون ديارهم للحج ولغير ذلك من المناسبات.

ولم يكن من قبيل المصادفة أو الاعتباط أن اتخذ الشعراء من لغة قريش لغة الفن الشعرى. أياً كانت قبائلهم وأياً كانت منازلهم. فامرؤ القيس، وهو كندى، وزهير وهو غطفانى، وطرفة والأعشى وهما قيسيان، وغير أولئك من فحول شعراء الجاهلية، لم يقولوا الشعر إلا بلغة قريش.

وليس بدعاً بعد ذلك أن تكون روائع القصائد وبدائع الأشعار، مما كان يبدع كبار الشعراء، معلقات تعلق على جدار الكعبة، لأنها ملتقى العرب ومحط رحالهم ومجمع ذوى الرأى والخبرة ونقدة الكلام فيهم.

وفى مثل هذا المعنى يقول أحمد بن فارس فى كتابه «الصاحبى»: «وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم، وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد فى كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذى تسمعه من أسد وقيس مثل تِعلمون ونِعلم ومثل شِعير وبِعير».(1)

(1) ص ٥٢ – ٥٣

وكل هذه عيوب فى النطق وفى اللفظ تنبوعنها الأذواق وتستنكرها الأسماع .

وإن فى الكتاب العزيز –وقد أنزل بلسان قريش – وصفا لهذه اللغة المصفاة وتنويها بشأنها وإشادة بفصاحتها وبلاغتها . فلقد وصفها بالإبانة والوضوح . قال تعالى فى صفة القرآن الحكيم : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين[1]) وقال تعالى : (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)[2]. وكل أوصاف الكتاب العزيز لاتكاد تخلو من وصفه بالإبانة والصراحة والإصابة (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[3] .

ذلك أن الذى يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه هو الغامض المحتمل للتأويل والملتوى المتوعر الذى لا يهتدى فى مسالكه ولا تبلغ فيه الغاية المبتغاة ، وكتاب الهداية والهدى غير ذلك ، بل عكس ذلك بالضرورة ، فهو قيم مستقيم ، واضح بين مبين (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه).

— ٥ —

وثمة قضية يجدر بالباحث فى هذه الأمور أن يقف عليها موقف المتأمل المتدبر ، تلك مقالة ذلك العالم اللغوى التى أرسلها فسارت بها الركبان ، ودارت على الألسن واستقرت فى الأذهان ؛ مقالة أبى عمرو بن العلاء : «لا أقول قالت العرب إلا ماسمعت من عالية السافلة أو سافلة العالية» .

ثم ماكان من دأب أهل اللغة فى الخروج إلى البوادى يأخذون اللغة عن أهلها ، ويستفتونهم فى الحكم على الصحيح وغير الصحيح ، حتى كأن لم يكن بين ظهرانيهم كتاب الله يتلى آناء الليل وأطراف النهار يتدارسه الناس خلفا عن سلف فى ألفاظه وفى معانيه وفى مخارج حروفه وطرائق النطق بها .

ثم إنه لاخلاف بين الباحثين قديمهم ومحدثهم أن لغة قريش هى أصفى وأرق لهجات العرب ، وقد وحد بها الكتاب الكريم تلك اللهجات ، فهل كانت لغة قريش لغة بادية؟ وهل كان لسانها لسان بدو ؟ بل هل كانت هى لغة عالية السافلة أو سافلة العالية كما قيل ؟

أو لم تكن مكة حاضرة العرب وملتقى حجيجهم ، يأتون إليها من كل فج عميق ، يحجون إلى البيت الحرام ، يبتاعون فيها ويشترون ؟

إن لغة قريش هى لغة المدينة ، مدينة مكة ، لا لغة البادية .

ولسان أهل الحضارة ، لا لسان أهل البداوة . ثم أصبحت بعد نزول الكتاب

---

(١) الشعراء ١٩٣ – ١٩٥ (٢) النحل ١٠٣ (٣) فصلت ٤٢

العزيز بها من عند الله، لغة العقيدة والشريعة والحياة الجديدة ، وترجماناً بين أمم الأرض التي ارتضت الإسلام دينا ، وناهيك بنزول القرآن بها وما تبعه من انتشارها في آفاق الأرض ما جعلها لساناً عالميا شارك في صقل حواشيه وخدمة ألفاظه ومعانيه أقوام من أمم شتى يتلى بينها كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، ويروى حديث النبي -صلوات الله وسلامه عليه- وما أثر عن خلفائه وأصحابه .

هكذا استصفيت العربية واصطفيت لها لهجة قريش لغة مصفاة في الألفاظ وفي التركيب وفي طرائق النطق وأساليب التعبير ، وبلغت بالقرآن الكريم ذروة ما يمكن أن تبلغه لغة حضارة وعلم وأدب . وحسب من يتطلع إلى أسمى صورها في اللفظ المفرد وفي الكلام المركب أن يتخذ في تلاوة القرآن ودراسته وتذوق جمال التعبير وأفانينه، قدوة يهتدى بها ويقتبس منها ويستوحيها في فنون القول دقة وجمالا وإصابة .

وبعد ، فإن اللغة المصفاة -وهي وسيلة التواصل الفكري والشعوري- لا بد لها أن تتوفر على أمرين مهمين :

الأمر الأول: أن تلتزم القياس الصحيح بشرائطه المستقرة المعتمدة ، وتجرى على سنن ما أثر من كلام الأقدمين .

وفوق هذا وذاك فإن للغة المصفاة ذوقاً قد يقبل القياس وقد لا يقبله ، ويرتضى المسموع من ألفاظ وأساليب ويحتويه ويتبع سبيله ، أو يرفض ذلك ويأباه ، ويستبعده ولا يرضاه . وهذا مما يعرف أحياناً بالحس اللغوى ، وهو ميدان فسيح تجرى فيه الطباع السليمة بما وهبت من قدرة على الإبداع وبما استوعبت من بديع المأثور نظمه والمنثور .

والأمر الثاني : أن يكون الوضوح واليسر والإصابة والدقة عنوان مزاياها وغرة خصائصها فهي لغة أدب رفيع ، وهي أيضا لغة علم متقن دقيق . وألفاظ العلم وأساليبه أحوج ما تكون إلى الدقة والوضوح . فهي محتاجة إلى ذلك بحكم طبيعة العلم الذى تصاغ بها أفكاره وحقائقه، وهي أيضا محتاجة إليه؛ لأنها لابد أن تكون لغة الثقافة العامة ، وهي اليوم فرض واجب على أهل العلم أن ييسروه للجمهور ، يأخذ منه ما يتبلّغ به في حياته العامة وحياته العقلية .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أحمد عبد الستار الجوارى
عضو المجمع المراسل من العراق

فى رحاب مجمع الخالدين

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

(١)

١ ـ أَلِقَتْ ، وَهْىَ دُرَّةُ الأَوطـانِ ... ملءُ عينى لَأْلاؤُها وجَنـانى

٢ ـ شَهِدَ اللهُ . . لم تَغِبْ عن ضميرى ... عنـدَ نَأْيِى ولم تُفارِقْ عِيانى

٣ ـ مصرُ مَغْنَى الأَحرارِ . مَلْقَى البَهالِيـ ... ـلِ المُرَجِّينَ . مُسْتَرادُ الأَمانى

٤ ـ عشتُ منها ريَّانَ ظمآنَ ، فاعْجَبْ ... للضَّدِيدَيْنِ : مُرْتَوٍ ظَمْـآنِ !

٥ ـ عادةُ الشوق أن يَفيضَ على البُعْـ ... ـدِ الْتياعًا ، وليس عند التَّدانى

٦ ـ نيلُها العَذْبُ ، كلَّما ذُقْتُ منهُ ... فتلذَّذتُ ، شـاقَنى وزهـانى

٧ ـ كَوْثَرِىٌّ ، مزاجُهُ الشُّهدُ والطِّيـ ... ـبُ ، فُراتٌ ، يَشفِى اللُّهابةَ ، هانى

٨ ـ وهواها مَسْراه فى الروح مسرى النُّـ ... ـورِ فى العينِ ، والشَّذا فى الْجِنان

٩ ـ أَىُّ رَوْعاءَ ! لا ترى العينُ منها ... شِبَعًا من مَفـاتنٍ ومَجـانى

١٠ ـ ما سَلَوْنَا . . سَلُوا القُلوبَ الحوانى ... كم نُعادى فى حُبِّها ونُعانى !

١١ ـ ما سَلَوْنَا ، ولا جَفَوْنَا . . ولكنْ ... فوقَ حكمِ الإنسان حكمُ الزَّمان

(*) ألقيت فى الجلسة السابعة من مؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق أول شهر مارس سنة ١٩٨٣ م) .

(١) الجنان ، بفتح الجيم : القلب .

(٢) النأى : البعد .

(٣) المغنى : المنزل غنى به أهله ، أى أقاموا فيه .

البهاليل : السادة الجامعون لصفات الخير ، الواحد بهلول .

(٥) الالتياع : الحرقة .

(٦) زهانى : استخفنى للعودة إليه .

(٧) اللهابة : العطش . هانى : هانئ ، سهلت همزته .

(٨) هواها : حبها .

(٩) الروعاء : الجميلة التى يروعك حسنها ويعجبك .

١٢ ـ عاصِفٌ هاجَ ، لا الزَّمانُ مُؤاتٍ   لانْطلاقٍ ، ولا لِدَفْعٍ يدانِ
١٣ ـ وجَوارٍ من النُّحُوس ، توالَتْ   عابسات ، قَعَدْنَ بى فى مكانى
١٤ ـ وفُؤادى ، وَهْوَ الفُؤادُ المُعَنَّى   وصفائى فى صَبْوَتى ، شاهدانِ
١٥ ـ أحمَدُ اللهَ أنْ أعانَ على الوصـ   ـلِ ، وأذكى عزمى ، وأمْهَى سنانى
١٦ ـ فَسَما بى فى الْجَوِّ نَسْرٌ ، حشاهُ   يصطلى من ضرائمِ النِّيران
١٧ ـ ما بِهِ ، دونَ ما بقلبى من النَّـا   رِ ، إلى أهلهـا وطِيبِ المَغانى
١٨ ـ أىُّ يـومٍ من الهنـاءة زاهٍ   طاف بى فى شبَابِه الغَيْسانى !
١٩ ـ إن أحلى اللذَّاتِ بَعْـدَ التَّنائِى   الْتقَـاءُ الخُـلَّانِ بالخُـلَّانِ

* * *

٢٠ ـ ما ببَغْـدادَ فى هوى مِصْرَ إلّا   لَهَفـاتُ الأَشواق والهَيَمَـان
٢١ ـ ليس مَذْقًا يُشابُ فى عَسَلِ القَوْ   لِ رِياءً ، ولا نفـاق لِسان
٢٢ ـ إنَّهُ الصـدقُ والودادُ المزكِّى   كلِبانِ المُسْتَرْضَعات الحوانى
٢٣ ـ نحنُ فى الحُبِّ ،ما اصطنعنا دَعَاوَى   من خلابِ الأَلفـاظِ والأَلحانِ
٢٤ ـ شَرُفَ الصِّدْقُ أن يَمينَ فيَشْقَى   ـ فى يمينٍ كذَّابة ـ بهَوانِ
٢٥ ـ تأْنَفُ الأَنْفُسُ الكِبَارُ من الزَّيْـ   ـفِ ، ومن زُلْفَة ، ومن إِدْهانِ
٢٦ ـ نحنُ باللهِ أمَّةٌ ، شـابَكَتْهَـا   واشِجاتُ الأَرحـامِ ، لا أُمْتانِ
٢٧ ـ إِخوةٌ ، لا بنو ضَرَائِرَ أَخيـا   فٌ ، ولكنْ صِيدٌ بنو أعيـان

---

(١٥) أذكى : أوقد . ـ أمهى : رقق وأحد . ـ السنان : نصل الرمح .
(١٨) الغيسانى : الجميل .   (١٩) الخلان : الأصدقاء الخالصون ، الواحد خليل .
(٢١) مذق الود : خلطه ولم يخلصه . يشاب : يخلط ويمزج بغيره .
(٢٢) اللبان : لبن الأم .   (٢٤) يمين : يكذب .
(٢٥) الادهان : المصانعة   (٢٦) الواشجة : الرحم المشتبكة المتصلة .
(٢٧) بنو أخياف : أمهم واحدة وآباؤهم شتى ، وبنو أعيان : إخوة أشقاء .

٢٨ ـ مُلْكُنا ملكُ عزَّةٍ وجـلالٍ من « عِراق العلى » إلى « تِطوانِ »
٢٩ ـ هيكلٌ واحـدٌ ، توشَّجَ أعضـا ءً ، شديدُ القُوَى ، وَطيدُ «الكيانِ»
٣٠ ـ يلفُظُ الطَّارئين من كُلِّ جنس كُلُّ طـارٍ عليه عـادٍ وجانى !

(٢)

٣١ ـ يا مَعانَ الفُصْحَى ، وأنت المُرَجّى ، كُن مَلاذًا لهـا وخيرَ مَعـانِ
٣٢ ـ عَبَث العابثون فيهـا ، وعاثُوا وأحـالوا ألفـاظَها والمعـانى
٣٣ ـ لا أُصولًا أبْقَوْا لهـا سالمـاتٍ مِنْ أذاهُمْ ، ولا فروعَ مبـانى
٣٤ ـ زعموه «الإصلاحَ» .. يا كِذْبَ ما قد زَوَّقُوهُ وقعقعوا من شِنانِ
٣٥ ـ أين «نَيْسانُ» ؟ هل تكذَّبُ إنْسا نٌ ـ كأمثالهم ـ على إنسانِ ؟
٣٦ ـ أين فيها الفسادُ يُصلحُهُ الأغْ فالُ من كُلِّ مُفْحَمٍ وهدانِ ؟

* * *

٣٧ ـ لغةٌ .. مَدَّت الظِّلَالَ على الأر ض ، وأوْعَتْ معـانِىَ « الفُرقانِ »
٣٨ ـ وَسِعَتْهـا أدَقَّ ما يعمُقُ الفكـ رُ ويسمو إلى ذُرا كِيوانِ
٣٩ ـ وأفاضت على اللُّغَى زائنـاتٍ من دَرارٍ ولؤلؤ وجُمـانِ
٤٠ ـ رائعـاتِ الوُجُوهِ مُزْدهِراتٍ سـاحراتِ الأنغامِ والإرْنانِ
٤١ ـ من غَوالى « التَّنْزيل » مُسْتكرَماتٍ مُتْرَفاتِ الأزياءِ والألوانِ !
٤٢ ـ من فَواغى «الحديث» من نَسَمِ الوَحْ ىِ وأنفاسِ « مصطَفَى الرَّحْمٰن »

---

(٢٩) وطيد : رأس ثابت . الكيان : مصدر « كان » ، شاع استعماله حديثاً اسما لوجود الشئ من الملك ونحوه .
(٣١) المعان ، بفتح الميم : المنزل . (٣٤) الشنان : القرب الخلقان من الجلود .
(٣٦) الأغفال : جمع الغفل – بضم فسكون – ومن معانيه الرجل الذى لم تسمه التجارب .
المفحم : العاجز أمام الحجة – الهدان : الأحمق . (٣٧) أوعت : وعت وحفظت .
(٣٨) كيوان ، بكسر الكاف : كوكب زحل . (٣٩) اللغى : اللغات
(٤٢) الفواغى : جمع الفاغية ، وهى الرائحة الطيبة – النسم : نفس الروح .

٤٣ ـ من شُذُور الفصاحِ صَوْغِ الأوالى   أُمَراءِ البيان من « عـدنان »

٤٤ ـ أَلَقتْ ، والسَّنا لهـا سَرْمَدِىٌّ .   أترى كيفَ يأْلَقُ القَمَرانِ ؟

٤٥ ـ وحَلَتْ فى اللهـاة أطيب ما لَـ   ـذَّ وأحلى ما تَطْعَمُ الشَّفتـانِ

٤٦ ـ كُلَّما طـالَ فى العصورِ مَداها   عظُمَتْ قُوَّةً على الرَّدَيانِ ؟

٤٧ ـ إن سَلْسَالَهـا على الدَّهرِ زاكٍ   فائرُ الدَّفْقِ ، دائمُ الجَرَيانِ

٤٨ ـ ثَرَّةُ الفَيْضِ . هل رأيتَ عُبابَ « النِّـ   ـيل » إبّانَ سوْرَةِ الفَيضَـانِ ؟

٤٩ ـ فى غِناها ، عن اقْتِراضٍ تَغَنٍّ   كيفَ يَدّانُ ذو الغِنى من مُدانِ؟

٥٠ ـ مَاؤُهـا فى حروفها يتَنَزَّى   ولهـا فضلُ شِـدّةٍ ولَيَـانِ

٥١ ـ هىَ أُختُ الحرير حينًا ، وحينًا   هىَ أُختُ الحـديدِ والصُّوّانِ

٥٢ ـ وهى النّارُ إنْ أَرَدْتَ ، أو الإِعْـ   ـصار ، أو فَىْءُ ناضرٍ فَيْنـانِ

٥٣ ـ كيفما شاءتِ النُّفُوسُ استجابت   فَهْىَ طوعُ الأَفْكارِ والأذهانِ

٥٤ ـ سحرُ إيقاعِها وجَرْسُ صـداها   باعِثا طَرْبةٍ وزَهْوِ افْتِتـانِ

٥٥ ـ أترى كيف شاقتِ الخَلْقَ حُبًّا   فتبـارَوْا فى وَعْيِها والصِّيانِ ؟

٥٦ ـ وصَبَوْا ، عن لُغـاتِهم زمْزَماتٍ   لا صَـدى آناسٍ ولا رِكزُجانِّ

٥٧ ـ عَطَفُوا نحوَهـا العُيُونَ الرّوانى   وأَرَوْها عواطفَ الأَخـدانِ

* * *

---

(٤٣) الشذور : قطع الذهب تلتقط من معدنه . – الأوالى : الأوائل .

(٤٤) سرمدى : منسوب إلى السرمد ، وهو الدائم الذى لا ينقطع .

(٤٦) الرديان : مصدر : ردى الفرس يردى رديا وردیانا : رجم الأرض بحوافره فى سيره وعدوه .

(٤٩) التغنى : الإغناء . – يدان ، بتشديد الدال : يستدين . – مدان : عليه دين .

(٥٠) يتنزى : يتوثب – الليان : السهولة والانقياد .

(٥٢) فينان : شجر فينان ، طويل حسن .

(٥٦) الركز : الصوت الخفى . – صبوا : مالوا .

(٥٧) الروانى : المديمات النظر فى سكون الطرف . – الأخدان : الأصدقاء ، الواحد خدن – بكسر فسكون ،

٥٨ –بَلَغ الهائمونَ منها مكانَ النَّـ ... جْمِ ، واستمجدوا على الأزمانِ
٥٩ –سَارَ شَوْطًا « بنَحْوِها » (سيبَوَيْه) ... وارتقى بالبلاغة (الجُرْجَـانى)
٦٠ –وتَحَدَّى (الزَّمَخْشَرِىُّ) عِـداها ... وتَناغَى بهـا (أبو الرَّيْحانِ)
٦١ –وأتى من « سحرِ البلاغة » (قابو ... سُ) بأزهى قلائد العقيانِ
٦٢ –و (بديعُ الزَّمانِ) أنشأ « المَقَاما ... ت » . . سلامٌ على (بديعِ الزَّمانِ)
٦٣ –وعلى ألف ألف فَـذٍّ هُمامٍ ... ثاقبِ الفكر ألْمَعىٍّ هجـانِ
٦٤ –قد جَلَوْهـا عرائسًا فاتنات ... يتخـايَلْنَ فى الْحَبِيرِ اليمـانى
٦٥ –أينَ منِّى عَدُّ النُّجُومِ ؟ فحَسْبِى ... وكفى مَنْ أغليتُ من أعيان
٦٦ –عبقريُّون . . للعُرُوبة دانُوا ... وتساموْا بدينهـا والبيـان
٦٧ –وَثَّقُوا العهـدَ بالفصاحة إخْلَا ... صًا ، وصانُوا فيها جلالَ الشانِ
٦٨ –واكبُوهـا فى كُلِّ معنًى ومغزًى ... ومَرامٍ على سَـواءِ العِنانِ

---

(٥٨) استمجدوا : صاروا ماجدين .

(٥٩) سيبويه : لقب عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء ، فارسى الأصل، لزم الخليل بن أحمد، وصنف كتابة المسمى «كتاب سيبويه » فى النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، توفى سنة ١٨٠ هـ . — الجرجانى : عبد القاهر ابن عبد الرحمن من أهل جرجان — بين طبرستان وخراسان ، مؤلف « أسرار البلاغة » و «دلائل الإعجاز » ، وهما أرقى ما كتب فى موضوعيهما . توفى سنة ٥٤٧ هـ .

(٦٠) الزمخشرى ، محمود بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ، جار الله ، مؤلف الكشاف فى التفسير ، وأساس البلاغة ، والمفصل ، والفائق فى تفسير غريب الحديث ، والمقامات ، وغيرها . توفى سنة ٥٣٨ هـ . أبوالريحان : محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى ، الفيلسوف الرياضى المؤرخ المصنف المتقن المبدع ، توفى سنة ٤٤٠ هـ .

(٦١) قابوس بن وشمكير : أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان ، ديلمى مستعرب ، نابغة فى الإنشاء العربى ، له كتاب «كمال البلاغة — ط » فيه مجموع رسائله . توفى سنة ٤٠٣ هـ .

(٦٢) بديع الزمان : أحمد بن الحسين الهمذانى أبو الفضل ، أحد أئمة الكتاب المبدعين، صاحب « المقامات » الشهيرة التى أخذ الحريرى أسلوبه فيها ، وله « الرسائل » و « ديوان شعر » مات مسموماً سنة ٣٩٨ هـ .

(٦٣) الألمعى : الداهى الذى يتظنن الأمور فلا يخطىء — هجان : كريم الحسب نقيه .

(٦٤) الحبير : الثوب الناعم الموشى .

(٦٨) سواء العنان : مستقيم الجرى ، يقال : جرى الفرس عنانا ، إذا جرى شوطاً .

٦٩ ـ كُلَّما واصَلُوا بها السَّيْرَ جَدَّتْ　　واستَدَرَّتْ رغيبةَ الأَشْطانِ
٧٠ ـ سهلةً .. لا يُحَسُّ رَهْوُ خُطاها　　وَهْيَ تجرى إلى مَدًى غيرِ دانِى
٧١ ـ فى شباب على الزَّمان غَريض　　زاهر اللونِ ، ناضرٍ ، فتَّانِ

* * *

٧٢ ـ يا مَلاذَ الفُصْحَى ! وكم فيكَ أمثا　　لُ مصابيحُ من ذَوى الإحسان !
٧٣ ـ يَعْرُبيُّونَ ذادَةٌ حُفَظاءُ　　لحقوق الأَوطان والإخوانِ
٧٤ ـ أنزلوا العِلمَ من مناطِ الثُّريَّا　　فتعالَوْا فى كفَّة الميزانِ !
٧٥ ـ لهم السَّبْقُ فى الفصاحة، والحِذْ　　قُ . . فكم أَفْوَهٍ ، وكم سَحْبانِ !
٧٦ ـ وحِفَاظ الحُماة يَغلِى صِلاءً　　وغِوارُ الأَحامس الشُّجْعانِ

* * *

٧٧ ـ أين منِّى لَدَى نَواحيكَ بالأَمْـ　　ـسِ وُجُوهُ الأَماثلِ الغُرّانِ ؟
٧٨ ـ أشرقوا فيك ، بالفَقاهة والعِـ　　ـلمِ ، نُجُومًا ثَواقبَ اللَّمعانِ
٧٩ ـ أجْلَوُا الليلَ ، ثمَّ مالُوا إلى الغَيْـ　　ـبِ كرامًا فى جنَّة الغُفْران
٨٠ ـ مُسْتَثيبينَ فى مقاعد صِدقٍ　　لُطْفَ رَبٍّ مُكَرِّمٍ مَنَّانِ
٨١ ـ وأعاشوا طُيُوفَهُمْ فى المَخيلا　　تِ ، وذكْراهُمُ لَدى الخُلْصانِ
٨٢ ـ وفنونًا يَخْلُدْنَ فى خَلَد الدَّهْـ　　ـرِ رطابَ الأَنْوار والأَفْنانِ

---

(٦٩) استدرت : عدت عدوا سهلا متتابعاً . ــ رغيبة الأشطان : وسيعة الخطا ، وأصل الأشطان الحبال ، وتستعار لامتداد الشئ وطوله .

(٧٠) الرهو : الواسع .　　(٧١) غريض : طرى .

(٧٥) الأفوه الأودى : هو الشاعر الحكيم القائل : « لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم » . وسحبان وائل : من باهلة خطيب يضرب به المثل فى البيان ، كان إذا خطب يسيل عرقاً، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ .　　(٧٦) الغوار : الإغارة . ــ الأحامس : الأشداء .

(٧٧) الغران : البيض الأشراف .　　(٨١) الخلصان : الأصدقاء الخالصون .

(٨٢) الأنوار : الأزهار البيض، واحدها نور ، بفتح فسكون . ــ الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن .

٨٣ - تتوارى الأشباحُ ، أمّا المعانى فَبَوادٍ ، وليس منهن فانى

٨٤ - نلْ من المُلك . . ليس ملكُك إلّا ما تعاطيت من فعالٍ حسان

٨٥ - قبضُك الرِّيحَ وامْتلاكُك ملكًا دونَ ملك الفَعَالِ ، مُسْتويان !

٨٦ - أنا أبكى أيّامىَ البيضَ مرّتْ معَهُمْ مثلَ ضاحك الأقْحُوان

٨٧ - نجباءُ ، أماثلٌ وميامِيـ ـنُ وإخوانٌ صحبة وأمان

٨٨ - عوَّض اللهُ لى وُجُوهَ كرامٍ قد أرى فيهمُ نَشَاب الأوان

٨٩ - وأرى فى بيانهمْ لمحة الفُصْحـ ـى التماعًا فى زاهر العُنْفُوان

٩٠ - نِعْمَ هذى الأخلافُ فى مَنْزِلِ الفَضْـ ـلِ ، ونعْمَتْ خلافةُ الأقْران

(٣)

٩١ - أنجبت مصرُ بالنوابغ . . قومًا بعدَ قوم ، وبانيًا إثْرَ بانى

٩٢ - مجدُنا الزّاهرُ الضُّحى من قديم أزلىٌّ إلى أبيدِ الزَّمان

٩٣ - نحن فى مطمحِ الحياة سواءٌ ويَدٌ فى يَدٍ على الحَدَثان

٩٤ - والذُّرا الشُّمُّ عند مُخْضَرَّة الأر ضِ ، وعزُّ القطينِ والسُّلطانِ !

٩٥ - هُنَّ مَرْقَى طماحنا والمساعى وعليها معاقدُ الأجفان

٩٦ - كلُّ بذلٍ فى الله يُبْذَلُ للأو طانِ ، حقٌّ على بنى الأوطان

٩٧ - البَنُونَ الأكبادُ ، والمال ، والملـ ـكُ ، وغالى الأرواح والأبدان

٩٨ - وإذا عَزَّ بالسِّياسة نَيْلٌ ، أدركَتْهُ أسِنَّةُ المُرّان !

* * *

٩٩ - أمّتى ، والرّدَى تَغشّاكِ عَدْوًا ورسَا فيك ضاربًا بجرانِ

١٠٠ - عَنُفَ الغزوُ واسْتَشاطا جُنُونًا واغْتَلَى الحقْدُ والزُّحُوفُ دوانى

---

(٨٥) الفعال ، بفتح الفاء : العمل الحميد .

(٨٦) الأقحوان : البابونج الأبيض ، من أزهار الربيع .

(٨٩) عنفوان الشئ : أوله ، وهو فى عنفوان شبابه : أى فى نشاطه وحدته .

(٩٤) قطين الوطن : أهله . (٩٨) المران : الرماح الصلبة اللدنة ، يرمز بها إلى القوة ، وليست مرادة لذاتها .

(٩٩) ضرب بجرانه : استقر فى قراره .

١٠١ – من يمين ومن شمال وفى القلـ بِ عَوانٌ تُهاجُ إِثْرَ عوان
١٠٢ – ومن البحـرِ قاذفـاتُ جحيمٍ ومن الجوِّ راجمـاتُ مبانى
١٠٣ – أَوْغَلُوا فى البلاد حَرْقًا وهـدْمًا وأَحالُوا نَضارَةَ العُمْـرانِ
١٠٤ – وُصِفَ الوَحْشُ . قلتُ : لا تظلموه ، فيه شىء من عفَّةٍ وحَنـانِ !
١٠٥ – يأْنَفُ الوَحْشُ أَنْ يُضافَ إِلَيهمْ قوم سَوْءٍ صيغُوا من الأَضْغان
١٠٦ – يبطشُ الوَحْشُ إذْ يجوعُ ، ويَلْوِى ما به قَيْحُ دِمْنَةٍ واضْطغان !

* * *

١٠٧ – قد عرتكِ الأَهوالُ من كلِّ فَجٍّ ناهشاتٍ دوامِىَ الأَسـنان
١٠٨ – تتحـدَّاك أُمَّةً ووُجُودًا ودياراً ، فأَىُّ دَهْرِ امْتحـان ؟ !
١٠٩ – اللسانُ المُبينُ ، والعـلْمُ ، والنَّا رُ ، وشَدُّ الأَيْمـانِ بالأَيْمان
١١٠ – عُدَّةُ النَّصْرِ آلةُ القَـدْعِ والقَهْـ رِ ، ضَمَـانُ الأَمانِ والإِيمـانِ
١١١ – ليس بَدْءُ العُدوان دينُ الأَعاريـ بِ ، على أَنَّهم لُيُوثُ طِعـانِ !
١١٢ – عيبُنا الحِلْمُ حينَ نملكُ ، والإِسْـ ـجَاحُ عن قدرةٍ وعن إِمكانِ
١١٣ – ولسانُ التَّاريخِ يَشْهَدُ بالعَـدْ لِ ، وأَكبِرْ بعَدله من لسـان !
١١٤ – كَذِّبينى – إِنِ اسْتَطَعْتِ – بنقلٍ صـادقٍ ، يا حوادثَ الأَكوانِ
١١٥ – إِنَّ هذا القُرآنَ مرآةُ مَحْيـا نَا ، ومَجْلَى الْجَلالِ والرُّجْحانِ
١١٦ – فسلامًا على العلى ، وقيامًـا بالتَّحَايَا لأُمَّةِ القُـرآن !

محمد بهجة الأثرى
عضو المجمع من العراق

---

(١٠١) حرب عوان : قوتل فيها مرة بعد أخرى .

(١٠٥) قوم سوء ، بالإضافة : يعملون عمل سوء ، بفتح السين ، مصدر : ساءه يسوؤه سوءا ، ويقال فى القبح. – الأضغان : الأحقاد الشديدة .

(١٠٦) الدمنة : الحقد المدمن للصدر ، ولا يكون الحقد دمنة حتى يأتى عليه الدهر وقد دمن عليه .
– الاضطغان : الانطواء على الأحقاد .

(١٠٧) الفج : الطريق الواسع .

(١١٢) الإسجاح : التسهيل والرفق ، ومن الأقوال العربية المأثورة : « ملكت فأسجح » أى أحسن العفو وتكرم .

الصحافة وتجديد اللغة (*)

للأستاذ عبد الله كنون

وقر في أذهان الناس أن لغة الصحافة لغة ضعيفة ، وأنه لا ينبغي لمن يحب أن يكون كلامه في المستوى المطلوب من الفصاحة اليعربية أن يتأثر أسلوب الصحفيين ، وإلا أصبح هدفا للنقد بأن كتابته من نمط ما يكتب في الصحف . ومنذ أن كتب الشيخ إبراهيم اليازجي مقالاته المعنونة بلغة الجرائد والناس يعتقدون أن كتاب الصحف من أردأ الناس لغة ، وأن على الأديب إذا أراد أن يبرز بين الكتاب ، مجانبة ما يتردد في كتابات الصحفيين من ألفاظ وجمل، تخل بجمال الأسلوب وفصاحة الديباجة .

وتابع اليازجي غيره ممن انتقدوا لغة الصحافة ، وزاد اعتقاد الناس بأن هذه اللغة تسفل إلى حد أنه يجب الحذر منها .

وكان علينا أن نعتبر هذا النقد ظاهرة صحية ، وأنه تقويم لبعض ما يلتوى في أيدى بعض الصحفيين من أساليب وكلمات يجب أن ترد إلى الصواب ولا زائد ، وأن غالب الكتابة الصحفية لا بأس بها ، بل إنها مثال لتجديد اللغة والتوسع في دلالاتها وفتح لآفاق التعبير عما يجول في ذهن الكاتب من معان وأفكار ، وما يقع تحت بصره من مشاهد وأحداث . كيف ونحن نرى أن الصحافة المعتد بها والتي يقرأها الجمهور الغفير من الناس، لم تزل تخضع في تحريرها لرئاسة بلغاء الكتاب وكبار الأدباء ؛ كأحمد لطفي السيد، وعلى يوسف، ومحمد حسين هيكل، وأمين الرافعي، وداود بركات ومحمد عبده ورشيد رضا، وأحمد حسن الزيات، ومحب الدين الخطيب، والبشير الابراهيمي وغيرهم من كبار الكتاب الذين لا يرقى الشك إلى ثقافتهم اللغوية ، فضلا عمن يشارك في تحريرها والكتابة لها من أساتذة الأدب وعباقرة المفكرين ؛ كطه حسين ، وعباس العقاد، وأحمد أمين، وزكى مبارك، والمنفلوطي ، والبشرى ، والمازني ، والعريان، وشكيب أرسلان ، وصادق الرافعي ، وسواهم .

وإذا كان من الجائز أن يقع في كلام أحد هؤلاء الأساطين، أو من دونهم رتبة من محررى الصحف ، بعض الألفاظ أو العبارات الضعيفة ، فذلك هو ما يتوجه له النقد ويستوجب التصحيح ، على ما جاء

(*) ألقى البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م) .

فى مقالات اليازجى وغيره ممن تصدوا لهذا الباب من الكتابة اللغوية .

ولم يفتأ اللغويون وعلماء العربية يتتبعون ما يقع فى كلام الناس — والناس هنا تعنى الخواص — من اللحن والخطأ اللغوى ، وينبهون على صوابه وتصحيحه ، ولم يقل أحد أن ذلك موجب لتجنب التأثر بأسلوب هذا الكاتب أو ذاك ، بله الحكم عليه بضعف اللغة ورداءة الكتابة لخطئه فى لفظة أو لحنه فى عبارة. ومن أول من نذكرهم من المؤلفين فى هذا الباب أبو القاسم الحريرى ، وكتابه « درة الغواص فى أوهام الخواص » أشهر من أن يعرف به .

ومن المفارقات الغريبة أن الحريرى ، الذى تتبع أوهام الخواص ، لم يسلم ممن يتتبع أوهامه فى مقاماته التى تأتى فى الطليعة من الأعمال الإبداعية فى أدبنا العربى وهو ابن الخشاب ، وإن انتصر له بعد ذلك ابن برى على ما هو معروف .

ونتيجة هذه المفارقة أن الكلام ، منذ تفتقت به الألسنة ، لم يزل يتعثر عليها فينحرف عن مخرجه الصحيح أحيانا وينعكس ذلك على رؤوس الأقلام فتسجل الخطأ من حيث لا يشعر الكاتب وحينئذ يأتى المصحح فيؤدى مهمته على الوجه المطلوب :

فالصواب هو الأصل والخطأ طارئ ، وليس فى أى إنتاج صحفى أو غيره ما يعكس القضية ، حتى يجعلنا ننبه على تجنبه جملة ونُحذِّر منه كله ، فإن أفعال العقلاء تنزه عن العبث ، والموضوع بحاله وهو لغة الصحافة وكتابة الصحفيين ، فلنبق مرتبطين به وفى دائرته الخاصة .

وإننى أعتقد أن أكبر تطور عرفته لغتنا العربية فى عصرنا الحاضر ، كان على يد الصحفيين ومحررى الصحف ، فإن هذه الطبقة من حملة الأقلام تواجه عملا راتبا يتطلب منها إنتاجا يوميا متنوعا يملأ أنهر الصحيفة على اختلاف صفحاتها من إخبارية وسياسية وأدبية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، ومن ورائها آلة الطباعة التى لا ترحم وهى كالغول لا يشبعها شىء ، فكلما أطعمتها بما تظن أن فيه الكفاية تقول هل من مزيد ، وعمل من هذا القبيل ليس كعمل الجامعى فى تطلب المصطلح ولا كعمل المجمعى فى تخريج هذا المصطلح ، على روية فى الأمر وسعة من الوقت ، بل هو وحى اللحظة وتفكير الآونة ، فإن أخطأ فله العذر ، وإن أصاب فهو يستحق جزيل الشكر ، والواقع أنه مصيب فى غالب الأحيان ، وخطؤه — إن كان — لانسبة بينه وبين صوابه الكثير الغامر ، بدليل أنه لا يفطن له إلا الخبير الماهر .

والميزة الكبرى لعمل الصحفيين ، فى تطوير لغتنا الضادية ، هى توسيع دائرة دلالات الألفاظ وتحميلها من المعانى الجديدة

ما لم تكن تدل عليه من قبل ، بلا تكلف ولا تحمل. فما يحق أن يطلق عليه تجديد بالمعنى الوارد فى الشرع للتجديد فى الدين ، فهو ليس نقض القواعد وهدم المعالم وإنكار الشرائع وطمس الشعائر ، بل المحافظة على الأصول وتقديمها بما يجعلها تحيا بعد الدروس ، وتتقبلها النفوس بتصديق وإيمان ، كذلك التجديد فى اللغة الذى نجده فى عمل الصحافة هو تطوير لها باحتضان ما جد من المعانى والأفكار من غير تبديل ولا تغيير فى القواعد والأحكام ، فإننا نقرأ الصفحات المتوالية التى تتطرق للموضوعات المختلفة ، ونستفيد فائدة جلى من قراءتنا ، ولا نشعر بأى شىء من الخروج عن المألوف والمأنوس من الألفاظ والتراكيب فى معالجة الكاتب للموضوع الذى قرأناه ، وتلك هى البراعة فى الأداء والمقدرة فى التعبير التى أوجدتها الصحافة ولغة الصحفيين .

ولنقارن هذا العمل العظيم ، فى عموم فائدته وشمول معطياته مع المحافظة التامة على القواعد والأصول ببعض الأعمال المنسوبة للتجديد والمرسومة بالإبداع فى الميدان الأدبى وخاصة منها ما يسمى بالشعر الحر ، ولا سيما الرمزى منه فى مصطلح أصحابه ، إذ نرى الألفاظ لا مدلول لها ، والمعانى دونها خرط القتاد ، وأما الموسيقى الشعرية فعليها السلام ، ومع ذلك فان الدنيا قد صمت آذانها بالدعاية ى تبث لهذا الشعر الجديد والعمل الإبداعى ال الذى يتيه به قائله ومن تبعهم من الهاوين ، حتى صاروا يسمون الشعر العربى الأصيل –إزراء عليه– بالشعر العمودى ، ولا يهمنا هنا فى المقارنة إلا موضوع اللغة ، فأى مكسب استفادته العربية من هذا الإنتاج إلا تمزيق شملها وتعمية معانى ألفاظها ، وإبهام أغراضها ، وغموض ما كان واضحا من أساليبها ؟ . . . إن العمل الصامت الجليل الذى قامت به الصحافة العربية منذ إنشائها وتقوم به إلى الآن فى تجديد اللغة يزيد قيمة ويرتفع قدرا بمقارنته بهذا العمل الأدبى المزعوم الذى صحبته هذه الضجة الدعائية ، ولم يكن له من عطاء إلا الجلبة والضوضاء .

إن آلاف الألفاظ والتراكيب التى لا نعرف لها واضعا ولا صانعا والتى أصبحت من صميم اللغة العربية وثروتها الواسعة التى لا تعرف حدا ، هى من عمل رجال الصحافة وابتكارهم ، إما بالترجمة من اللغات الأجنبية ، وإما باستعمال المجاز والاستعارة ؛ توسعا فى دلالات الكلمات ، وإما بالوضع الوحيى الذى يجىء عفو الخاطر ويكون مطابقا للقواعد وأحكام اللغة من اشتقاق وتعريب وغيرهما .

وإذا كانت الدعوى لا تصح إلا بالدليل ، فها أنا أعرض عليكم عشرات ، بل مئات من الألفاظ ذات الدلالة الجديدة التى لم تكن لها من قبل ، وإنما استعملت فيها حديثا على صفحات الجرائد ، وقد التقطتها من

من أحد المعاجم الفرنسية العربية ، وزدت عليها ما حضرني مما لم يذكره هذا المعجم ، وهو المسمى العضد اليمين للمحررين والمترجمين ، تأليف «ليون برشي» رئيس قسم الترجمة بتونس على عهد الحماية الفرنسية ، وهو مطبوع بالجزائر سنة ١٩٥٣ ؛ أي قبل ثلاثين سنة ، اعتمد فيه - كما قال - على الصحافة العربية ، مشرقية ، ومغربية ، لوقته. فكم حدث بعد ذلك من ألفاظ ؟ وقد راعيت في ذكر هذه الألفاظ والعبارات الترتيب المعجمي ، ولم أذكر منها إلا المستعمل المشترك بين الأقطار العربية والأكثر انتشارا من غيره ، وكذلك لم أذكر المصطلح العلمي ؛ لأن المؤلف ليس من أهله ، والمعجم أصلا غير موضوع له وها هي تلك الألفاظ :

علم الآثار ، أثري أو عالم الآثار ، بعثة أثرية ، دار الآثار ، أدوات مكتبية ، أدوات الزينة ، مصدر مأذون ، الأوساط المأذونة ، مؤسسة ثقافية أو غيرها ، مؤسسات تأشير ، تأشيرة على جواز السفر ، إطار ، أطر بمعنى سلك الموظفين أو العمال ، عيد ألفي ، ذكرى ألفية ، وزارة ائتلافية ، استئناف القضايا ، محكمة الاستئناف ، مؤهل ، مؤهلات حرب أهلية ، آلة تصوير ، آلة كتابة أو كاتبة.

بحث علمي أو أدبي ، قاضي البحث ، ملاحة بحرية ، وزير البحرية ، استبداد ، حكم استبدادي ، مستبد ، حكم ابتدائي ، محكمة ابتدائية ، مدرسة ابتدائية ، شهادة ابتدائية ، مبادئ ، مبادئ القانون ، مبادرة ، بدل أتعاب ، بدل اشتراك ، مبررات ، برر العمل ، مبردات ، برقية ، أبرق ، مكتب البرق ، محكمة النقض والإبرام ، مباراة أدبية وغيرها ، وضعه على بساط البحث ، بصمة الأصابع ، بصمات ، بطاقة تعريف ، بطاقة بريد ، بطاقة زيارة ، بطولة رياضية وغيرها ، بعثة علمية أو عسكرية وغيرهما ، بعد وأبعاد بالمعنى النسبي ، بلدية ، قرار بلدي ، بلاغ رسمي ، بلاغ حربي ، بيئة علمية أو حضارية ، بيان حقيقة .

متحف ، تحف فنية ، تيار كهربائي ، التيارات الفكرية والسياسية وغيرها ، ثقافة ، اللجنة الثقافية ، النخبة المثقفة ، ثلاجة ، مثلجات الثورة ، حركة ثورية ، ثوري ، ثائر ، الثورة الوطنية .

جبهة وطنية ، الجبايات ، نظام جبائي ، جدول أعمال ، بجرة قلم ، جريدة ، جرائد ، يرى بالعين المجردة ، منطقة مجردة من السلاح ، تجريدة عسكرية ، إجراءات إدارية أو قانونية ، مجرى الهواء ، مجلة ومجلات ، مجلس تأديبي ، مجلس النواب أو مجلس الأمة ، المجلس البلدي ، مجمع علمي أو لغوي ، مجامع ، بإجماع الأصوات ، جمعية رياضية وغيرها ، جمعية الأمم ، جامعة علمية ، جامعي ، المجتمع ، علم الاجتماع نظرة إجمالية ، جراحة التجميل ، الجماهير الشعبية ؛

التجنيد الإجبارى ، الجندى المجهول ، الجنس ، علاقة جنسية ، الجنس اللطيف ، ملاحة جوية ، الأرصاد الجوية ، النشرة الجوية ، جواز السفر .

حبر على ورق ، احتج ، احتجاج بالمعنى السياسى ، الحجر الصحى ، الحجر الأساس ، الحجز على الأمتعة ، الحواجز الجمركية ، الخط الحديدى ، الستار الحديدى ، حادثة سير ، رئيس التحرير ، محرر ، وحدة حرارية ، بالحرف الواحد ، احتراف ، محترف (مقابل هاو) محروقات سائلة أو جامدة ، محرك كهربائى ، حركة فكرية ، نقطة حساسة ، حساسية ، محسوبية ، فعله لحساب فلان أو على حسابه ، حصانة سياسية أو نيابية ، محضر الجلسة ، محاضر ، محاضرة ، القسم التحضيرى ، محطة وقود ، محطة الإذاعة ، محطة السيارات ، الحفريات الأثرية ، حفظ الصحة (علم) ، حافظة النقود ، محفظة أوراق ، تحفظ أو فعله مع التحفظ ، حافلة ركاب ، علم الحقوق ، كلية الحقوق ، حقوقى ، قاضى التحقيق ، حقيبة سياسية حقيبة يد ، محكمة مختلطة ، حكومى ، رئيس الحكومة ، احتلال ، جيش الاحتلال ، عهد الاحتلال ، تحليل طبى ، تحليل أدبى ، الحوامض والحمضيات ، حملة عسكرية أو صحافية أو انتخابية ، حماية أجنبية ، سلطات الحماية ، محاماة ، محامى ، دول المحور ، حوالة بريدية ، منطقة حياد ، دول عدم الانحياز .

خبير ، وكالة إخبارية ، دائرة الاستخبارات ، عمل تخريبى ، الخارج (ماعدا الوطن) وزارة الخارجية ، خريج أو متخرج من إحدى الكليات ، اختزال مختزل ، اختصاص ، الاختصاصات العلمية ، تخصص علمى ، على طول الخط ، خطوط المواصلات ، خطة عمل ، مخفر الشرطة ، الخالدون (المجمعيون) الأخلاق (علم) شرطة أخلاقية ، جمعية خيرية .

سياسة عدم التدخل ، وزارة الداخلية ، حرب داخلية ، تدخل فى المناقشة ، التدخين ، درجة علمية ، درجة الحرارة ، مدرجات رياضية وجامعية ، مدرسة أدبية أو نقدية ، رجال الدرك ، دركى ، الدستور ، دستورية القوانين ، تدشين ، دعاية ، داعية ، مدع عام ، مدفئة ، تدفئة عمومية ، الدفاع الوطنى ، هيئة الدفاع (فى المحاكم) ، مدفعية ، سلاح الدفاع ، مدمرة ، دورية عسكرية ، دورى رياضى ، لعب دورا رئيسيا ، مدير ، إدارة ، إدارى ، الدوائر المختصة ، مائدة مستديرة ، ذخيرة حربية ، علم الادخار ، ذكرى الأربعين ، مذكرة ، إذاعة ، مذياع ، مذيع .

رأس مالى ، رأس مالية ، رابطة قلمية رابطة علمية ، التربية البدنية ، علم التربية ، مرتب شهرى ، مراجع التحقيق والبحث ، رخصة بمعنى العطلة ، رخصة بمعنى الترخيص رد الفعل ، رداءة الطقس ، المرتزقة (جنود) إرساليات تبشيرية ، مراسل صحفى ، رسم

بمعنى ضريبة رسوم ، فن الرسم ، المراسم الملكية أو الرئاسية ، أمر رسمى ، بنادق رشاشة ، ترشيح لجائزة أولانتخاب ، مرشح ، الرصيف بمعنى الميناء ، الرصيف بمعنى الزميل ، المرطبات ، آلة رافعة ، المرافعات (فى المحاكم) ، مركب رياضى ، مركبة ، مركزية ولا مركزية ، مشروبات روحية ، رياضة بدنية ، رياض الأطفال ، زائدة دودية ، مزاد علنى ، سابقة ، سوابق أسبقية ، مسابقة ، إدارة التسجيل ، رسالة مسجلة ، سجل ذهبي ، سحب القرعة ، سحب كلمته ، سحب مبلغا ماليا من المصرف ، أغلبية ساحقة ، سدّد دَيْنه ، تسديد الاشتراك ، المسدس ، سر المهنة ، الأمراض السرية إسعاف ، مستعجل ، سيارة إسعاف ، إسعاف شتوى ، ساعى البريد ، سلة المهملات ، سلم الوظيفة ، سماعة التلفون ، السوق السوداء سوق خيرية ، مستوى أدبى أو معيشى ، سيارة ، صحف سيارة .

الشئون الثقافية ، شذوذ جنسى ، تصرفات شاذة ، مشروع تجارى وغيره ، مشاريع ، سلطة تشريعية ، رجل الشارع ، المشروعية مركب شراعى ، التشريعات الملكية أو الرئاسية ، الاشتراكية ، الأشغال العمومية ، الأشغال الشاقة ، وزارة الصحة ، التدابير الصحية ، مصحة ، صحافة ، صحيفة ، صحفى ، الصادرات والواردات ، التصدير والإيراد ، أصدر أمرا ، أصدر صحيفة توقفت الصحف عن الصدور ، مصرف (بنك) مصارف ، معاملة مصرفية مصعد ، مصاعد ، ضرائب ، إضراب ، كرة المضرب ، ضغط الدم ، طبعة ، طباعة ، مطبوعات .

طبقات الأرض (علم) ، حالة الطوارئ أطروحة ، مطعم ، مطاعم ، طاقم (أسنان وغيرها) طائرة أو طيارة ، طيار ، مطار طيران (شركة) مظلة شمس ، مظلة نزول ، المظليون (جنود) ، مظاهرة ، تظاهر ، ظاهرة ظواهر ، عجلة سيارة ، عجلة نارية معدات حربية وغيرها ، سنة إعدادية ، معدل التنقيط ، معادلة ، عريضة ، عرض ، معارضة ، معرض ، معروضات .

أحكام عرفية ، بطاقة تعريف ، وزارة المعارف ، تعاضدية ، عضوفى جمعية أعضاء ، اعتماد ، عميد ، عمدة ، الطبقة العاملة ، قانون العمل ، عملية جراحية ، عمولة ، عمالة عنصرية ، العناصر الأساسية (فى أى مركب) معهد ، معاهدة ، متعهد ، عهدة عيادة طبية ، معبد ، عيار نارى ، أحيل على المعاش ، الغازات السامة ، الغازات الخانقة ، الغازات المسيلة للدموع ، مواد غذائية ، تغذية ناقصة ، التغريب ، الغرفة التجارية أو الفلاحية ، غرامة ، أغلبية نسبية أو مطلقة ، غارة جوية ، غواص ، غواصة ، قانون الغاب ، قطع غيار .

مقالة افتتاحية ، مدينة مفتوحة ، فترة انتقال ، استفتاء شعبي ، مواد متفجرة حكم فردى ، تفرغ ، مفترق الطرق ، فصل السُلَط ، الفنون الجميلة ، فوضوية ، وزير مفوض ، المفوضية ، حفلة استقبال ، قاعة الاستقبالات ، تقرير ، تقارير ، مقرر ، الأدب المقارن ، القانون المقارن، قاص ، قصصى ، قصة أو أقصوصة ، المقصلة ، قاطرة ، قطار ، مقطورات ، قطعة بحرية ، قطاعى ، مقاطعة ، إقطاعية ، كلمات متقاطعة ، مقتطع ، تقاعد ، أحيل على التقاعد ، مقعد الحكم ، استقلال تام ، استقلال داخلى ، مستقل (غير منتم) ، انقلاب ، قلب نظام الحكم ، التقاليد ، تقليدى ، إقلاع (الطائرة أو مركب بحرى) قلم حبر ، قلم رصاص ، قلم المطبوعات ، قمع المظاهرات ، قمع الغش ، قانون المطبوعات ، المقومات العامة ، الرقم القياسى ، الاكتفاء الذاتى ، كلية ، كليات ، الكواليس ، الكماليات ، تكميلى .

ملحق أسبوعى (فى الصحافة) ملحق عسكرى ، ملحق ثقافى ، ملحمة (فى الشعر) شعر ملحمى ، ملازم (عسكرى) ، كاتب ملتزم ، لسان حال ، ملعب (للكرة) ملاعب ، لغم وألغام ، باخرة لرفع الألغام ، ملف ، لفافة بريدية ، اللفيف الأجنبى ، لفت نظر ، تلقيح (ضد مرض ما) ، ملقن (فى المسرح) ، مكمن الملقن ، ألقت الباخرة مرساتها ، ألقى خطابا ، ألقى عليه القبض ، ألقى نظرة ، إلى الملتقى ، ملاكمة ، ملاكم ، قدم ملتمسا ، ملتمسات ، لوحة فنية ، لائحة ، لوائح ، نسبة مئوية ، ذكرى سنوية ، فن التمثيل ، ممثل وممثلون ، تمثيل سياسى ، مادة ومواد ، مادية ، مادى ، مواد أولية ، بين المد والجزر ، مادة الخلاف ، المدنية ، مسئولية مدنية ، تمرين ، نظام المرور ، ممرض ، تمريض ، تمرين وتمارين ، تمرينات عسكرية أو رياضية ، متمرن ، ماسح أحذية ، مسك الدفاتر ، إمساكية رمضان ، جيش المشاة ، مصل وأمصال ، إمضاء ، الممضى أسفله ، صاحب الإمضاء مطاط ، مادة مطاطة ، إمكانات وإمكانيات موالح (للحمضيات) ، ملاح وملاحون ، ملاحة بحرية أو جوية ، الملكية (نظام) ، الملكية الخاصة ، الملكية الفردية ، ملاك ، منحة دارسية ، منح ، المهن الحرة ، تعليم مهنى ، تموين ، بطاقة تموين ، مياه إقليمية ، ميدان العمل ، ميدان بمعنى الساحة ، امتياز (الجريدة أو غيرها) ، صاحب الامتياز ، عدد ممتاز ، إنتاج أدبى أو صناعى أو فلاحى ، إنتاج وطنى أو محلى ، انتخاب ، معركة انتخابية ، منتخِب ومنتخَب ، منتخبات أدبية ، انتداب ، مندوب سام ، مندوب فوق العادة ، مندوب الجريدة ، نادى وأندية ، نزع السلاح ، تنازع البقاء ، تنازل عن العرش أو عن أى حق ، نزل ، أعضاء التناسل ، أمراض تناسلية ، النشء والناشئة ، نشيد ، أناشيد ، نشيد وطنى ، نشر ، نشرة ، نشرة أخبار منشورات ، ناشر ، دار نشر ، نشاط

أدبي واقتصادي وغيرهما ، نشل ، نشال ، نصب تذكاري ، تنصيب ، منضدة ، مناضد، ناطحة السحاب، منطاد ، مناطيد ، نظارة ونظارات ، قاعة انتظار ، مناظرة ، منظمة ، منتظم دولي ، سلطة تنفيذية ، لجنة تنفيذية ، نافذة ونوافذ ، علم النفس ، طبيب نفساني ، حالة نفسية ، انتفاعي ، نقابة عمال أو أطباء ، نقابي ، التنقيب عن الآثار والمعادن ، نقد أدبي ، نقد بمعنى العملة ، النظام النقدي ، مركب نقص ، النقض والإبرام ، نقطة استفهام ، نقطة نظام ، نقل ، وسائل النقل ، ممتلكات منقولة ، نقالة ، نهضة أدبية وغيرها ونهوض، نوبة عصبية ، نيابة عامة ، هيئة نيابية ، تناول الكلمة ، تناول الشاي ، هتف بحياته ، الهاتف ، هتاف عظيم ، هدف وأهداف (رياضي وسياسي) ، تهريب ، مهرب . استهلاك ، مستهلك في مهمة ، مهمات ومهام همزة وصل بين ، بنات الهوى ، هواية ، هاو ، هواة ، هيئة سياسية ، هيئة نيابية ، توتر العلائق ، ضرب على الوتر الحساس ، وجبة غذائية ، وجبات ، وجهة نظر ، الواجهة الشعبية ، واجهة القتال ، ودادية بمعنى جمعية ، مستودع السيارات ، ورش عمل وأوراش ، موزع البريد ، توزيع الجوائز ، ميزانية ، الأوساط الديبلوماسية ، العصر الوسيط ، القرون الوسطى ، موسوعة وموسوعات ، موسوعي ، وسائل الراحة ، وسام وأوسمة ، موسم الصيد ، وصفة طبية ، مواصفات ، وصل وتوصيل وإيصال ، وصولي ، وصولية ، وصاية بمعنى انتداب سياسي ، أوضاع اجتماعية وغيرها ، وضعية البلاد ، موضوع ، موضوعي ، موضوعية ، وطن قومي ، وطنية ، وطني ، موطن الضعف ، مواطن ، وظيفة ، وظائف ، وظائف الأعضاء (علم) ، موظف ، الوعي القومي أو الديني ، توعية ، توفير ، صندوق التوفير ، اتفاقية ، التوقيت الصيفي ، الوقود (للنفط) ، الأمر الواقع ، التوقيع ، الموقع أدناه ، توقيف ، إيقاف ، موقف سيارات ، مواقف مشرفة ، الوقاية المدنية ، وكيل الحق العام ، وكالة أخبار ، توليد ، دار أو مستشفى الولادة ، توليد القوة الكهربائية ، مولدة .

حالة يأس ، اليابسة ، ميتم ، يخت ، اليد العاملة ، وقف مكتوف اليدين ، الصنائع اليدوية ، يمين ، يسار (بمعنى الاتجاه السياسي) يومية (أجرة) ، يومية الحائط ، والسلام عليكم .

عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب

ابن سينا

مناقشة بعض ما قال فى العين

للدكتور حسن على إبراهيم

يقول ابن سينا فى تشريح عضل الجفن: «وأما الجفن فلما كان الأسفل منه غير محتاج إلى الحركة؛ إذ الغرض يتأتى ويتم بحركة الأعلى وحده، فيكمل به التغميض والتحديق. وعناية الله تعالى مصروفة إلى تقليل الآلات ما أمكن».

والكلام صحيح تماماً، ثم يقول ما معناه أن فى التكثير من الآلات تكثير للآفات، وأعتقد أن هذا صحيح أيضاً؛ إذ نجد أن معظم الأعضاء تؤدى أكثر من وظيفة، فالعظام التى نراها صلبة تشد هيكل الجسم، تحوى داخلها النخاع الذى ينتج خلايا الدم الحيوية من كريات بيضاء وحمراء، والكبد يؤدى أكثر من عشرين وظيفة حيوية؛ أهمها إنتاج الصفراء اللازمة للهضم وللتخلص فى نفس الوقت من نتاج تفتت الكريات الحمراء، وحفظ المواد السكرية على هيئة مولد الجلوكوز أو الجلايكوجين، ثم الرفع بالجلوكوز إلى الدورة الدموية ليعطى الجسم حاجته من الطاقة، كذلك التخلص من بعض الهرمونات والمواد الفعالة الضارة وبعض البكتريا، واستخلاص البولينا من البروتين لتخرج عن طريق الكلى مع البول، وغير ذلك كثير. ولم يخلق الله عشرين عضواً آخر بدل الكبد؛ ليؤدى كل عضو وظيفة واحدة، بل إن الكلية، التى يظن الناس أنها تفرز البول وحسب، لها وظائف جمة؛ منها تنظيم أملاح الدم كالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم، والفسفور، والحفاظ على قلوية الدم البسيطة التى لولاها ما عاش الإنسان، كذلك تقوم الكلية بتنظيم كمية الماء التى يحتفظ بها الجسم، فإذا قل شرب الماء قل البول، وإذا زاد حدث إدرار، وهى بذلك تحافظ على حجم الدم فى الدورة الدموية، كذلك تنهى الكلى مفعول بعض المواد الفعالة، التى تضر إذا استمرت فى الدورة الدموية، مثل الجاسترين الذى إذا بقى أدى إلى قرح أو قروح بالمعدة وغير ذلك كثير.

ثم يعود ابن سيناء إلى تشريح عضل الجفن فيقول: «وإن كان قد يمكن أن يكون الجفن

(*) ألقى فى الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين، يوم الثلاثاء (١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م).

الأعلى ساكناً والأسفل متحركاً، لكن عناية الصانع مصروفة إلى تقريب الأفعال من مبادئها وإلى توجيه الأسباب إلى غاياتها على أعدل طريق وأقوم منهاج، والجفن الأعلى أقرب إلى منبت الأعصاب، والعصب إذا سلك إليه لم يحتج إلى انعطاف أو انقلاب » . هنا استعمل ابن سينا كثيراً من الفكر والمنطق، ولكنه منطق غير صحيح بالمرة؛ لأن العصب الذى يفتح الجفن يأتى فعلا فى شبه استقامة من داخل المحجر، ولكن العصب الذى يغمض العين – وهو جزء من العصب الدماغى السابع – يأتى عن طريق شديد الالتواء، فهو يخرج من ثقب فى قاع الجمجمة ثم ينحرف ليمر بين فصىّ الغدة النكفية، ماراً تحت شحمة الأذن ثم ينحرف إلى أعلى ليصل إلى العين ، ثم يقول ابن سينا : « ولما كان الجفن الأعلى يحتاج إلى حركتى الارتفاع عند فتح الطرف والانحدار عند التغميض ، يحتاج إلى عضلة جاذبة إلى أسفل، لم يكن بد من أن يأتيها منحرفاً إلى أسفل ومرتفعاً إلى فوق .

وهنا يناقض ابن سينا ما قاله فى أول كلامه عن العصب ويجعل الوصف أقرب إلى – الحقيقة التشريحية التى وصفتها منذ قليل .

ثم يعود ويقول – متكلماً عن عضلة التغميض – : « فكان حينئذ لا يخلو إن كانت واحدة من أن تتصل إما بطرف الجفن وإما بوسط الجفن ، ولو اتصلت بوسط الجفن لغطت الحدقة صاعدة إليه » .

ولو اتصلت بالطرف لم تتصل إلا بطرف واحد فلم يحسن انطباق الجفن على الاعتدال ، بل كان يتورب فيشتد التغميض فى الجهة التى تلاقى الوتر أولا ويضعف فى الجهة الأخرى، فلم يكن يستوى الانطباق » ، ثم يستطرد فيقول : « فلم يخلق عضلة واحدة ، بل عضلتان ثابتتان من جهة الموقين يجذبان الجفن إلى أسفل جذباً متشابهاً » . هنا لجأ ابن سينا أيضاً إلى كثير من المنطق الحسن، ولكن فاته أن يعرف تشريح العضلة بدقة فالعضلة جزء من العضلة المحيطية أو الدائرية العينية orbicularis oculi والعضلة مثبتة حقاً عند الموقين برباطين دقيقين ، يصلان إلى العظام لغرض التثبيت ، ولكن هذه العضلة دائرية ، أى تدور حول العينين وحول الجفنين وعليهما وتتصل بنفسها، ولابن سينا عذره؛ لأن العضلة رقيقة جداً ولا تكاد ترى، وتكاد تكون مندمجة فى جلد الجفن ، وتشنج أو انقباض هذه العضلة يؤدى إلى التغميض، وكل منا لو وضع إصبعه على جفنه الأسفل وأغمض عينه، شعر بانطباق العضلة على الجفن الأسفل. ويبدو أن ابن سينا لم يقم بهذه التجربة البسيطة ولو فعل لما وقع فى هذا الخطأ .

ثم يتكلم ابن سينا عن العضلة التى ترفع الجفن فيقول : « وأما فتح الجفن فقد كان تكفيه عضلة تأتى وسط الجفن فينبسط طرف وترها على حرف الجفن ، فإذا تشنجت فتحت .

فتتصل بجرم شبيه بالغضروف منقرش تحت منبت الهدب » وهو هنا يصف العضلة الرافعة للجفن الأعلى levator polbebrae superioris ويقصد بالمادة شبه الغضروفية ، الجزء الصلب من الجفن العلوي Torsus والوصف عامة صحيح إلى حد كبير ،وهذه العضلة أكثر وضوحاً فى التشريح عن العضلة الدائرية أما فى وصفه لتشريح العصب البصرى optic nerve فقد وقع منه خلط بينه وبين عصب الشم، مع أنه يشير إلى أن الحلمة التى على العصب الأول هى للشم ،والعصب البصرى مستقل تماماً عن عصب الشم،وهو ثانى الأعصاب الدماغية ، ويقول ابن سينا عن العصب البصري : « وهو عظيم مجوف » والذى نعرفه أن العصب غير مجوف ، ثم يقول : « يتيامن النابت منهما يساراً،ويتياسر النابت منهما يميناً ثم يلتقيان على تقاطع صليبى ،ثم ينفذ النابت يميناً إلى الحدقة اليمنى والنابث يساراً إلى الحدقة اليسرى ،وتتسع فوهاتهما حتى تشتمل على الرطوبة التى تسمى زجاجية ،وهذا وصف جيد إذا ذكرنا الزمن الذى كتب فيه،ولكنه خاطئ بالنسبة لنا الآن،فإن هذا التيامن والتياسر غير كامل فى التقاطع الصليبى . أما اتساع فوهة العصب لتشمل الرطوبة الزجاجية ،فهو تعريف بدائى الشبكية لأن العصب البصرى ينغرس داخل العين ليكسو قاعها وجوانبها ،وتتصل بفروعه التى لا تحصى مخروطات وعصيات نسميها إجمالا بالشبكية ،وهذا يحدث خارج الرطوبة الزجاجية أو ما نسميه أحياناً بالجسم الزجاجى ويطلق الأطباء الآن على هذا الجزء البصرى الحساس – أى الشبكية مع الأوعية الدموية التى تتفرع أمامها – قاع العين ويمكن فحص قاع العين باستعمال عدسات مناسبة. وعلى الشبكية تقع صورة الجسم المرئى التى ينقلها العصب البصرى بدوره إلى الإبصار فى المخ .

ثم يعود ابن سينا ويقول : « وقد ذكر غير جالنيوس أنهما ينفذان على التقاطع الصليبى من غير انعطاف » ، أما التفسيرات التى أعطاها لهذا الانعطاف فهى غير مقبولة وإن لم تخل من إعمال شديد للفكر . يقول ابن سينا : « وقد ذكر لوجود هذا التقاطع منافع ثلاث إحداها ليكون الروح السائلة إلى إحدى الحدقتين غير محجوبة عن السيلان الأخرى إذا عرضت لها آفة،ولذلك تصير كل واحدة من الحدقتين أقوى إبصاراً إذا أغمضت الأخرى وأصفى منها لو لحظت والأخرى لا تلحظ » .

وهذا كلام غير مقبول بالمرة فى وقتنا الحالى . ثم يستمر ابن سينا فيقول : « ولهذا ما تزيد الثقبة العنبية اتساعاً إذا أغمضت الأخرى وذلك لقوة اندفاع الروح الباصر إليها » والملاحظة صحيحة ولكن تفسيرها غير مقبول،ولست مستعداً للدخول فى أعماق التشريح والفسيولوجيا لتفسير هذه الظاهرة

ثم يستمر ابن سينا فيقول : «والثانية أن يكون للعينين مؤدى واحد، يؤديان إليه شبح المبصر فيتحد هناك ويكون الإبصار بالعينين إبصاراً واحداً» ؛ وهذا الكلام غير مقبول أيضاً فالذى يحدد الصورة ، وهل ترى صورة أو صورتين ، هو نقطة سقوطها على الشبكية فى العينين، فإذا حدث حَوَلٌ، يختلف مسقط الصورة ويبدو الشيء الواحد كأنه اثنان والدماغ هو الذى يجمع الصورتين فى النهاية، حتى يراها ويفهمها الرائى، والصورة لا تتجمع أبداً فى الملتقى الصليبي البصرى .

ثم يستمر ابن سينا فيقول : «والثالثة لكى تستدعم كل عصبة بالأخرى وتستند إليها، وتصير كأنها تنبث من قرب الحدقة» . وهذا الكلام غير مقبول أيضاً، فلا تكاد توجد حركة داخل الجمجمة ، وإلا لجعل الخالق سبحانه وتعالى كل الأعصاب الدماغية تعتمد على ملتقى صليبي وهذا غير كائن .

ثم يصف ابن سينا بعد ذلك العصب الثالث الدماغى occulomator ، وهو المحرك للعين ، على أنه العصب الثانى الدماغى، وهذا خطأ وإن كانت ملاحظاته التشريحية عنه صحيحة إلى حد بعيد ولن أدخل فى هذا كى لا أطيل .

يصف ابن سينا المقلة بأنها كرة شحمية بيضاء وهى ليست كذلك ثم يصف العنبية أو القرنية ويظن خطأ أن العنبة مثقوبة لمرور الضوء ، والضوء لا يحتاج إلى ثقب للمرور من خلال القرنية لأنها شفافة ثم قال : إن هذا الثقب يتسع ويضيق، وهذا الثقب فى الواقع يوجد فى القزحية Iris أمام العدسة وهو حقاً يتسع ويضيق كما قال، وهو يظن أن ألوان العين المختلفة تكون فى القرنية مع أن الألوان تكون فى القزحية، ثم وصف الرطوبة البيضية وربما كان يعنى بها السائل الذى يملأ الغرفة الأمامية للعين، ثم طبقة جليدية وغالباً كان يعنى بها عدسة العين ثم الرطوبة الزجاجية، وما زلنا نسميها بنفس الاسم حتى اليوم ، وأحيانا نقول الجسم الزجاجى :

لقد ذكرت الكثير من أخطاء ابن سينا فأين أصاب ؟ لقد أصاب فى عدة مواضع بالغة الأهمية :

أولا : أن صورة المرئى تظهر على سطح الطبقة الجليدية (كما تظهر على القرنية أيضاً) .

ثانياً : أنه أدرك أن الإبصار ينتج من شعاع ينطلق فى الجسم المرئى إلى العين لا العكس كما كان يظن الكثيرون، وأدرك أن الرؤية لا تحتاج إلى زمن مهما كان الجسم بعيداً وبذلك تكلم دون أن يدرى عن السرعة العظمية للضوء وربما يكون قد لاحظ ذلك فى وميض البرق الذى يرى فى هزيم الرعد الذى يصل بعده بزمن .

ثالثاً : آمن ابن سينا بأن المخ هو الذى يرى ويبصر لا العين وهذا قول صحيح مازال قائماً إلى يومنا هذا، فإن العين التى أبدع الله سبحانه وتعالى خلقها وتركيبها ما هى إلا مجرد آلة تصوير لها عدسة تكون صورة للمرئيات،

على الشبكية ، وتختلف عن آلة التصوير فى أن عدسة العين مرنة تغير شكلها بحيث إذا كان المرئى قريبا زاد تكور العدسة وبالتالى تحدبها وقوة جمعها للأشعة الضوئية حتى تسقط الصورة واضحة على الشبكية ، وإذا كان الجسم بعيداً حدث العكس وهو قلة تكور العدسة . أما فى آلة التصوير فإننا نبعد أو نقرب العدسة من الفلم تبعاً لبعد الشيء المراد تصويره ، فالعين آلة فوتوغرافية تكون الصورة على الشبكية وتنتقل تيارات كهروكيماوية خلال العصب البصرى إلى مراكز الإبصار فى المخ ، فيدرك المخ الصورة ، وإذا حدث تلف فى هذا المكان من المخ فإن المريض لا يرى بالرغم من سلامة العين ، فما العين إلا جهاز موصل للصورة إلى الدماغ :

رابعاً : أدرك ابن سينا أن حجم الذى يرى يعتمد على الزاوية التى يلقيها على العين ، فالشخص السائر بعيداً يلقى زاوية صغيرة على العين فإذا اقترب كبرت الزاوية وبالتالى زاد حجمه . لماذا تبدو الأشياء البعيدة صغيرة ؟

هذا سؤال وجهته لمدرس الرياضة ، عندما كنت طالبا فى المدرسة الخديوية فعجز عن الإجابة عنه وأجاب عنه ابن سينا منذ ألف سنة .

أيها السادة أشكر لكم حسن استماعكم لهذا الموضوع العلمى الجاف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن على ابراهيم
عضو المجمع

لغة الصحافة في مصر
منذ ظهور الصحافة في القرن الماضي

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

على الرغم من أن (الصحافة) ظهرت في أول أمرها في الصين، في القرن العاشر قبل الميلاد، فإن الصحافة بمفهومها ومظهرها الحديث لم تظهر إلا في القرن السادس عشر، بعد اختراع الطباعة بوساطة جوتنبرج .

والصحافة العربية هي من حسنات القرن التاسع عشر ، وإن كانت أول صحيفة عربية هي التي أنشأها نابليون في مصر سنة ١٧٩٩ آملا أن يوطد بها أركان حملته ... ثم جاءت بعدها (الوقائع المصرية) التي أنشأها محمد على سنة ١٨٢٨ ، ويليها (المبشر) التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر سنة ١٨٤٧ فكانت الجريدة الثانية في العالم العربي .

وقد عرف قدر « الصحافة » كثيرون من العظماء والمفكرين والقادة والسياسيين والأدباء والشعراء...فهذا هو البابا ليون الثالث عشر يقول : (الصحف رسالة خالدة) . وهذا بونابرت يقول : (الصحافة ركن من أعظم الأركان التي تشيد عليها دعائم الحضارة والعمران) وهذا تولستوى يقول : (الجرائد نفير السلام ، وصوت الأمة ، وسيف الحق القاطع ، ومجيرة المظلوم ، وشكيمة الظالم .. فهي تهز عروش القياصرة ، وتدك معالم الظالمين . .) . وهذا فولتير يقول : (الصحافة آلة يستحيل كسرها ، وستعمل على هدم العالم القديم ، حتى يتسنى لها أن تنشىء للدنيا عالما جديدا ...) :

وقد قدرها في عالمنا العربي اثنان من نوابغ خريجي دار العلوم سنة ١٨٩٢ ومن أوائل المشتغلين بالصحافة حيث قالا في مجلتهما : «المنتقد» التي أصدراها شهرية سنة ١٨٩٣ ، وهما : الشيخ أحمد الأزهري بك ، ومصطفى الدمياطي .. : (إن نعمة الجرائد على البلدان . لا تقل عما تشرف به الإنسان من نعمة البيان . وإن كل بلاد

(*) ألقيت المحاضرة في الجلسة الثامنة من مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م) .

توفر حظها من هاته النعمة، تكون أسمى وأرقى من التي لم تنل حظا يدرك هذه النعمة)

ونذكر لأنطون الجميل باشا - رئيس تحرير «الأهرام» ، وأحد أعضاء مجمعنا الراحلين - قوله عن الصحافة : (إنها شجرة الحقيقة يغرد على أفنانها الكتاب الصادقون) .

وقد عدها أمير الشعراء أحمد شوقي آية هذه العصور الحديثة في قوله من قصيدة ، يحيي بها نقابة الصحفيين في عيدها الأول :

لكل زمان مضى آية
وآية هذا الزمان الصحف
لسان البلاد ونبض العـ
ـباد ، وكهف الحقوق وحرب الحيف

و « الجريدة » هي بعينها « الصحيفة » . . إلا أن الكونت رشيد الدحداح اللبناني أول من استعمل كلمة (صحيفة) لجريدة (برجيس باريس) العربية التي أصدرها في فرنسة سنة ١٨٥٨ وتابعه الناس أول الأمر ، ثم جاء بعد ذلك بسنوات، اللغوي فارس الشدياق فآثر كلمة (جريدة) ودار من أجل ذلك نقاش طويل انتهى إلى أن جاء الشيخ إبراهيم اليازجي سنة ١٨٨٤ فأسمى مجلة (الطبيب) باسم : (مجلة) وكذلك فعل في مجلتيه : (البيان) و(الضياء) اللتين أصدرهما بمصر سنة ١٨٩٧ و سنة ١٨٩٨ على الولاء . ومن ذلك الحين أطلق اسم (الجريدة) على الصحيفة اليومية الإخبارية السياسية واسم (المجلة) على الصحيفة الدورية : أسبوعية كانت أم شهرية أم دورية .

ومن المناسب هنا أن نذكر أن الشيخ رفاعة آثر إطلاق كلمة (الوقائع) على الصحيفة اليومية ، ومن هنا جاءت تسمية (الوقائع المصرية) التي عهد إليه بإصدارها وتحريرها، ولكن الدكتور لويس صابونجي اللبناني وصاحب مجلة (النحلة) التي أصدرها بلندن، استعمل لفظة (نشرة) في مقابل كلمة (جورنال) الفرنسية بمعنى الجريدة ، كما استعمل إخواننا الجزائريون في القرن الماضي عبارة : (الورقة الخبرية) وهي ترجمة حرفية لعبارة Newo Paper الإنجليزية .

ومن اللطيف أيضا أن الصحافيين والقراء كانوا قبل الثورة العربية لا يفرقون في الاستعمال بين (جريدة) و (مجلة) إلى أن جاء إبراهيم اليازجي سنة ١٨٨٤ فوضع حدا قاطعا للتمييز بينهما حين أصدر مجلاته الطبيب والبيان والضياء .

والصحافة - عموما - أنواع ، فمنها الصحافة السياسية ، والصحافة الأدبية ، والصحافة العلمية ، والصحافة الدينية ، والصحافة الفكاهية ، والصحافة النقدية ، وقد تختص صحيفة أو مجلة بنوع واحد لاتعدوه إلى غيره ، كما قد تجمع واحدة بين أن تكون علمية أدبية ثقافية ، كما ظهر ذلك واضحا في مجلات المقتطف والهلال في القرن الماضي ، والرسالة والثقافة في القرن العشرين .

ولقد كانت لغة الصحافة — أول ظهور الصحف والمجلات فى القرن الماضى — تابعة للغة العامة التى كان يكتب بها الناس أو يتخاطبون .... فهى لغة هابطة بلغت أدنى درجات الضعف والهبوط التى وصلت إليها الآداب العربية عامة . وكان الكتاب والمحررون يحشون عباراتهم بألفاظ تركية ، أو أفرنجية كثيرة ، أو عامية مما يلفظه العوام . ولم يكن هناك تحرج من ذلك ، أو لم يكن هناك تنبه لخطره على سلامة اللسان والبيان العربى . وقد دخلت الألفاظ الأجنبية المعربة إلى لغة الصحافة — كما دخلت إلى لغة الكتابة والتأليف — بلا ضابط . بل كان رائد فى الصحافة والفكر مثل رفاعة رافع يلجأ إلى إدخال الألفاظ الأعجمية بطريق (التعريب) ، بالإضافة إلى جهوده التى لا تنكر فى ميدان (الترجمة) . فصرنا نجد فى لغة (الوقائع المصرية) مثل هذه العبارات : افتتاح «برلمنتو» إنكلترة . و «فاميلية » الحضرة الفخيمة . وشهر «زانويه » أى يناير ، و «البولوتيقة» الخارجية أى السياسة الخارجية .

واجتمع مع غزو لغة الصحافة بلغة الأجانب ولغة العوام ، غزو آخر من هبوط الأسلوب وركاكته وازدحام العبارات بالمحسنات البديعية ، كالذى نجده فى نعى ابنة محمد على المنشور بالوقائع سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م . حيث يقول : « إن الكاتب حزين ، حتى إن قلمه انغمس بمداد المأتم ، وأسال دمع المداد كالدم . وصريره أبدى زفير الحزن والألم ، حزنا على حضرة المعصومة ، والدرة المعدومة فرع الأصل الأصفى ، منبع الجود الأحفى ، وهى التى كانت الإسكندرية متشرفة بها ، ومكسوة ثوب شرف بها ... » .

وقد بلغ من سلطان (العامية) فى لغة الصحافة أنها لم تكتف باستعمالها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بل امتد أثرها حتى قبيل الثورة العرابية بعام واحد ، حين أصدر السيد عبد الله نديم سنة ١٨٨١ جريدته (التنكيت والتبكيت) فخصص قسما غير قليل من صفحاتها باللغة العامية .... ولعله رأى بحكم روحه الثورية أن يمد مجال انتشار كتاباته إلى العوام ليبلغهم صوت الثائر الممهد لثورة عرابى . وقد كان النديم يجمع فى كتاباته بين الفصحى والعامية . وتعد كتاباته الصحفية بالفصحى نموذجا للبيان العربى المشرق الخطابى المؤثر . وإن كان يؤثر السجع ويحشو عباراته بالمحسنات اللفظية الكثيرة التى لم تخرج عن روح العصر ومزاجه .

وإذا اغتفرنا لعبد الله نديم اتجاهه للغة العامية تحقيقا لهدف سياسى جليل ، فإننا لا ننسى له حبه للغة العربية الفصحى ، واهتمامه بها وإشادته بقيمها حين كتب فى مقال صحافى له بعنوان «إضاعة اللغة تسليم

للذات » حيث يقول فيه : «أيها الناطق بالضاد : بم تستبدل لغتك ومالها من مثيل . وإلى من تتركها وأنت لها كفيل ؟ وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها ؟ وأى شىء طلبته فيها ولم تجد له اسما ؟ لبيك أيها الأخ الشقيق ، وإن لم نحمل فى بطن واحدة ، اللغة سر الحياة ، والحد الفارق بين الإنسان والبهيم . وهى التى بها جذبت قلب أمك ، واستعطفت جانب أبيك ، وتملكت فكر أخيك ، واستملت صاحبك ، وألفت جارك ، وتعارفت مع مواطنك ، فهى أنت إن كنت لا تدرى من أنت . وهى وطنك إن لم تعرف ما الوطن » ؟

ويبدو أن سلطان العامية فى لغة الصحافة فى ذلك العهد من القرن الماضى كان قويا ، وتيارها كان مندفعا متدفقا . وبلغت فيها النكبة أن صحفا غير قليلة قد بدأت تصدر باللغة العامية وتتميز بها ، ووجدت من جمهرة من القراء إقبالا عليها ، وغراما بها ، مثل جريدة « أبو نظارة » التى أصدرها فى باريس اليهودى الإيطالى المصرى يعقوب صنوع ، والتنكيت والتبكيت التى أصدرها عبد الله نديم فى مصر سنة ١٨٨١ م ، والسيف التى أصدرها حسون وحسين على سنة ١٩١٠ والمسامير التى أصدرها السيد عارف سنة ١٩٠٩ وحمارة منيتى ، التى أصدرها محمد توفيق ١٨٩٩ .

ولم تكتف اللغة العامية بهذا الغزو الصحافى حتى قامت فى سنة ١٨٩٣ حملة شديدة على الفصحى ، ودفاع شديد عن العامية قام به المهندس الإنجليزى مستر «ويلكوكس» مفتش الرى بمصر ، وسجله على صفحات مجلة (الأزهر) التى شاركه فى إصدارها الشيخ أحمد الأزهرى[1]

ولقد حرصت بعض الصحف فى مصر على تخصيص جماعة من الأزهريين ليتولوا مراجعة الأخبار والمقالات قبل طبعها ، وتصحيح أخطائها النحوية واللغوية ، وذلك حرصا على أن تظهر لغة الصحيفة أو المجلة خالية مما يعيبها من شوائب الخطأ اللغوى . وهؤلاء المصححون للغة التحرير هم غير المصححين الآخرين الذين يتولون تصحيح تجارب المطبعة مما وقع فيها من هفوات الجمع وعثراته .

وأخطاء تجارب المطبعة فى الصحافة والصحف لا تقل عنها فى الكتب المطبوعة . فالخطأ هنا قائم كما هو قائم هناك . ولا يكاد يسلم كتاب عربى من خطأ مطبعى ، كما لاتسلم صحيفة أو مجلة من ذاك . وعلى حين لا تتجاوز أخطاء المطبعة فى بعض الكتب بضعة

---

(١) وكأنما صح فى اللغة العربية وخصومها يومئذ — حتى من أبنائها — قول زميلنا الصديق العلامة عبد الله بن كنون من قصيدة عنوانها : « خصوم العربية » :

جهلوها فناصبوها العداء ومن الجهل ما يكون بلاء

أخطاء أو تطبيعات – كما نسميها اليوم – فإنها قد تبلغ فى بعض الكتب بضع عشرات أو مئات على حسب حظ المطبعة من عناية المصححين وتنبههم :

ولا تخلو الكتب المطبوعة فى أواخرها من جدول لتصحيح ما صدر من أخطاء مطبعية فيها ، على حين لا تهتم الصحيفة –وخاصةاليومية – بتصحيح ما يقع فيهامن تطبيع . وقد وقعت فى ذلك الباب لطائف وطرائف يتندر بها الصحافيون حين يقتضى المقام . . فمن ذلك ما وقع فى صحيفة يومية سيارة حين روت فى أخبارها نبأ عودة أحد الزعماء إلى بيته فى موكب حافل فقالت : (وما بلغ دولته بيت الأمة حتى علا الصهيل) والمقصود طبعاً : حتى علا التهليل . وقال أحد الزعماء فى خطبة سياسية له: (واصغوا إلى صوت الضمير) ، فجاءت بها المطبعة هكذا : (... إلى صوت الحمير) . وجاء فى عنوان خبر صحافى : (الفرنسيون يضيقون الخناق على البصل المراكشى) وصوابها طبعا : (البطل المراكشى) ، ونشرت صحيفة سيارة نبأ عن مروءة أحد المشايخ وهمته ، فعلقت على الخبر قائلة : (وأنها تثنى على عمة فضيلته) . فحرفت الهاء إلى العين . . . وفى العقد الرابع من قرننا هذا قامت حركة تدعو إلى إنصاف رجال القضاء وسرعة ترقياتهم ، فكتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام يناصر الحركة قائلا : (يجب تعرية القضاة) وهو تحريف لعبارة (يجب ترقية القضاة) . وفى العام نفسه قامت حركة لإدخال عنصر الشباب فى القضاء بعد أن كان وقفا على الشيوخ ، فنشرت الأهرام خبرا عنوانه : «تجريد ثياب القضاة» وهو تحريف مطبعى عن عبارة (تجديد شباب القضاة).. ونشر أحد محررى الجريدة نعى شخصية كريمة وجاء فيها : (توفى إلى رحمة الله فلان ، أسكنه اللهفسيح جناته) . وعلق «موضب» الجريدة على هامش الخبر بالنشر (إن كان له مكان) فجاء منفذ الحروف وجمع هذه التعليقة بعد الخبر مباشرة . فصدر فى الصحيفة مطبوعا هكذا : (توفى إلى رحمة الله فلان أسكنه الله فسيح جناته ، إن كان له مكان).

ولمطابع الصحف وطابعيها فى هذا الباب طرائف لا تنتهى :

وحين تخلصت لغة الصحافة المصرية من الزخارف اللفظية . والمحسنات البديعية قبل الثورة العرابية بقليل فإنها ظلت محتفظة بالسجع الذى كان مستملحا عند الكتاب والقراء على السواء . وكان السجع – حتى المتكلف – أثر كبير فى نفوس القراء ، وسلطان كبير على نفوس الصحافيين ، ففى عدد من الوقائع المصرية جاء هذا الخبر سنة ١٨٦٥ : (إن أناسا من اللئام ، سفلة الأنام ، ارتضوا بالخزى وارتكاب الآثام فاستبدلوا الاشتغال بأنواع الكسب الحلال بالاشتغال بالحرام والعار ، والدوران فى القرى والأمصار . وكلما صادفوا أناسا

على فطرتهم وحسن نياتهم ، تحيلوا على اصطيادهم بتحيلاتهم ، وعملوا طرق الخديعة والحيل فى سلب أموالهم ، بعد سلب عقولهم بإحدى المغيبات المشهورة بين الناس بالتاتورة ، فيضعونها فى شيء من المأكولات ، ويطعمونها أصحاب العقول الناقصة بدون شعور ، وبعد الحصول على مهامهم يفرون . .) ولم يكتب «للوقائع المصرية» التخلص من هذا السجع البارد المتكلف إلا حين تولى تحريرها الشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٠ — أى قبيل الثورة العربية بعامين — فى عهد هذا الإمام المفكر الرائد تخلصت لغة الصحافة جملة وفى «الوقائع» خاصة من بقايا المحسنات البديعية ، ومن السجع جملة ، وأصبحت الكتابة مرسلة طليقة من تلك القيود اللفظية التى كانت تجنى على المعنى وتجعله ناقص الأداء السليم . واستعاض الشيخ محمد عبده عن السجع بالازدواج أو الترادف الصوتى ، وهو نوع من السجع لا تلتزم فيه تقفية أواخر الجمل ، بل يلتزم فيه توازن بين الجمل بدون تشابه أواخر الألفاظ .

ومن الإنصاف للتاريخ والحق أن نقول إن الشيخ أحمد فارس الشدياق قد سبق الشيخ محمد عبده فى التخلص من السجع منذ القرن الماضى حتى يومنا هذا . فحين أصدر الشدياق مجلته «الجوانب» سنة ١٨٦١ فى الآستانة ، اتخذ فيها الأسلوب المرسل سواء فى الأخبار الصحفية أو المقالات . وبهذا انقادت له كثير من المعانى وموضوعات العلم والفكر التى كانت لغة السجع تضيّق عليها . وحين كان الشدياق يسجع فإنه كان يتخذ ذلك فى المقال الأدبى والعاطفى . أما مقالات السياسة والعلم والأخبار فقد تحرر فيها من قيود السجع والزخرف اللفظى جملة .

ولا ننسى فضل الشيخ إبراهيم اليازجى فى هذا الميدان ، فهو صحافى لغوى عريق فى مجلاته : الطبيب البروتية ، والبيان والضياء المصريتين . وكأن الثلاثة ، الصحافيين الكبار : أحمد فارس الشدياق ، وإبراهيم اليازجى ، والشيخ محمد عبده ، كانوا على ميعاد فى تخليص لغة الصحافة — بل لغة الكتابة والإنشاء عامة — من السجع وبقية الزخارف والمحسنات .

ولعل مثالا واحدا من مقالات الشيخ محمد عبده الصحافية فى (الوقائع المصرية) سنة ١٨٨٠ يبين لنا أسلوبه الصحفى المترسل المتحرر من القيود ، السهل العبارة ، الخالى من اللفظ الغريب الجاف ، الداخل إلى عقول القراء من أيسر الأبواب وأسهلها . فهو يقول من مقال سياسى عنوانه (خطأ العقلاء) : (إننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية فى أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة فى الانتخابات العمومية لرؤساء جمهوريتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ، ونعرف مقدار السعادة التى نالها الأهالى من تلك الحالة ؛ ونعلم أن هذه السعادة إنما

أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين فى مصالحهم بأنفسهم ؛ لأنهم أرباب الانتخابات ، وإنما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس هم نواب عنهم فى حفظ تلك المصالح والحقوق التى رأوها لأنفسهم وتتشوق النفوس الحرة أن تكون على مثل هذه الحالة الجليلة .

لكننا لا نستحسن أن تكون تلك الحالة بعينها لأفغانستان مثلا ، حال كونها على ما نعهد من الخشونة . فإنه لو فوض أمر المصالح إلى رأى الأهالى ، لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة لا يرى سواها . فلا يمكن الاتفاق على نظام عام . ولو طلب منهم أن ينتجوا مائة نائب مثلا لرأيت كل شخص ينتخب صاحبا له أو نسيبا أو قريبا) .

وأين هذا الاسلوب الصحافى المرسل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٠ فى «الوقائع المصرية » من أسلوبه المسجوع المتكلف المزخرف الموشى . الذى كتبه فى جريدة الأهرام سنة ١٨٧٦ تقريظا لها ، وترحيبا بصدورها ، حيث يقول : (إنه لما ظهر لدى كل قاص ودان واشتهر بين بنى نوع الإنسان ، أن مملكة مصر كانت فى سالف الزمان مملكة من أشهر الممالك وكعبة يؤمها كل سالك وناسك ؛ إذ كانت قد اختصت بتربية العلوم ، وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم ، وانفردت بالبراعة فى الصنائع والابتكار فى أنواع البدائع فكان أبناء العالم إذ ذاك ينتدون نداها ويستجدون جداها ، يستمطرون من الغيث قطرا ، ويستمدون من المحيط نهرا ، فكان التمدن فيها كهلا ، حين كان عند غيرها طفلا. وما زالت كذلك حتى زها فيها التمدن ولا عجب ؛ إذ رأى الطالبين تنسل إليه من كل حدب وأن ملوك الأرض خدام عتبته ، وتيجان الكيانين تحت قبضته ، فاستكبر واعتلى ، ولكئوس الراحة اجتلى . .) !

ولغة الصحافة المصرية فى عهد الثورة العرابية هى حسنة من حسنات ذلك العهد الذى كان يتأجج بالشعور الوطنى ، والعاطفة القومية وقد وجدت تلك الثورة فى جماعة من الصحافيين — من أمثال أديب إسحاق ، وعبد الله نديم ، ومحمد عبده ، وإبراهيم اللقانى — لسانها المعبر عن آمالها وآلامها . وتمتاز لغة ذلك العهد بالأسلوب الخطابى الذى يعتمد على إثارة الشعور ، وإلهاب العواطف ؛ وذلك باستخدام الألفاظ الطنانة الرنانة التى تترك فى النفوس أعمق الآثار ، وتهيئ الناس لقبول التغيرات والتطورات التى تتطلبها مبادئ تلك الثورة . ونسوق هنا نموذجا من مقالات « أديب إسحاق » الصحفية التى قصد بها فضح نظام الحكومة والحكام فى مصر ، تمهيدا للثورة التى قام بها أحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وغيرهما من أحرار الضباط ، الذين ثاروا على الخديو وعلى

حكومة الاستبداد ، حيث يقول : (فسلكى أن أكشف حقائق الأمور ، ملتزما جانب التصريح متجافيا عن التعريض والتلميح ، وأن أجلو مبادئ الحرية ، وآراء ذوى النقد ، وأن أبين ما يظهره البحث من عواقب الحوادث أو مقاصد أهل الحل والعقد ، وأن أوضح معايب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحا : أولى الأمر ، ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهماً : أمناء الأمة ، ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلا : ولاة النظام ، وأن أعين واجبات الإنسان الشرقى بالنسبة إلى نفسه وإلى قومه وإلى بلاده ، وما يقابل تلك الواجبات من الحقوق ، وقصدى أن أثير بقية الحمية الشرقية . وأهيج فضالة الدم العربى ، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين ، وأحيى الغيرة فى قلوب العارفين ، ليعلم قومى أن لهم حقا مسلوبا فيلتمسوه ومالاً منهوبا فيطلبوه ....) .

ويمتاز «إبراهيم اللقانى» ، من بين الأربعة الذين ذكرناهم ، بأن أسلوب كتابته الصحافية — على قوته وتأثيره فى النفوس — كان يخلو تماما من كل زخرف أو حلية لفظية أو مبالغة أو إغراق فى التشبيهات والأوصاف ، أو تقعر فى الألفاظ ، وكان يميل إلى عمق الفهم والقدرة على التحليل ، ومخاطبة العقل والمنطق بدلا من استجداء العاطفة .

فمن مقال صحفى له فى جريدة (مرآة الشرق) كتبه سنة ١٨٧٩ — أى قبل الثورة العرابية بثلاثة أعوام — تراه يقول : (هذا سر ما نراه فى هذه الأيام من الفتنة والحوادث العظيمة الناشئة عن حركة الخواطر فى البلاد الواقعة تحت رق الاستعباد ، فلا يحسب الناظر إليها ، المتهيب منها ، أنها ناتجة من فساد الأخلاق ورداءة الطباع وسفالة النفوس ، مستدلا على ذلك بما يرتكبه أهلها من المنكرات كالقتل بالاغتيال ، والأسر بالاحتيال ، كلا ! وإنما هى نتيجة استبداد الأمراء ، وعسف الرؤساء ، وظلم الزعماء ، فإن هذه القواسر تنصب على قوة الحرية الكامنة فى صدمة الأفراد ، فيحصل لها الضغط ، فتندفع من بعده ، فتخرج بشدة اندفاعها عن مركزها الطبيعى ، وتفضى بصاحبها إلى الإفراط . وبناء عليه فما القتل وما الأسر وما الفتنة وما الثورات إلا نتائج الاستبداد المترتبة عليه لزوما ووجوبا . .) .

ويجرنا الحديث عن سهولة الألفاظ فى لغة الصحافة فى القرن الماضى ، لدى مدرسة جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، إلى الحديث عن التقعر والتشدق والإغراب فى اختيار الألفاظ عند بعض الكتاب ، حتى من الشيخ محمد عبده نفسه ، والسيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ومحررها ، فقد كان الشيخ الإمام ، فى أول أمره وبداية عهده بالصحافة ، محررا بالوقائع المصرية ، يميل إلى الإغراب فى الألفاظ على نحو ما كان يفعل الكتاب المتشدقون ؛ إظهارا للتفاصح والمعرفة باللغة . ولقد تأثر رشيد رضا — وهو

يمثل لغة الصحافة الدينية — بأستاذه وصفيه الشيخ محمد عبده، الذى كان يستعمل أولا ألفاظا غريبة معجمية، مثل: الذبذب لهدب الثوب، والقسطل للغبار، والذملقانى للسريع فى الكلام. والمثفثف بمعنى المتفلسف والمناهدة بمعنى المدافعة، والجهام للسحاب غير الممطر، ثم عدل عن ذلك وآثر الألفاظ السهلة، واللغة البسيطة كما آثر التخلص من السجع ومن المحسنات. .

وبعد الثورة العرابية ببضع سنوات — وبالتحديد سنة ١٨٨٩ — أصدر الشيخ على يوسف صحيفة «المؤيد» فطلعت على الناس بأسلوب جديد فى التحرير الصحفى، وفى لغة الصحافة. وكانت بذلك معلما من معالم الطريق. وامتاز أسلوب على يوسف بقوة الحجاج، والجدل، والتعويل على المنطق والإتيان بالأدلة المقنعة، وأصح المقدمات المفضية إلى أصح النتائج، مع الاعتماد على البساطة والسهولة، والاستشهاد بالواقع المحسوس لا البعيد المتخيل والإتيان بالألفاظ على قدر المعانى فى غير زيادة أو نقصان، فليس هناك مبالغة ولا إغراق ولا حشو ولا نقص ولا إخلال، مع القدرة على النقد النزيه البناء، والإكثار من التكرار؛ لتأكيد المعانى فى نفوس القراء. وهو — على شدته وقسوته فى نقــد خصـومه من رجال الاستعمار والسياسيين — لا يسفّ ولا يتبذل ولا يهبط إلى مستوى العوام.

ولعل إيراد بعض فقرات من مقاله — الذى كتبه تعليقا على حفلة وداع اللورد كرومر التى أقيمت بدار الأوبرا سنة ١٩٠٧ عقب إبعاده عن مصر بسبب أحداث دنشواى يكشف لنا بوضوح عن لغة ذلك الرائد الصحافى العظيم الذى كانت كتاباته تهز العالم كله ما بين مشرق ومغرب، فهو يقول:

« أما الاحتفال نفسه فلم يكن مظاهرة سياسية لإكرام الرجل عند رحيله كما أرادوا، ولكنه انقلب — بما جرى فيه — مظهرا عدائيا من اللورد لم ير الراءون، ولم يرو الراوون مثله فى مقام وداع كهذا المقام. دعنا من كون رئيس الاحتفال — يريد مصطفى فهمى باشا — أخطأ فى أنه لم يكن المتكلم الأول وما عرف حتى الآن أن رئيس احتفال ورئيس وزارة معا يقدم عليه سواه فى الكلام. . ودعنا من كونه خطب بالفرنساوية ولم يجعل للغة البلاد نصيبا من كلامه فى احتفال كهذا. . . ودعنا من زعمه أنه يمثل — مع الحكومة فى موقفه — السواد الأعظم من الأمة المصرية، والسواد الأعظم يخالفه فى الرأى والقول. . .

دعنا من كل هذا، وانظر إلى خطبة اللورد السياسية التى جعلها بمثابة وصيته الأخيرة وخاتمة أعماله فى مصر، فبينا كانت الأمة المصرية واقفة موقف الآمل، منتظرة من ذلك الراحل العظيم، والشيخ الحكيم أن يصلح ما فرط منه نحو الشريعة الإسلامية بما مضى عليها من الجمود الأبدى

ونحو الأمة المصرية بما وصفها به من العقم السرمدى — بينما هى ترجو من جنابه أن يغتنم هذه الفرصة السانحة ليأسو الجراح التى جرحها ، ويضمد الكلوم التى فتحها فى جسمها بما تقدم و بما أراد أن يجعل وطنيتها أعجوبة بين الوطنيات ، وجامعتها كشكولا بين الجامعات . وبينما كان سمو أمير البلاد يتعطف ويتلطف ويبالغ فى إكرام الراحل عند رحيله ، متناسيا الحزازات السياسية التى طالما كان اللورد مهاجما فيها غير عادل ولا متلطف . . . بينما كان هذا ، إذا بركان البيروقراطية — التى نشأ عليها اللورد ومارسها كل حياته ، حتى برز فيها(١) أكثر من كل مبرز فى تواريخ الحكومات المطلقة — قد انفجرت نيرانه ، وقذف بلظاه على الأحياء والأموات » .

وإذا كان « المؤيد » يمثل الصحافة المصرية فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين ، فإن هنالك صحفا ثلاثة فى أوائل القرن العشرين تمثل اتجاهات واضحة فى لغة الصحافة : بالإضافة إلى اتجاهاتها السياسية التى ليست موضوع حديث فى هذا المقام وهذه الصحف هى (الجريدة) التى كان يرأس تحريرها أحمد لطفى السيد ، وقد أنشأها حزب الأمة سنة ١٩٠٧ لتكون لسان حاله : وجريدة « الأخبار » التى أصدرها أمين الرافعى سنة ١٩٢٠ ، وجريدة « البلاغ » التى أصدرها عبد القادر حمزة سنة ١٩٢٣ . لقد امتاز لطفى السيد بلغة سهلة مبسطة مرسلة الأسلوب ، لا تقعر فيها ولا تعقيد وقد حاكاها كثير من الصحافيين فى ذلك العهد ، وعدوها نموذجا للغة الصحافة . ولن أضيع وقتكم بذكر نماذج منها ، ويكفى الرجوع إلى كتاب : «تأملات» و «المنتخبات» التى جمعها صديقنا المجمعى القديم إسماعيل مظهر لنبين ملامح الأسلوب الصحافى عند لطفى السيد . أما أمين الرافعى فقد تميزت لغته الصحافية بما تميزت به لغة لطفى السيد ، ويزيد عليه حرارة الإيمان بالعقيدة التى يدين بها ، وصراحة فى مناقشة خصومه ، ووضوح العرض للموضوع فى مقالاته . وكذلك كان عبد القادر حمزة فى مقالاته فى (الأهالى) أولا . وفى (البلاغ) أخيرا . ويتميز أسلوبه الصحافى بالاعتدال والاتزان والواقعية والجد ، وعفة القلم والتفكير المنطقى ، ونتركه يعبر عن أسلوبه الصحافى بقوله : (لم يجر قلمنا بما يثقل على النفس ، ويستكره فى السمع ، أو ينبو عن الذوق ، لأن غايتنا الإصلاح لا الإيلام وطريقتنا هى الإقناع لا الإقذاع وليس فى أسلوب التناول الذى توخيناه ما يمكن أن يشكو منه أدق الناس إحساسا ، وأرقهم

(١) ويلاحظ فى أسلوب على يوسف طول الجمل عنده طولا ملحوظا ، والبعد ما بين المبتدأ والخبر ، أو الشرط والجواب ، أو بينا الظرفية وجوابها .

شعوراً . . إذ لا جفوة فى العبارة ، ولا عنف فى اللفظ ، ولا إغلاظ فى القول ، ولا شىء غير الموضوع : : :) .

على أن ذكرنا لهذه الصحف الثلاث وهؤلاء الصحافيين الثلاثة لا ينبغى أن ينسينا أسماء كثيرة ، تعد لغتهم نموذجا فى لغة الصحافة المصرية من أمثال العلامة محمد فريد وجدى فى (الدستور) وأحمد حافظ عوض عضو مجمعنا الراحل فى (المنبر) و (كوكب الشرق) ومحمد مسعود فى (المنبر) ، وخليل ثابت فى (المقطم) ، وداود بركات وأنطون الجميل فى (الأهرام) ، وعبد الحميد حمدى فى (المنبر) و (السفور) ، ود . محمد حسين هيكل فى (السياسة) و (السياسية الأسبوعية) وإبراهيم المازنى فى (الاسبوع) ، ومحب الدين الخطيب فى (الفتح) ، وعباس العقاد فى (البلاغ) و (الدستور) ، دياب — فى (الجهاد) وغيرها .

على أن ذكرنا لهؤلاء الأعلام فى العقود الأربعة من هذا القرن العشرين لن يصرفنا عن الإشادة بقلم فى الصحافة المصرية ، تميز بأسلوب جديد منفرد ، كان هو المبتدع له ، وحذا حذوه كثيرون من تلاميذه وهو المرحوم — بلدينا من المنصورة — الأستاذ محمد التابعى ، وقد كتب عنه فى الخمسينيات من هذا القرن أحد تلاميذه يصف أسلوبه قائلا : (مدرسة التابعى الصحفية لها أثرها فى تاريخ الصحافة : لقد حرر أسلوب الصحافة الساخرة من الأسجاع والمترادفات ، فهو الذى أدخل اللغة الكاريكاتورية فى الصحافة : بضعة خطوط سريعة تعبر كأنها لوحة فنية رائعة . كلمة واحدة تلتصق بشخصية السياسى وتحوله من رجل وقور إلى مسخرة . لقد كانت لغة الصحافة قبل ذلك أشبه بفساتين السيدات فى الماضى مليئة بالذيول ، فجعل محمد التابعى لغة الصحافة بسيطة . . .) .

ومن تلاميذ مدرسة التابعى فى الأسلوب : الشقيقان مصطفى أمين وعلى أمين — رحمه الله — وإحسان عبد القدوس ، ومحمد حسنين هيكل :

وقد تميزت لغة الصحافة منذ نشأتها ببعض الأساليب التى انفردت بها عن لغة الكتابة حتى لتكاد تنادى على نفسها بأنها لغة الجرائد والمجلات ، وقد تسرب بعضها من اللغة التركية : فقولهم فى تشريف الرجال : (عطو فتلو أفندى حضر تلرى) ، وقولهم فى فى معرض الأخبار والأنباء والنعى والحفلات وغيرها : أنسنا بلقاء الوجيه الأمثل — مات فلان مبكيا عليه من الجميع — استأثرت رحمة الله بالمبكى عليه — على أثر داء لم ينجح فيه نطس الأطباء — فأكل المدعوون **هنيئا وشربوا مريئا — سبق فذكرنا فى عدد**

فائت — كنا أول من أذاع هذا الخبر — سيدنا فهرست الكمال . وعنوان الحلال (وصفا لجمال الدين الأفغانى) — البقية تأتى — سابق للاحق (إذا كان للمقال بقية ستأتى) .

ومن العبارات التى تدخل فى روع القراء توثيق الأخبار ، وأنها لا يرقى إليها الشك ، قولهم فى لغة الصحافة : علمنا من المصادر العليمة — ومن دوائر الحل والربط — وممن بيدهم مقاليد الأمور . وقد يكون محرر الخبر أو مخبر الجريدة نقله عن ساعى أحد الوزراء ، أو تلقفه من موظف صغير جدا فى الوزارة — وقد وفق الصحافى البارع فكرى أباظة رحمه الله إلى إلغاء هذه العبارات من قاموس لغة الصحافة ، واستعاض عنها بقوله أخبرتنا جاسوستنا الحسناء . . . والمؤدى فى الحالين واحد ... وهو أنه ليست هناك مصادر عليمة ولا دوائر الحل والربط ، ولا حتى جاسوسة حسناء ... ولكنه اجتهاد من الصحفى المحتال لتلقف الأخبار وتصيدها من الأفواه .

ولم تقف اللغة جامدة أمام تطور الصحافة وظهور أنواعها ، من صحافة سياسية ، وصحافة علمية وصحافة أدبية ، وصحافة دينية ، وصحافة فكاهية نقدية ... فتطورت اللغة فى هذه الأنواع الصحفية حتى تلائم أهدافها ، وتوافق أغراضها .... وتحولت لغة النقاش والحوار والجدل السياسى إلى لغة خاصة فى الصحف والمجلات السياسية والحزبية ، كالذى حدث بين صحف اللواء ، والمؤيد ، والجريدة ، والأهالى والبلاغ والسياسة التى أصدرها حزب الأحرار الدستوريين . كما تحولت اللغة فى مجلات « المقتطف » و «الهلال » ، « والعربى » ، التى رأس تحريرها المرحوم د. أحمد زكى — عضو مجمعنا الراحل — إلى لغة العلم التى كان يكتب بها أمثال د . يعقوب صروف ، و د . حسن كمال ، وفؤاد صروف ، وعاطف البرقوقى وكذلك تحولت اللغة — فى مجلات (الهلال) و (رعمسيس) و (البيان) لعبدالرحمن البرقوقى و (الرسالة) لأحمد حسن الزيات ، عضو مجمعنا الراحل ، و (الثقافة) لأحمد أمين أمين ، عضو مجمعنا الراحل ، و (الجديد) لمحمد حسن نائل المرصفى ، و (الزهور) لأنطون الجميل ، عضو مجمعنا الراحل — إلى لغة الأدب التى يميزها التأنق ، وحسن السبك ، وصحة العبارة ، والترسل ، والوضوح والنقاء . كما ظهرت فى مجلة (المنار) الدينية ومجلة (الأزهر) لغة تعبر عن أغراض الدين وحكمته وآفاقه الإنسانية ببيان عال ، وأسلوب مشرق تجلى فى مقالات : رشيد رضا ، ومحمد فريد وجدى ، وغيرهما .

أما صحف الفكاهة والنقد والسخرية فقد ظهرت فيها لغة خاصة متميزة تعبر عن هذه المعانى أصدق وأحلى تعبير . وقد ظهرت فى هذا الميدان أسماء لامعة ، كان الجمهور يقبل على قراءتها ، ويتلقى نتاجها بشغف

عظيم من أمثال سليم سركيس صاحب مجلة «سركيس» الذائعة الصيت ، وحسين شفيق المصرى الذى كان فيه اقتدار عظيم على الجمع بين لغة الجد ولغة الهزل ، فلا تحس أن هذا الكاتب الهازل هو ذلك الكاتب الجاد ، وسليمان فوزى صاحب الكشكول وهو أستاذ فى هذا الباب . وزميلنا المجمعى الراحل إبراهيم عبد القادر المازنى الذى ارتفع أسلوبه النقدى اللاذع إلى كفة تدانى لغة البلغاء من كتاب العصر العباسى :

ولم تعش الصحافة بمعزل عن اللغة ، ولا عاشت اللغة بمعزل عنها ، فقد كان من الصحافيين من يناصر اللغة ويدعو لها فى تحمس كبير ، ويجعلها من مقومات الذاتية للأمم كما رأينا من قبل عند عبد الله نديم فى مقاله : (إضاعة اللغة تسليم للذات) الذى كتبه قبيل الثورة العرابية . وكان من رجال الصحافة اللغويين من رصد قلمه ، ووقف نشاطه على تصحيح الأوهام والأخطاء اللغوية التى يقع فيها الصحفيون والكتاب ، من أمثال إبراهيم اليازجى ، وأسعد داغر ، ونجيب شاهين ، والأب أنستاس الكرملى – عضو مجمعنا الراحل – وقد تمخضت هذه التصويبات اللغوية عن كتاب (لغة الجرائد) لإبراهيم اليازجى ، و (تذكرة الكاتب) لأسعد داغر : ووجدنا فى هذا الباب اهتماما أكثر من اللغويين بلغة الصحافة خاصة واللغة العربية عامة ، فقام العلامة اليازجى بإنشاء مجلة الطبيب فى الشام ، والبيان والضياء فى مصر ، وكاد يجعل تلك المجلات وقفا على الدراسات اللغوية . كما قام الأب أنستاس الكرملى بإصدار مجلة (لغة العرب) التى كان لها فضل أى فضل فى خدمة اللغة العربية .

بقى أن نشير – ونحن فى معرض الحديث عن لغة الصحافة – إلى ظهور تعبيرات وألفاظ خاصة فى زماننا هذا يراد بها تجنب استعمال الألفاظ اللغوية الأصليه للمعانى ووضع تعبيرات تكون أخف وقعا على مسامع الجماهير والقراء ، مع أنها تدل على المعانى الأصلية بطريقة ملطفة ومخففة : وقد تكون تلك العبارات من وضع الجهات المسؤولة أو من إيحاءاتها ، كما قد تكون من وضع الصحافة نفسها : وذلك مثل : (تحريك الأسعار) ويقصدون زيادتها ، و (الرأى الآخر) ويقصدون المعارضة ، و (المتحفظ عليهم) ويقصدون المقبوض عليهم و (النكسة) ويقصدون الهزيمة ، و (السلبيات) ويقصدون الأخطاء ، و (التجاوزات) ويقصدون الجرائم ، و (ترشيد الاستهلاك) ويقصدون نقصه وتقليله و (الدعم) ويقصدون الإعانة . وهذا باب من البيان الذى لا يخفى على حس المواطنين وفطنتهم ...

سادتى :

أخشى أن يكون تيار الصحافة — وهى بحـر متلاطم ، بل محيط لا ساحل له — قـد جرفنى بما فاتنى معه تقدير الوقت ؛ وبما أحاذر أن أكون أطلت عليكم فأمللتكم .

ولهذا أبادر إلى الختام إشفاقا عليكم ، وحرصا على وقتكم ... ولكن لابد من فكاهة تتصل بموضوع اللغة ، مادمنا فى معرض المحاضرة عن لغة الصحافة .وندع الصحافى الفكه ، الساخر ، الخفيف الظل : فكرى أباظة يقول فى مذكراته الرشيقة :

« كتبت عن رجل كبير ، فقلت إنه يزحف نحو المجد ، ونحو القمة بسرعة ... فطلبنى بالتلفون ، وكلمنى ثائرا غاضبا من كلمة (يزحف) قائلا : أترانى طفلا صغيرا ؟ وهل هذا يليق ؟ قلت له بكل هدوء : سل أحد اللغويين عن معنى «يزْحَف» فى هذه العبارة . وكلمنى من فضلك بعد خمس دقائق ؟ وبعد خمس دقائق كلمنى قائلا : شكرا يافكرى ! اللغويين بيقولوا إن يزحف دى كويسة » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع

الصدفات والغواص

للأستاذ جمال محمد أحمد

أكثرنا عالج قضية اللغة العربية في الصحافة اليومية ، وقتا ما من أيام حياته ، بعضنا كتب الكتب ، والعهد غير بعيد بالمرحوم عبداللطيف حمزة . وطيب ونافع هذا ، لنمض فيه ما بلغنا الغاية كلها بعد. لكنى أدعو إلى ؛ أن نعطى قسطا من بالنا للشهريات والفصليات والحوليات : أزعم أن هنا قضية تستأهل الجهد ، على مقدار لغة الصحافة اليومية . أنا أقول أكثر . تكتب هذه الصحف بعربية يستغلق المعنى معها ، وفى بعض الأحايين لا يسلم لك بعض الكاتبين فيها حذقة فى فروع المعرفة التى راحوا لها جامعات أوربا والولايات المتحدة ، وما هم كذلك فى الذى كان من أمر اللغة العربية . يسوقون لنا آراء أهانها الاستعمال ، وأذلها الابتذال بلغة مستفهمة ثرثارة . بعضهم يريد ليأخذ بيدنا للجديد فى العلوم والآداب والفنون، فلا نفلح فى أن نفك طلاسم مايقولون، لا نعرف بأى لحن يحبون أن يرودوا بنا الطريق . لو أردت لمضيت أحصى الذى أقلقنى هذه السنوات العشر التى كثرت عندنا فيها الصحف التى إليها أشير .

قلقى على اللغة العربية، من هذه الشهريات والفصليات والحوليات والأسبوعيات فى الصحف اليومية ، متعددة أسبابه ، وترتبط أحيانا بعضها ببعض. إنها تكتب فى «القضايا العامة» كما يقولون، وللمستنيرين من خواص العوام : هؤلاء على قلة أعدادهم الآن هم الأعلون أصحاب القرار وهيئة المستقبل . كتابات هذه الصحف تمسهم على النحو الذى تمس الصحافة اليومية زيدا وعبيدا ، لا يسألون كثيرا فى خاطرهم أن بيد الخواص، أهل الذكر ، هؤلاء حياتهم الأفضل ، الأقل غلظة، وإن كانوا يتساءلون حين يرون غلوا فى الإطراء أو زلفى للضلال .مثلهم ومثل المستنيرين على زماننا مثل الناس مع الشيخ حافظ القرآن فى زمان مضى ، إليه يطمئنون ويرجعون .

وبديعة تروق العين هذه الصحف . تأخذ بقسط طيب من علوم وفنون الطباعة الحديثة : والتصو والرسم والإخراج ومزج الألوان ،

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٨٣ م) .

ولا ترهق - كثيرا - طائفة الناس التي تصدر لهم خواص العوام ، الجماعة المستنيرة بيننا : هؤلاء لا يثنيهم رهق مالى ، فلكل صحيفة من هذه الصحف ، ممول كفاها كل شئ «يهمها» : حكومة ، جماعة ، واحد من أهل الثراء . الولاة على أيامنا كثر . سبب أخير من أسباب القلق - لا آخر - أذكره : تذيع هذه الصحف ، أن القائمين على شئونها حذقة ، دربوا على وسائل الإغراء في الولايات المتحدة وأوربا ، مثلا يدعون واحدا أو اثنين من أعلام الفكر العربي الذين وجدوا سبيلهم لعقول وقلوب جمهرة الناس والخواص ؛ لأنهم نذروا ذواتهم للفكر سنين - ليتركوهم يكتبون ، وباسمهم تروج هذه الصحف . جنب هؤلاء الأعلام أقلام لا تفيد الفكر العربي كثيرا ، يحسنون اللغة العربية . بعض هذه الكتابات تهجر كلاما غير بعيد أن يوحى لقارئه - إن كان ممن لا يحذرون - أن العربية عسرة . إنه أمام «قضايا عامة» كما قال له الدعاة لهذه الصحف ، وما كان ينبغي لها أن تستعصى عليه وهو الذى يحياها ويعرف أطرافا منها لو لم تكن هذه اللغة العسيرة العاجزة عن عبء الذى يجد في العلوم والآداب كل صباح . ينصرف عنها قانطا للتافه الذى يسليه عن الجد الجهم الذى لا يستطيعه . خطيئة أن يصرف المستنيرون أشباه هذا الذى افترضته عن الفكر الجديد ؛ لأنه يجيئهم مخلوط اللغـة ، قلق المفردات متعثر الأسلوب :

تنفق هذه الصحف جهدا لنعرف قدرا علوم وفنون هذا العصر : نحمد لهم هذا ونثنى عليه ، ونعرف أن علوم وفنون هذا العصر تشققت وأضحت أشطارا ، لكل شطر من الجمع الكثير مفردات جديدة ، تشق على اللغات التي يتكلم بها الناس في أوطان هذه العلوم الجديدة والفنون والآداب ، وكل هذه الأوطان في أوربا الآن بشقيها الشرقي والغربي والولايات المتحدة ، وهي أوطان تعينها الجذور الإغريقية وأحيانا اللاتينية والسلافية ، فلا تلقى مشقة يستحيل عليها أن تعلوها ، تخترع المفردات الجديدة والصياغات والأساليب ، تصور بها العقل الجديد والرؤية الجديدة . نعترف للكاتبين العالميين في هذه الصحف بهذا : لكننا نكره أن يذهبوا المذاهب في تمزيق اللغة : إذن يمزقون عقلنا العربي ، تخذل اللغة الفكر : إن لم نقل لهم هذا بصوت يسمعونه ويتدبرون الذى يقول ، فما هـذه أول مرة يلتقى العقل العربي بالعقول الأخرى تعينه لغته الكثيرة الصدفات : إنا لا نعرف الذى كان يقوله الآخرون عن كتابات شيخنا العطار ومبارك والطهطاوى على قسوة ذاك الذى يكون بين المعاصرين من منافرة ، لكن الذى نراه اليوم - في أضعاف كلامهم حـين نقرأه - أنهم كانوا استجابة بليغة لحاجات في نفوسهم ونفوس الناس ؛ لذا ، ما حاجهم أحد في

رؤيتهم ، لكننا نريد لنحج هداة هذه الأيام ، بالعطف كله والحب :

وهذه والله تبعة . من أجدر بحملها أكثر من أخلاف حفنى ناصف وإخوته هنا ، وأخلاف الأمير أرسلان فى الشام، والكرملى فى العراق ،واليازجى فى لبنان،والسراج فى السودان ؟ هذا اللقاء بين اللغة العربية وعلوم العصر ما عدا أن يكون حلقة فى سلسلة اللقاءات ، بدأت فى القرن الثامن على أيام هارون وشارلمان ،والعربية كفاء لها الآن كما كانت كفاء لها آنذاك ،كل الذى يحيق بنا من قهر وخيبات ، كان قدر منه غير قليل يحيق بالأقدمين وما قعد بهم الذهن الخالق المبدع . بعيد ألا تكون حالنا المقهورة بضعا من حالهم . أجئنا على رعاية الكاتبين العلماء فى أسبوعيات الثقافة فى الصحف اليومية ،فى الشهريات وفى الحوليات؟ ولن نستطيع هذه الرعاية إن لم نأخذ بقسوة بعض ما يتمتمون به ،يغمغمون ، يصرفون المستنيرين عن الجديد فى رأيهم ،بلغتهم التى لا تبين ،ولا يذيعون فى الذى يكتبون مفردات المعاجم التى صدرت عن المجمع .يستحيل على المجمع ـ شأنه شأن أى مجمع فى أى مكان ـ أن يرفد لغة العلوم والآداب والفنون بالذى ينحتون ويشتقون ويجيزون ويترجمون ويعربون ويروحون من بعد يذيعون : لجان المجمع ما خذلت أهدافها . فقط انظر للمعاجم التى صدرت عنه، وقابل الذى تراه فيها بالذى يكتب الكاتبون : لا أعرف واحدا من هؤلاء انتفع كثيرا بالذى جهدتم فى اللجان ـ ياأخى مذكور ـ له ، ولاأعرف واحدا ـ أى واحد ـ أعطى العربية المعاصرة كلمة من صنعه ، ودأب اللغات الحية أن تنمو بأقلام أهلها القادرين ،ولا أعرف واحدا ـ أى واحد ـ أعاد للحياة كلمة غابت زمانا ، حين غاب فكرها الذى فى ثناياها تحمله ، كالذى يصنع كتاب أوربا وكتاب الأمريكتين ، فهم يعيدون للحياة كلمات أنسيها الناس ، بعضهم يخترع المواقف فى رواياته اختراعا ، لا تعبر عنها غير تلكم المفردات ، جديرة بالموقف ، جديرة بحياة ثانية إن كانت قد أنسيت ، أونشأة أولى ، إن كان مما أنشأ الكاتب .

ستذكرون «أنتونى بيرجس» فى «قوى أرضية» حين أقول هذا كم من المفردات يبعث حيا ، وكم من الصيغ اختراعا يخترع ، وكان قريبا من هذا الذى يفعل الروائى بيرجس ، فعل لطفى السيد على أيامه ، ماقنع للعربية أن تعجز عن الآراء القادمة على أيامه ، ترجم كلمة «لبرال» بالحريين ،أبى كلمة الأحرار ، وكانت تجرى على ألسنة الخطباء وأقلام الكاتبين : كان يكتب عن الحريين لا الأحرار ، وما قدر لهذه اللفظة الأصح أن تغالب أختها السارية . وستذكرون كم سعى لطفى ليعيد للعربية قدراتها بأسلوبه الذى كان به يكتب ودعواته المباشرة للغة صحيحة دقيقة يسيرة .

نحن الذين ربينا على رسالة الزيات وثقافة أحمد أمين ، نأسى على الذين فى عمرنا حينذاك . يحارون فى الذى تصدر المطابع من صحف أشتات فى الوجهة، منابعها تتنافر لا تلتقى ، الفكر فيها والرؤى تبعا لهذا ، لا جامعة بينها تجمع العقول والأفئدة . لغاتها كذلك لا تنهل من مورد . لكل صحيفة مورد ، وتقول إنه يتفق والذى تعالج من «قضايا عامة » . لا يحب أحدنا أن يسرف ويقول إن كل فرد من شبابنا هذه الأيام أمة كان للرسالة منحى وأسلوب ، وللثقافة كذلك ، وكانتا مع ذاك تصنعان فكرا فى الوطن العربى متقاربا ، يفهم بعضهم عن بعض . الآن تشتت الفكر ، لا تجد الذى يربط بين الشباب ، إلا حين يلتقون : أطباء ومهندسين وبياطرة ، ويعود الشتات حين يفرغون من حديث المهنة . أمن أجل هذا يارب عزف الأكثرون - ذكاءمنهم - عن الذى فى أسبوعيات وفصليات وحوليات زمانهم لنظائرها التى تصدر فى عواصم أوربا ؟ أعرف يقينا أن كثيرين ممن تتيسر لهم فى البيت روايات «دكنز» و«بلزاك» يؤثرونها على الذى يجدون فى هذه الصحف ، إن ألح الآباء على قراءات فى العربية ، يؤثرون الروائع ، المعاصرة ، حديث الأربعاء وثلاثية نجيب والعبقريات .

أنا لا أسوق هذا الذى كان من أمرنا أباهى الذين أتوا بعد الرسالة والثقافة : أسوقه لعل الذكرى تنفع المؤمنين . أذكرنا جماعات صغيرة تذرع الطريق بين «كلية غردون » ، حيث «جامعة الخرطوم» الآن ، على النيل الأزرق ، لمحطة السكة الحديد ، صوب الجنوب حيث هى الآن أميالا من النيل بعيدة ، نرقب قطار الشمال ، هناك بجيئنا بالرسالة والثقافة والبلاغ والجهاد . يحمل طرودها «زكى بطليموس» على عربة نتابعها معه . يصل بها حانوته فى المحطة الوسطى أميالا أخرى من محطة السكة الحديد وسط المدينة حيث يلتقى عندها ، ترام أم درمان من غرب النيل الأبيض بترام الخرطوم بحرى ، صوب الشمال من النيل الأزرق ، وكان بطليموس رجل خير ، نكاد من فرط خيره أن نراه جميلا رغم بطنه الأنجل[1] وعنقه الأسطع[2] وقصره . تكاد تخفيه عنا ما فى دكانه من حلاوة وتبغ ودخان ؛ لا يلح على واحد منا إن لم يكن يملك ذلك اليوم ثمن كل الذى يريده . وما كان فى هذه الصحف ما يجهدنا ، حتى تلكم اللغة الدقيقة التى كان يكتب بها عبد القادر حمزة فى مواضيع عصية كقاعدة الذهب التى اضطرت إلى هجرها أوربا . ما كنا ننشد البلاغة عنده ، كما ننشدها عند دياب فى جهاده ، وعند الزيات ، الذى كان بعضنا يحفظ بعض افتتاحيته ، كتلك التى كتب عن تركيا أتاتورك أو التى كتب عن ابنه رجاء . ما كان ينشد أحدنا هذا عند عبد القادر حمزة ، لكنه كان يقرأ عموديه مترسلا مأخوذا بمنطقه ،

(١) الأنجل : عظيم البطن .

(٢) الأسطع : طويل العنق .

لا تفقه الكثير منه ، إنه خارج تجاربك ، لكنه يمضى بك ، لا يضجرك بعلمه الأوفر :

لن تجد مكانا لصحف هذا الزمان فى قلوب أبناء هذا الزمان، وهى قلوب وعقول أكثر علما ودراية من عقولنا ذاك الزمان، فى أعمارهم الآن . يشفع لها كما قلت أنها تريد لتأخذ بيد العقل العربى للجديد الآن فى موكب الحضارة البشرية ، كما فعل الأولون أول القرن ووسطه ، كما فعل العطار فى الأول وطه فى الوسط ، بعبارة أوضح ، أزعم أنهم لا يحققون كثيرا مما يريدون ، لا أغالى ، إذا قلت : إنهم فى بعض الأحيان يؤذون .

هذه دعوى عريضة ، سأسوق بيناتها من نماذج عكفت عليها أسبوعى الماضى حين تسلمت دعوة أخى وأخيكم المهدى ، أميننا العام، ولن تكون بالطبع غير نماذج تشير للذى أدعو إلى أن نبين جزعنا منها، نبحث عن سبيل أرشد من هذه السبيل التى يطرق الكاتبون العلماء الآن فقط . أكبر من اللوم يقع عليهم . ما عندى كثير . ما آخذه على الشباب أنهم يلهثون وراء المعرفة ، كالذى لهثنا نحن فى الخرطوم زمان قطر الشمال : يأتون الآن جماعات من مدن السودان الصغيرة وقراها ، يرجون المجلس القومى للآداب والفنون أن يعينهم على إنشاء المكتبات فى أنديتهم ، وعلى إرسال من يحدثهم فى الآداب والفنون من أساتذة وكتاب ، ويقول لى إخوتى ، إن هذه هى عين حال الشباب عندهم ، لا تختلف .

لن تكون كثيرة نماذجى التى أختار ؛ سيحدها جهلى بالقضايا التى تتصل بالجديد المذهل فى العلوم . تخرج بشرا من نوع فى زجاجة ، وآخر سويا من أنبوبة ، وورود بواسل الرجال والنساء السموات ، تهز إيماننا بالذى عرف عن السبع الطباق . يسعى بعضنا يريد ليبقى علينا ذلك الإيمان هذه وغيرها — من شئون الجديد — جوف الجديد ، لن تمسها نماذجى . تمس نماذجى الإنسانيات ، كما يعبرون هذه السنين ، يترجمون كلمة ما فى تاريخ فكرنا بما يقابلها من جذور فى تاريخ نشأتها ، بمظهرها الحديث ، يحسبونها تتصل بالإنسان وما هى كذلك . واحدة من التعابير التى يحب الواحد للخواص — الذين يتصدون لتاريخ فكرنا وفكر أوربا — أن يعوا أنهما تاريخان لا يلتقيان فى كثير . لكل شريعة وقصد ، وللغة التى تعبر عنهما مذاق ونحو وتاريخ .

الحديث الجديد عن الجديد يدور عن قضايا :

١ — الاستشراق .
٢ — التكنولوجيا .
٣ — السياسة .
٤ — التراث والأصالة .
٥ — التطور والإنسان .

وهذه مختارات رابطتها الواثقة فى ذهنى أنى رأيتها مرات قبل أن أعزم أن أدير الحديث حولها . وأراها الآن مرصودة فى

مفكرتى كلما انعمت فيها النظر : ما كنت غاليا حين زعمت لنفسى، ثم لأصفيائى من بعد، أن اللغة تحمل القضايا مخلوطة شائهة لا تصلنا. نحن الذين نرقبها والأنفاس منا برقاب بعضها ممسكة لأن لغتها شائهة.

الاستشراق هذه الأيام موضع حوار، ولا أظنه يستعصى على كثيرين معناه، لكن واحدا من الكاتبين العلماء أخذ على نفسه أن يعلمنا فكتب بحثا طوله ١٢٠٠٠ كلمة وأوصانا بخمسة عشر كتابا فى الفرنسية والإنجليزية، أعانته على عوننا فى حديث «عصب الاستشراق» قال فى بدئه إنه سيرينا «صورة أدق للاستشراق» فتبعناه، لنعلم مالم نكن نعلم، قال: «ليس الاستشراق إلا عملية توزيع لإدراك سياسى جيد على نصوص فنية، أكاديمية، اقتصادية، فوسيولوجية، تاريخية أو نحوية. فالاستشراق تفصيل لا نهاية له، لا للتمييز المبدئى الثنائى: غرب، شرق، فحسب بل لسلسلة من المصالح...» أنا أعرف ياسادتى أنا أمام جذ، لكنى عاجز عن أن أقاوم تذكيركم بالتوحيدى يصور لأهل زمانه الصاحب بن عباد يتفيقه — صورة تحاور المتصوفة: روى عنه قال: «ورأيته يناظر أبا الفرج البغدادى الصوفى وكان فى أذنه وقر من وساوس الصوفية وخطراتهم فقال له: ياأبا الفرج إذا كانت البينونة مشعورا بها فى عرصة الحق حيث لا عبارة للخلق، ولا أمان للجلى والدق، بطنت وسائل المعرفة بحقائق المراد، واشتبهت أعلام الحال فى تثبيت الإشارة وبقيت العبارة على ألف الألف وعادة المتألف، فأجابه أبو الفرج: لا ثبات لمناسب البينونة نهايات الاتحاد لزوال شرائط رسوم الخلق عند تصافى الأرواح بحقائق الحق، قال ابن عباد: ما أنكر تلاشى المناسب فى نهايات الاتحاد إذا سطعت أنوار الحقيقة بالاتقاد وإنما جررت الكلام إلى غاية تزلق فيها الأفهام ولولا الحال التى امتحننى الحق بها، وسحبنى على غرائبها وعجائبها فى عرض صوادقها وكواذبها مما هو مردود إليه، ومتوكل فيه عليه لشققت معك جلباب صدر قد حشى ودائع، وفتحت لك أبواب خزائن قد جمعت فيها بدائع، ولكنى بما ترانى أذبذب عليه مأخوذ، وبما تسمعنى أدندن حوله مجذوذ وإلى الله المشتكى فهو الغاية والمنتهى».

عفوكم سادتى، ما أطلت لأنكم لم تقفوا عند هذه الصورة فى الإمتاع والمؤانسة، لكنى ما عرفت أن أقف حتى أتيت للملاذ الأول. لذت به. هو «الغاية والمنتهى» ولا أحب لنا أن ننسى هذه الصورة فهى جديرة بالذى نقلت عن حديث «عصب الاستشراق» وبالذى سأقف عنده فى الأحاديث الأخر.

والتكنولوجيا كالاستشراق تحظى بعناية تستحقها بالطبع، وأحب لنا أن نقف عند «دراسة قدمت لمؤتمر غرف التجارة والزراعة والصناعة للبلاد العربية» قبل سنتين.

تتحدث الدراسة عن « نقل التكنولوجيا فى الوطن العربى: مفهومه ومشاكله وتوجيهه » وما عندى شك فى أن صاحب الدراسة يعرف الذى درسه فى معاهد أوربا والولايات المتحدة ، ولايعرف الطريق للعقول والقلوب التى يريد لهـا أن تنتفع بعلمه وتعمل به فتجد نفسها بعدقليل مع الحديد —جوف الحديد —فى موكب الحضارة البشرية . كتب نحو ٧٠٠٠ كلمة ، ورسم أربعة عشرة جدولا ، ورسم كثيرا ، وأتانا بجداول أرقام كثيرة .

وأوصانا بكتب نقرؤها ، اختلط على حسابها . ما فى وسعك أن تحصيها للخلط بينها وبين غيرها من هذه الجداول وأرقامها والرسوم . تلك عقبة أخرى فى العوائق بين العلماء الكاتبين من المحدثين. ونحن بصدد وسيلتهم إلينا ، بصدد اللغة ، مفرداتها وأسلوبها ، يبدؤنا الدارس لهذه القضية التى قلت من حقها أن تشغل البال ، يقول :

« على الرغم من أن آدم سميث وضع فى القرن الثامن عشر تصورا ديناميكيا لدور التكنولوجيا فى إحداث التطور التقنى فما زال العديد من المشتغلين بهذه القضية ينظرون لأمر نقل التكنولوجيا ، كما يجرى اليوم، باعتباره سلعة مقايضة عادية، ضمن فسيفساء السلع العديدة التى تتحرك بها التجارة الدولية ويحكمها تفسير الاقتصاديين السويديين (هكشر — أو هليه) لمبدأ الأفضلية النسبية وهو مبدأ أرسى قواعده، بعد آدم سميث ، الاقتصادى الإنجليزى ريكاردو فى القرن التاسع عشر . وتبقى هذه النظرة الاقتصادية سائدة رغم تقلص نسب التعادل فى عمليات نقل التكنولوجيا واتجاه الموردين إلى بيع الدراية الفنية إلى أن توصل المرامى البعيدة من عملية النقل بأهداف المدى القريب » .

عفوكم ثانية . نقلت فقرة كاملة من مدخل الحديث ، وقرأت الفقرة على مهل ، ما وقفت عند «لا تقربوا الصلاة» ، أتممت ، ما أعجلتكم عن الذى قال الكاتب العالم . ربما فقه أحدكم مالم أفقهه ، والله لا أقول هذا تواضعا ، ما عندى ما أتواضع له فى ، وسعى أن أمضى فى حديث الكاتب عن « مشاكل نقل التكنولوجيا » . لن يفقه عنه حتى العارفون . نسمع من حين لحين أن أهل المهنة الواحدة والحرفة لا يكتبون للناس كلهم ، يكتبون لبعض ، وأخاف ألا يكون صحيحا حين نسعى لنطبق هذه الفكرة الأوربية على أهل المهنة الواحدة عندنا والحرفة . يحدثنا صاحب هذه الدراسة ، ويحدث بالطبع من يعرفون، وأخاف ألا يصل لغاية من هاتين الغايتين ، يقـــول عن مفهوم النمو الاقتصادى ومعنى التنمية المرتكزة على التكنولوجيا » :

« كانت الفلسفة الاقتصادية السائدة ومازالت فى بعض الدوائر ، تنظر إلى قضية التنمية باعتبارها عملية انتشار وتكوين

تم من خلال ادخار من الدخل القومى المنتج على هيئة تكوين رأس المال الثابت مع زيادة فى المخزون وفى فائض ميزان التجارة الخارجية، يؤدى بدوره إلى زيادة الناتج المحلى الإجمالى فى المستقبل . وجاء « شومبتر » يصحح هذا المفهوم ، وقال : إن مثل هذا الاكتناز يشكل نموا اقتصاديا وليس تنمية ، وإن إحداث مثل هذه التنيمة يتطلب زيادة فى الكفاءة الإنتاجية .

لن أكمل الفقرة ، لأحسب أنها تزيدك علما عن النمو الاقتصادى . وسائر الفقرات من هذا النهج . ثرثار عقيم، حتى حين يعفيك من مفرداته الأوربية التى يحسب أنهـا تشرح كلامه . إن التكنولوجيا ليست سلعة قابلة للتبادل ؛ إذ هى قبل أى شئ آخر علم وخبرة فى فنون الإنتاج الصناعى والزراعى الحديث، من هنا يأتى الالتباس فى أذهان الكثيرين بأن التكنولوجيا فى الجوهر نشاط علمى تنظيمى ، ينقل المجتمع من أساليب إنتاج تقليدى إلى أساليب إنتاج حديثه ولا أهمية هنا للشكل الخارجى القانونى لهذا النشاط من ناحية النظام السياسى الحضارى به فى المجتمع ، فسواء كان هذ النظام رأسماليا أم اشتراكيا أم مبنيا على قيم التراث الخصوصية ، فالمهم هو جوهر الممارسة من ناحية تكريسها فى أمور العلم والتنظيم الحديثة . هذا كاتب آخر فى الاقتصاد لا يرهقك بمفردات وعبارات أوربية تقفز لعينك فى كل سطر ، لكنه لا يكاد يقترب من الوضوح الذى عالج به الأمر «بهاء الدين» قبل أسابيع مضـــت فى أربعة أو خمسة من أعمدته فى الأهرام . أقعد صاحبنا ذلك هزال الفكرة فى ذهنه . أعان «بهاء الدين» ذهنه الأصفى . راح للبحر صاحبنا ما سأل الغواص عن صدفاته .

وحاذر أخى أن تظن الكتاب فى هذه الأسبوعيات ــ التى أدير الحديث حول الذى تكتب ــ والشهريات والفصليات لا يحتاجون دفعنا إياهم دفعا أن يروحوا إلى البحر يسألون الغواص عن صدفاته فى شئون التاريخ والسياسة ، لأنا من سادة هذا الفرع من فروع المعرفة والزمان طفل ، لا نحتاج إلا أن نبعث بعض مفرداتنا فى هذه الشئون وبعض التعابير من ناحية وإلا فوقفات دقيقات عند الذى ينشئه الأوربيون هذه الأيام منها ، بعضها لا كلها ، بعضها ذاك الذى يجمعنا وإياهم فى الأصول البشرية القديمة لا الذى يتصل بتاريخهم . نقف عندهم ونتخذه غذاء لعقلنا العربى يوقظه من خَدَرِه . وخدْره ، لا أعتذر حين أقول ثانية بين تاريخنا وتاريخهم خلاف ، تنمو لغاتهم ، تلتى الجديد عليها ، على نحو لا يصلح دائما لنا، نأخذه غير ناقدين إياه لأنه يمتع ذهننا وهو غير ذهنهم . اللهم لا بغضاء ولا حقد . جهد منا لنكون نحن نحن ، ننمو على نسق . نبدعه نحن من قديمنا إن تيسر ، ومن

جديدنا إذ كدحنا أكثر وانتفعنا بالذى نملك من مواهب . ما كنت لأقول هذه الأوليات لو لم تكن هذه الأقلام الكدودة الخبرة تقول لنا فى الذى تقول أشباه ما قال صاحب، له فى قلبى مكان . يقول فى حديث له أسماه « احتجاب مصر وإطلالة على المستقبل »، وهو مصرى على اسم مصر حريص ، يقول : لقد اجتمعت النزعة (الأيدولوجية) من جميع الأشكال فى عصرنا الحديث على تزييف وتشويه وضع مشكلتنا القومية ؛ فمنذ الجزء الأخير من القرن التاسع كان ينظر دائما إلى وضع مشكلة العرب فى التاريخ فى ضوء الديالكتيك بين مختلف الحضارات فى الشرق والغرب . وقد كان ذلك هو معنى الحملة المضادة للصليبيين بعشرة قرون لمملكة القدس التى أنشئت فى قلب المشرق العربى ، لمنع أى إمكانية لتوحيد أراضيه حول مصر فى عهد صلاح الدين ، وقد كان ذلك ولا يزال هو معنى الاستعمار والإمبريالية التقليدية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذا قبل كل شىء هو معنى الإمبريالية الصهيونية العنصرية والتوسعية والعسكرية فى منطقتنا وفى أيامنا هذه ، ويمكن القول بالطبع أن « الامبريالية » — باعتبارها مقومة نظرية — ترتبط بالتجارب الحياتية لمجتمعات دول مثل فيتنام وموزمبيق وشيلى والبرازيل ، بطريقة مماثلة . وهى ترتبط دون شك وفى كثير من النواحى ، ولكن فى إطار نظرى بحت ، المهم هو قراءة تاريخ تحول العالم منذ نزوع الغرب إلى السيطرة فى القرن الخامس عشر إلى إيامنا هذه بالأبعاد العامة والواسعة لهذا التحول ، ومن ثم يصبح من الأيسر ، دون شك فهم وإدراك دلالة المنطقة الحضارية العربية الإسلامية فى ديالكتيك الحضارات ، باعتبارها عملية ديالكتية مستمرة ذات أبعاد تاريخية وشاملة ، وقد تكون صاحبة التأثير التشكيلى الأقوى فى تركيب ميزان القوى فى المدى الطويل لعصرنا الحديث .

سيدى ، نقلت لك فقرة كاملة لترى معى أن التوحيدى حين أغلظ على ابن عباد، لو بعث حيا اليوم، لما احتاج أن يجهد قلمه، يخترع تلكم العبارة التى أتينا عليها قبل حين . ولست معنيا بتهافت الفكرة . نقرأ تاريخ تحول العالم من القرن الخامس عشر إلى يومنا هذا لندرك ونفهم دلالة المنطقة الحضارية فى ديالكتات الحضارات بعد أن قرأنا نحو ٨٠٠٠ كلمة فى بحثه الذى استند على ١٢ مصدراً يعرفنا بها تعريفا كلما وقف عند واحد منها ، وبعضها من تصنيفه هو بالعربية أحيانا وبالإنجليزية أحيانا أخرى وبالفرنسية أحيانا ثالثة .

دعنى وأنا بصدد الكتابة باللغات الأوروبية أقول لك إن صاحب الحديث عن احتجاب مصر كتبه بإنجليزية تنافس هذه العربية .

أنا عاشرت هذه اللغة سنين وجدتني لا أفقه الذي يريد صديقي الطيب بهذه العبارة : إني أذن غير فطن . إن كنت ذاك ، فأين الفطن الذي يفهم عن صديقي مساق فكرة تحمل له مفردات تكاد لا تنطق وصياغة تهتز اهتزاز من به دساتير : « زار » . تلمح بضعا هنا وبضعا هناك بعد ثانية . ولا تلقى الأشطار . تراها وحدة تنبئ .

وقبل أن أروح أضع بين يديك نماذجي الأخر التي وعدت ، أحب لنا أن نقف لحظة مع الترجمة ، لأن بعض هذه الصحف أوقفت نفسها عليها . عرفت بحق أنا كغيرنا من الناس ، نحتاجها كل عصر ودهر نطل بها على الآخرين ، كما أطلت من قبل أيامنا الزهر في عهد هارون والمأمون ، وأطلوا علينا ينقلون عنا ابن سينا وابن حزم والفارابي . طيب هذا . طيب أن ينقلوا لنا الذي يرى الآخرون .

لكن تعالوا معي لترجمة في صحيفة من صحف أيامنـــا شرعت منـــذ سنتين تترجم لنـــا ما تختـــار من كتابات في صحف أوربا وأمريكا . سترون معي أن العلماء الكاتبين الذين يترجمون لهذه الصحف لا يعرفون غير ألفاظ مسخوطة في العربية .

وأسوق البينة على ما أقول مرة ثانية ، ولا يعنيني ما يقولون ، وإن كنت أرى أنهم حين يتحدثون إلينا لا يقضون وقتا كافيا يعلمون ، يقرءون صدرا من الكتاب لا الكتاب أجمعه ، لا يعنيني هذا إلا قليلا . تعنيني لغة الترجمة .

أنقل لكم عن حديث عنوانه «تحولات الإسلام في أفريقيا السوداء » كلمة تحولات تبدو هنا بلغة عربية واجفة الأوصال لا تؤدي بالطبع إلا لفكر شبيه بها يكاد ألا يكون له أوصال : «يشكل أتباع الإسلام في الصحارى الجنوبية مليونا من الرعايا في الوقت الحاضر ، (يعني مايو ١٩٨١) أي عشرين مرة أكثر من العربية السعودية [!] إلا أن تلك الكتلة الهائلة من المؤمنين ، الذين من الفئة المتوسطية في القارة ، غالبا ما ينظر إليها — بتعجرف — عقائديون شتى ؛ مستشرقون أو علماء بالإسلاميات وسواد المسلمين في سائر أنحاء العالم . وقد تجد ذاك الاحتقار في نماذج تكونت في العصر الذي كان فيه السود الجنوبيون يشكلون غالبية الطبقة المستعبدة الشرقية والغربية ، وهو يندرج في جملة من الآراء المسبقة الهدف ؛ منها تهميش أفريقيا الجنوب صحراوية » . فقرة كاملة ، لا يعنيني فيها الخلط في الفكر ولا الإبهام في الحقائق .

لا ، سادتى ، لا أحسب أحدا فى هذه الطائفة من الذين يترجمون لنا متهم النصيحة ، لكنى أحسب أنهم عجلون على مكان فى موكب الذكاء العربى ومن يدرى ربما كان بعضهم يريد ليثاب على كلامه هذا بمال مبذول على أيامنا هذه للقادرين وللغاوين ، لا تمييز . لن نحسن صنعا إن سكتنا ، وإن كنت لا أعرف على التحقيق ما الذى نفعل كيلا يحيق بنا سوء الذى يكتب هؤلاء ويترجمون . وأنا لا لاأظلم حين أقول إن الأقلام التى تكتب هذه النماذج ، والعقول التى وراءها ، لا يمكن لها أن تعجزنا بالذى قد تقول عن دراساتها فى المعاهد والجامعات فى أوربا وأمريكا ، هناك ما يحملنا على الظن بأنهم أخذوا من تلك المعاهد والجامعات ما استطاعت أن تعطيه لهم من معارف ، وعادوا يحملونها فى عقولهم وقلوبهم ، يحبون أن يأخذوا بيدنا للجديد فى جوف الجديد ، كما قلت . صرفتهم العجلة اللاهثة ، واحسرتاه ، أن يذكروا أن فى بحر حافظ إبراهيم صدفات تعينهم على حمل هذا الذى يحبون لنا . إن سألوا الغواص عن تلكم الصدفات . أكثرهم ما سأله .

لن أمضى فى هذه النماذج ، أرجو أن أكون سقت الذى يكفى ؛ لأدلل على دعواى ، لكنى أختم حديثى بظاهرة ، أضعها جنب هذه الظواهر التى إليها أشير ، لتعمل الذى نستطيع كيلا تذيع بيننا ، فتفسد الجهود المتأنية التى ينفقها المنذورون أنفسهم للغة .

الظاهرة التى أراها ، وأدعو إلى أن نأباها ، هى جهود بعضهم لإصلاح - أو تجديد العربية من خارج فقهها وخارج مناخها وتاريخها . على القربى القريبة بين اللغة الإنجليزية واللغات الأقدم : اللاتينية واليونانية ، يقول لنا واحد من ثقاة دارسيها : « يستحيل على لغة ، أية لغة ؛ أن تنمو نموا ينطق بحاجات أهلها فى زمانهم الذى يحيونه ، إن فرضت على تلك اللغة فرضا ، قدرات لغة أخرى أو لغات وإن كانت أسرة تلك اللغات فاتنة » . يجب أن نصف الإنجليزية بنموها هى من جوفها ، مفرداتها ، صياغة تلك المفردات ، أسلوبها مذاقها ، والإنجليزية لغة كثيرة التعقيد ، ما ينبغى لدارسيها والكاتبين بها أن يجلبوا لها تعقيدات أخرى من اللاتينية ، يرجون أن نراها بعيون تلك اللغة ، وما عيونها هى أقل حدة . تلك عيون لها طرائقها ، وللانجليزية عيون ذات طرائق ، وهى مع هذا لا تنكر أن بينها وبين اللاتينية وغيرها من اللغات مشابهة ، ننسى أكثر الأحيان أنها افتراض لا واقع ، على الدارسين أن يقفوا طويلا عندها ، يكتشفون الصحيح من تلكم الافتراضات والباطل .

إن كان هذا هو الذى بين اللاتينية والإنجليزية ، فما أبعد الذى بين العربية وتلكم اللغات ، وما أجدر الكاتبين فى فقهها وتراكيبها أن يتدبروا أمرهم طويلا قبل أن يكتبوا لنا عن طرائف اللغات الأخرى . أخاف

على علمائنا الكتاب هؤلاء أن تفتنهم الكتابات الأوربية فلا يقرؤنها ضوءا ينير عقولهم، ويعدها لتكون أكثر اقتدارا على العيش مع مع لغتهم الأصل وانتقاعا بأصولها وبالذى خبرته عبر السنين. يحدثنا واحد من هؤلاء حديثا عن «اتهام نظرية شومسكى» ويبدو لى من دعوته الجامعة التى ينتمى إليها أنه يأخذ من المنبع نفسه؛ أى كتب شومسكى وتلامذته المكتوبة بالإنجليزية؛ ذلك لأن فى صفوفها توليديين. وليكن هذا مرامه من بحثه، لكنه مرام بعيد بعداً تاماً. يريد أن يحدثنا عن «النمو التوليدى» فى فقرة من فقراته الأولى، يقول: تشهد بداية عام ١٩٧٧ على ظهور أول كتاب لشومسكى، فى هذه الفترة الزمنية استطاع شومسكى أن يركز قواعد نظرته الألسنية التى أسماها بالنحو التوليدى ».

هذا التركيز قد تم بواسطة نقد ذاتى متواصل لتطوير النظرية حتى تصير علما، فالفرق شاسع بين فكرة استقلال النحو الموجودة بكتاب هياكل نحوية وفكرة وجوب تلاحم المركب المعنوى بالمركب النحوى الموجودة بكتاب مظاهر من النظرية النحوية.

لكن فرضية شومسكى لا يمكن إثبات نجاعتها إلا بعد درس كل اللغات الإنسانية. ولهذا عرفت الألسنية التحويلية بأنها فرضية استنتاجية خلافا لطريقة الهيكلية التى هى استقرائية استنتاجية. وهذه كأخواتها فقرة كاملة لا أعرف إن كان أحدنا أدرك ماذا يريد لتلك الجامعة أن تعمل بشومسكية هذا. لكن أكثرهم يطلبون إلينا الذى لا نستطيع. وإن أحببنا أن نسمع كلامهم. أتذكرون ذاك الذى طلب إلينا أن نقرأ التاريخ البشرى كله بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين لندرك ديالكتيك «احتجاب مصر»؟ صاحبنا هذا أكثر إيمانا بقدراتنا، يطلب إلينا أن نعرف كل اللغات الإنسانية لندخل النحو التوليدى فى جامعاتنا.

جمال محمد أحمد
عضو المجمع المراسل من السودان

التعبير العلمى ولغة العلم

للدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش

خذ مرجعا أو بحثا علميا فى غير تخصصك وأقرأ فيه فقرة أواثنتين ، ثم سل نفسك عما فهمت مما قرأت . فإن كنت لم تفهم بعد ، فارجع البصر إلى الكتاب مرة أخرى وأقرأ ماسبق لك أن قرأت ، لعلك تكون فى هذه الكرة أكثر حظاً منك فى سابقتها . ولكنك على الأرجح سوف تدرك قصورك عن فهم المعنى ؛ كله أو بعضه على الأقل .

ذلك أن العبرة هنا ليست بفهم المفردات من أفعال وأسماء ، على نحو ما جاء ذكره فى المعجمات اللغوية ، وهى ولله الحمد زاخرة بالشرح والتفصيل ، وذكر أبواب النحو والصرف والمصدر والمشتقات وكذلك الجموع إلى غير ذلك ، مما يكفى الناس فى المحادثة والمراسلة ، والتعبير عما يريدون ويشعرون .

إلا أن لغتهم تختلف ، رفعة وضعة وغزارة وقلة ، باختلاف عقولهم وثقافتهم . فالخاصة من أدباء وخطباء وشعراء ، يستخدمون من المفردات والألفاظ أضعاف ماتستخدمه العـامة من بسطاء وجهلاء ، ويتميزون عنهم فى جزالة العبارة وحسن السبك ، ولذا كانت لغة الخاصة غريبة على العامة ، وإن لم تخرج عما ورد بالمعاجم ، لسانا وقلما .

أما أهل المهنة الواحدة والعلماء ، فإنهم فى محيطهم العلمى الزاخر وحياتهم العلمية المتطورة ، كثيراً ما يخرجون اللفظ عن معناه اللغوى الأصيل ، فيستخدمون الفعل مجازا والاسم كناية ، للتعبير عما يدور فى فلكهم من أسباب ومسببات ، ويعن فى خلدهم من أفكار وتصورات ، وما يجرى حولهم من ظواهر وتفاعلات ، وما يحتاجون إليه من عدة ووسيلة ، وآلة ونبيطة ، إلى غير ذلك ، من فعل ورد فعل ، وسكون وحركة ، واتزان وابتكار وتشييد ، وكشف جديد ، من أسرار الكون والحياة ، ما شاء الله أن يعرفوا . ومن ثم نشأت لغة العلم وما إليها من رموز وأشكال ومصطلحات وتعبير علمى .

(*) ألقى البحث فى الجلسة العاشرة من مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين (السبت ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٨٣ م) .

وهى لغة تشترك مع النثر فى بلاغة المعنى ودقة التعبير ، وتترك له بلاغة المبنى وسحر البيان . إذ أنها لغة المختصر المفيد والسهل الممتنع ، فى وضوح وصراحة ، وأمانة ودقة . كما أنها تشترك مع الشعر فى التناسق والخيال ، وتختلف عنه فى البعد عن المبالغة والغواية ، وفى الاستمساك بالحقيقة وواقع الأمور . ولعل أكبر اختلاف بين لغة الأدب ولغة العلم يتمثل فى أن الأولى أكثر وطنية وقومية وتعلقا بالتراث ، فى حين أن لغة العلم أقرب إلى الدولية والعالمية ، فهى لا تعرف الحدود الجغرافية ، ولا تعترف بالأصول وقدسية القديم ، بل تعيش فى تطور مستمر ، وفقا لما تكشف عنه البحوث من أسرار ، وماتجود به القريحة من تجديد وابتكار . ولذا كانت كنوز الأدب فى إحياء القديم ، وثروة العلم فى الكشف عن الجديد .

وإن شئت فقل إن الأدب غواص يطلب اللآلىء من الأصداف ، أما العلم فبناء يصنع الدر بإذن الله . أو أن الأديب ناسك يقدس خلق الله ، ويعبده بصلاته ونسكه ، أما العالم فيعبد الله بالبحث عن الحقيقة والاختراع ، وإتقان العمل والإبداع مؤمنا بأن إبراز قدرة المخلوق برهان على قدرة الخالق . وما الفرق بين الأديب والعالم . إلا كالفرق بين الصمت وبين الكلام ، أو بين السكون وبين الحركة ، وكل ميسر لما خلق له .

وإنك لترى الأديب فى أدبه سائرا بظهره ، ناظرا إلى الماضى وماقدسلف . وترى العالم فى علمه سائرا بصدره ، متطلعا إلى المستقبل وما سوف يخلف . ولذلك كانت المعاجم اللغوية جامدة ، ترجع فى فحواها إلى ما سبق ، وفى فقهها إلى الأوائل .

أما المعاجم العلمية ففى زيادة مطردة ، تضيف أسماء جديدة لمسميات ومخترعات ، وتقتبس من غيرها من اللغات تعريبا وتوليدا وتزيد من التعبيرات والمصطلحات ، لتفى بالحاجة المتطورة إلى مزيد من الدقة والشرح .

وهى فوق ذلك تستعين بالأشكال إلى جانب الأقوال ، وأبرزما يكون ذلك فى مجال الهندسة ومحيط المهندسين ، وما إليهم من مهنيين وحرفيين . فالرسم هو اللغة الدولية للهندسة وأهمها والشكل الواحد يغنى عن صفحات من الكلام . كما يستعين المهندس بالرموز ، وفى ذلك إيجاز وإعجاز . ويستخدم الأرقام والأعداد ، فى بيان الأبعاد ، طلبا للتعيين والتحديد فى الكم والمقاس . ولولا كل هذه الوسائل لما أمكن للمهندس أن يعبر . عما يريد فى محيط فكره وعمله . ولو أنه اقتصر على حروف الهجاء والألفاظ ، كما هو الحال فى لغة الأدب ، لأعيته الحيلة ، وسدت أمامه السبل .

ولا يفوتنا ، ونحن فى صـــدد الكلام عن لغـــة العلم والتعبير العلمى ، أن نذكر

أننا نستخدم فى واقعنا لغة عامية ، تقرب أو تبعد عن العربية الصحيحة وفقا لثقافة المتحدث ، ودرجة تمكنه من قواعد النحو والصرف والبيان . وهى لغة منطوقة لا مكتوبة ، وتختلف من بلد إلى بلد . ولذا فإننا نركن ما أمكن إلى العربية الصحيحة فى الكتابة بيننا ، وفى التفاهم مع غيرنا من الناطقين بالعربية . وفى ذلك مشقة لا يعرفها أبناء الدول الغربية ، الذين يكادون يتكلمون كما يكتبون بلغة سليمة .

ولاسبيل لنا إلى تخطى هذه العقبة إلا العناية بتدريس العربية فى المدارس ومعاهد التعليم ، والنهوض بما يطبع وينشر ، ويذاع فى الصحافة ووسائل الإعلام ، ولا شك أن انتشار التعليم ورفع مستوى الثقافة كفيلان بالتغلب على هذه الصعوبة حتى تصبح لغة الخطاب هى لغة الكتاب . ثم نرفع هذه اللغة المشتركة بعد ذلك إلى مصاف الفصحى . فيتحد اللسان مع القلم فى البلد الواحد ، ثم فى جميع البلدان الناطقة بالعربية إن شاء الله .

وإلى جانب هذه القضية الأدبية ، تقوم قضية علمية ، تتعلق بالمفردات والمصطلحات وأسلوب التعبير العلمى . فنحن فى نهضتنا أحوج إلى مواكبة الغرب فى علمه الحديث ، لنستقى منه حتى نضاهيه ، ثم بعد ذلك نعطيه . وليس أدل على ذلك من البعثات العلمية ، التى توفد إلى الخارج لتستزيد ، وتتمرس على البحث وتفيد ، ثم تعود ناقلة إلينا الطريف والجديد . ولا جناح علينا فى ذلك ، فهذا ما حدث وما يحدث بين البلاد الغربية ، بل وبين الجامعات والمصانع فى البلد الواحد والبلدان المختلفة . ولكن الصعوبة التى تعترضنا هى نقل هذه المصطلحات إلى اللغة العربية .

وهى صعوبة لا تعن للدول الغربية ، لأنها سايرت موكب العلم الحديث من بدايته ، ولم تتخلف عن ركبه ، وإنما تفاوتت سرعاتها تبعا لتقدم كل منها فى هذا المضمار . وكان من شأن ذلك ، أن دخلت المصطلحات والتعبيرات العلمية تدريجيا فى اللغات الغربية .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن جميع هذه اللغات ، تمت بصلة إلى اللاتينية ، أدركنا أن صيغة هذه المصطلحات تكاد تتقارب فى جميع تلك البلدان . ذلك أن العلوم جميعا كانت إلى عهد ليس ببعيد تكتب وتدرس باللاتينية فى كل مكان . ثم بدأت حركة الترجمة تباعا فى بلد بعد آخر . ولا تزال آثار اللاتينية باقية فى مواقع كثيرة .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأسماء التى أعطيت للعناصر والمواد ، ثم العدد والآلات ، ومن بعد ذلك للمنتجات ،

ترجع إلى اللاتينية وتتركب منها ، ومن أجل ذلك تقاربت التعبيرات العلمية فى اللغات الحديثة لدرجة كبيرة ، حتى إن البعض لم يجد صعوبة فى فهم مصطلحات البعض الآخر ، على اختلاف لغاتهم ، وانحصرت الصعوبة فى فهم اللغة الأجنبية ذاتها ، من حيث قربها أو بعدها عن لغته الأصلية .

ولكن الأمر يختلف عندنا تماما . فلغتنا أصيلة ، ولا تمت إلى اللاتينية بصلة ما ، بل إنها بالنسبة إلى لغات البلدان المتاخمة مورد ومعين ، كما هى حال اللاتينية بالنسبة إلى اللغات الأوروبية.

فهل ننقل مصطلحاتهم العلمية على علاتها ، ونستخدمها كما هى فى تعبيراتنا العلمية ؛ أو أننا نرجع إلى معانيها ، فنترجمها إلى لغتنا ، ونستخدم هذه الترجمة كبديل للمصطلح الأجنبى ؟ لا جرم أن لكل من الطريقتين ما لها وما عليها .

فإن كانت الأولى ، فلا شك أن الكلمة الأجنبية ستظل غريبة عن بيئتها الجديدة ، ولو عوملت منا معاملة الكلمة العربية نحواً وصرفا ، من حيث الشكل والاشتقاق. ولكن استخدام هذه الكلمات فى كتبنا العلمية سوف يفتح لنا أبواب المراجع الأجنبيه فى شيء من اليسر . أما إذا كانت الثانية ، فسوف لا يكون هناك نشاز فى كتبنا العلمية العربية ، ولكن ورود المراجع الأجنبية سيصبح صعب المنهل علينا ، أو فى شيء من العسر .

والواقع أن تعريب المصطلح العلمى الأجنبى ، فى وقتنا الحاضر ، قد بدأ بالمجهود الفردى ، على أيدى نفر من أهل العلم والأدب ، لسد حاجة الدارس والباحث على السواء .

ولذلك جاءت هذه المحاولات متباينة لاختلاف الأسلوب والدار . فيحمل الشيء الواحد عدة أسماء ، والعمل الواحد جملة تعبيرات ، تستحسن فى مكان ، وتستهجن فى غيره ومنها ما قدر له البقاء ، كما أن منها ما وئد يوم ولد .

وإلى جانب جهود المترجمين والمؤلفين، انتشر العديد من المصطلحات والتعبيرات بين المهنيين والحرفيين فى تعاملهم مع الجاليات الأجنبية ومع زملائهم من الأجانب المستوطنين .ولاتزال آثار هذه المحاولات المعربة والمحرفة ، باقية إلى الآن متوطدة الأركان، بين الصانع والتاجر، وبين المهندس والعامل ،وسارية على ألسنة غيرهم من الناس .

ولقد قام لفيف من الناشرين وبعض الهيئات بجمع هذا الشتات فى معجمات ، كما ضمنها البعض قواميس اللغة ،فى مصر وغيرها من البلدان الناطقة بالعربية . وأصاب بعض هذه الجهود نجاحا ورواجا ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « معجم

المصطلحات الطبية » للدكتور محمد شرف رحمه الله ، « ومعجم المصطلحات الفنية » الذى تبنت فكرته القوات المسلحة ، والذى عكف على إخراجه نخبة من المهندسين ونفر من العلميين ، نذكر منهم الأستاذ مصطفى نظيف رحمه الله .

ثم بدا لنا أن ترك الأمر للجهود المبعثرة ، فيه عبث باللغة وضرر بالعلم لا يحسن السكوت عنها . فعنى مجمع اللغة العربية بقضية التعريب إلى جانب عنايته بشئون اللغة ، وضم إلى عضويته عددا من أهل العلم من المهنيين ، وشكلت منهم ومن أعضائه اللغويين ، مع نفر من الخبراء ، عدة لجان للعلوم المختلفة ، وعهد إليها اختيار المصطلح العلمى الصحيح المقابل الأجنبى فى المعجمات العلمية ، وتعريفه بما يكفى للدلالة عليه ، لعرضه على مجلس المجمع للموافقة ، ثم على المؤتمر السنوى للاعتماد ، ويضم هذا المؤتمر أعضاء المجمع من المصريين ونخبة صالحة من العرب والمستشرقين .

هذا وتسير اللجان حثيثا على نهج قويم ، جادة فى طلب المصطلح العلمى الصالح ، مسترشدة بما يجرى على ألسنة أهل الصنعة ، ومهتدية بما وصل إليها من التراث القديم ، ومستأنسة بما ورد فى المعاجم الحديثة ، وما ألف وترجم ونشر فى الوقت الحاضر ، لتستخلص أحسنه سبكا وأقربه قصدا . فقد يكون العرف الجارى خيرا فتبقى عليه ، إلا أن يكون ركيكا أو ذا عوج لغوى . وقد تجد فى النصوص القديمة مصطلحا وافيا بالغرض ، أو تعبيراً كافيا ، فتبعثه من جديد . أو تلمس فى جهود المحدثين ما أصاب الهدف فتقره وهكذا . فإن لم تجد بين أيديها ما يقابل المصطلح الأجنبى تماما ، ويؤدى معناه ، عمدت إلى التعريب والتوليد ، أو أخذت المصطلح الأجنبى ، كما هو ، إن لم تجد بدا من ذلك ، وألفته شائعا ومستساغا ، وقد حدث ذلك كثيرا فى مثل الكيمياء ووحدات المقاس والمعايرة .

والمجمع جاد فى طبع ما وصلت إليه لجانه ، وأقره مجلسه . ولا شك أن اعتماد المؤتمر السنوى هو من سبيل النشر فى محيط العربية الفسيح ، والاستشراق أيضا . والفيصل الأخير هو أن يشيع المصطلح بين أهل الذكر وأن يعيش بين الناس . ولا سبيل إلى ذلك

إلا باستعماله فى التأليف والترجمة ، وفى المحاضرات والندوات العلمية .

ونحن فى مجمعنا وبيئتنا نؤمن برسالتنا ونجدّ فى السير على الدرب ، ونأمل أن نجد من أهل العلم والمهن تعاونا صادقا ومؤازرة ، لا فى مصر فحسب ، بل فى محيط العربية الرحب ، ومجامع اللغة فى بلدانها ، والهيئات العاملة على التعريب والترجمة والتأليف فيها .

ونسأل الله تعالى العون والمثوبة ، حتى نجمع الشمل على لغة فصيحة واحدة ، لسانا وقلما ، وندرس العلم بمصطلح موحد فنُسدِل الستار على الخليط السائد الآن من العربية العامية والمصطلح الأجنبى .

والله من وراء القصد ، وهو ولى التوفيق .

والحمد لله رب العالمين

ابراهيم الدمرداش
عضــو المجمع

المصطلح العلمي في التعريب

للدكتور عبد العظيم حفني صابر

السيد الرئيس

الأساتذة الأجلاء

سيداتي وسادتي

لقد تكلم في موضوع تعليم العلوم، وتدريسها باللغة العربية الكثيرون ممن يبذونني علماً وتبحراً في اللغة وتطبيقاتها، وأدلوا بآراء سديدة، وخطط محبوكة محكمة، واقتراحات بناءة، فليس هناك من جديد أطرقه إلّا ما قد يعن لي من بعض ملاحظات أقولها بالاختصار.

لو رجعنا إلى أول عهد النهضة العربية لوجدنا أن العلوم وتعلمها وتدريسها كانت بالنسبة إلى العرب شيئاً جديداً طارئاً، بل ربما كانت من الطلاسم، لكن القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف، وما جاء به مما يحثهم، بل يأمرهم بالسعي إلى طلب العلم والمعرفة وتفهم نواميس الكون، والكشف عن أسراره، قد دفعهم للبحث وأعانهم عليه، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة منها:

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ » .

(الأعراف ١٨٥)

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . » .

(يونس ١٠١)

« قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ »

(العنكبوت ٢٠)

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » .

(الغاشية ١٧ ـ ٢٠)

(*) قدم هذا البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

« أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ » .
(ق ٦)

« فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . » .
(الروم ٥٠)

ومن الآية التاسعة والتسعين من سورة الأنعام قوله تبارك وتعالى :

« . . . انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ . . . » .
(الأنعام ٩٩)

فسعيًا وراء ذلك واستجابة لأوامره سبحانه وتعالى ، اتجه العرب والمسلمون إلى طلب العلم والمعرفة والعمل على نشر العلوم وتطويرها ، واضطروا فى أول الأمر أن يلجأوا إلى من سبقوهم إلى هذا الباب ، وعهدوا إلى غيرهم – ممن هم على بينة – باللغات الأخرى من النساطرة والنصارى وغيرهم – ترجمة ما هو مدون فى كتب العلم باللغات الإغريقية والفارسية والهندية والقبطية .

ولما كان لسان هؤلاء المترجمين غير العربية فقد أدخلوا فى ترجماتهم كثيرًا من الألفاظ والمصطلحات المعربة ، ولكن من خلفهم من العلماء الذين يجيدون العربية والمتحمسين لها ، مثل البيرونى وكثير غيره ، قد استعملوا ألفاظًا عربية سليمة ، بل ابتدعوا منها الكثير ، لتسمية ما استعملوه من الأجهزة والأدوات ، وما استكشفوه من الأسرار والعمليات ، وما توصلوا إليه من معلومات .

فقالوا فى الأدوات التى استعملوها فى دراساتهم : « بوطقة » وتعرف بالإنكليزية الآن (crucible) ، والإنبيق (alembic) تحريفًا من العربية) ، والقمع (funnel) أما للعمليات التى كانوا يجرونها فى تحضير الأدوية وتجهيزها ، فقد وضعوا الألفاظ العربية فقالوا : « التكليس » ويطلق عليه الآن (calcination) و « التصويل » و « الغسل » للتنقية (elutration) ، والتبخير (evaporation) ، و « التصعيد » (sublimation) ، والبلورة (crystallization) والاجماد (solidification) ، والعقد (congealing) والتقطير (distillation)

والترشيح (filtration) والاستخلاص (extraction) والغربلة أو النخل (sifting) ، والحل (dissolution) والتحليل ، وكلها عمليـات كانوا هم مبتدعيـها ومستكشفيها ، أما للمستحضرات الصيدلية وأشكالها فأطلقوا : الحبوب (pills) ، والأقراص (tablets) ، والطلاء (paint) ، والنَّطول (spray) ، والشراب (syrup) تحريفًا من العربية) والسفوف والغرغرة والمرهم والمروخ (linament) والذرور (dusting powder) ، والمنقـوع (tnfusion) والمغـلى (decoction) والفرازج (pessaries) وغير ذلك كثير مما ابتدعوه لاختراعاتهم واستكشافاتهم . كما أنهم استعملوا ألفاظًا اشتقوها لتدل على معان خاصة فى تجاربهم المعملية فقالوا مثلًا : « طرحة » للدلالة على الأجسام والأدوات المعاونة التى تحذف أوزانها فى العمليات التقديرية الكمية الوزنية وهى ما يطلق عليها الآن بالإنكليزية tared التى ربما تكون محرفة من الكلمة العربية المذكورة .

ومن ذلك نجد أن علماء العرب لم يعجزوا أن يجدوا فى العربية من ألفاظها واشتقاقاتها ، ما يستجيب إلى ما يريدون إطلاقه من أسماء ومسميات على الأجهزة والأدوات والعمليات ، ولم يعيوا أن يجعلوا اللغة العربية لغة علم وتعليم ، فكتبوا وألَّفوا فى جميع فروع العلوم بلغة عربية سليمة وافية ، وتذخر مؤلفاتهم هذه بالمصطلحات العلمية العربية الدقيقة الدلالة لما وضعت له فى وصف النباتات وأجزائها ، والأدوية وأشكالها وخواصها وطرق تحضيرها ، والأمراض وأعراضها وعلاماتها وعلاجاتها ، والكيمياء وعملياتها وأجهزتها .

فعلينا أن نتتبع هذه المراجع ونستخرج منها المصطلحات ونهيئها للاستعانة بها فى تعريب العلوم وتدريسها .

سيداتى وسادتى

إن العرب فى عهد نهضتهم طوعوا اللغة العربية فى خدمة العلم وتطويره وتقدمه مع أنهم بدأوا هم أنفسهم من فراغ عربى ، ولذا قد جهل الآن من يقول : إن اللغة العربية لا تصلح لتعليم العلوم أو تقصر فى ذلك ؛ فاللغة العربية من أغنى اللغات ألفاظا إلى جانب ما لهذه الألفاظ من اشتقاقات تبلغ ستة عشر للَّفظ الواحد .

وقد قيل : إن باللغة العربية نحو ثلاثة ملايين مفرد[1] ، فهى إذن لغة مطاوعة ، يمكن أن يصاغ من المادة الواحدة كلمات مشتقة كثيرة للدلالة على المعانى الخاصة التى نريدها بكل دقة .

سيداتى وسادتى

إن عدم إدخال اللغة العربية للتدريس فى جامعاتنا لهو قصور من علمائنا ، العلميين منهم واللغويين ، إذ لو كنا أخذنا الأمر جديًا من أول نشأة جامعاتنا ، واستعنا بالمجهودات الكبيرة التى يبذلها مجمع اللغة العربية والهيئات الأخرى ، وكذلك الأفراد ، واستغل مؤلفونا وكتابنا وأساتذة جامعاتنا ما وضع من المصطلحات بدلًا من تهاوننا وتهاملنا ، لو كنا فعلنا كل ذلك لكان حالنا من تدريس العلوم على غير ما هو عليه الآن ، ولاستغنينا عن اللغات الأجنبية التى لا يجيدها طلابنا فتعوقهم أمام استيعاب العلوم بالتحقق والتعمق اللازمين .

حضرات السادة والسيدات

عندما أخذ الإفرنجة عن العرب علومهم وحضارتهم نمت لديهم تلك العلوم وذلك لأنهم بدأوا بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية أولًا ثم إلى لغاتهم القومية بعد ذلك ، ثم تزيدوا شيئًا فشيئًا ، وتخصصوا وتفوقوا وكفتهم لغاتهم أول الأمر — بما يريدون ، ولكن — وقد طفرت المعرفة بالعلوم طفرات واسعة بالاستكشافات الحديثة المتجددة ، والتى أصبحت لا حصر لها — عجزت هذه اللغات القومية أن تساير هذا التقدم فى وضع المصطلحات للمعانى المستحدثة ، فلجأوا إلى اللغتين : اللاتينية والإغريقية ، وعمدوا إلى النحت والتركيب المزجى وإضافة السابقات ، واللاحقات ، وما أكثرها فى هاتين اللغتين ، واستغلوا ذلك فى سبك ألفاظ جديدة ، وصياغة مصطلحات مستحدثة للمعانى المستجدة ، ومع ذلك فإن كثيرًا من هذه المصطلحات العلمية الأجنبية لتقصر عن الدلالة على ما وضعت له من معان دلالة

---

(١) معدل الاشتقاق من المادة الواحدة ستة عشر لفظا ، أى أنه يمكن أن يكون فى اللغة العربية ما يربو على ثمانية وأربعين مليون لفظ ، بينما لا تحتوى اللغة الإنجليزية مثلا إلا على ستة عشر ألفا ، وتحتوى الفرنسية على عشرين ألفا ، وكل من الطليانية والأسبانية تحتوى على سبعة عشر ألفا .

دقيقة ، لذلك يجب أن نكون دائمًا حاذرين ومتأنين ، وأن لا نأخذ بمبدأ ترجمة المصطلحات على علاته ، بل يجب أن نتعرف أولًا على مدلول المصطلح وتعريفه وفكرة وضعه ، ثم الاجتهاد في اختيار أنسب لفظ عربي له حتى ولو كان المصطلح العربي المختار يختلف قليلًا عن المصطلح الأجنبي أو غريبًا على السامع ، علمًا بأن جميع المصطلحات الأجنبية المعرّبة تكون أشد غرابة من المصطلحات العربية ، فإذا أخذنا مثلًا المصطلح (sympodium) وترجمتها الحرفية : « متحد الأقدام » ، لا تتفق والمعنى الذي أُطلق عليه ؛ فالمقصود به ساق النبات أو محوره الذي يتكون من سلسلة من الأجزاء أو السلاميات التي ليست من أصل واحد ، بل إن كلاً منها يقف نموه ، ثم يليه الجزء التالي من نمو أحد فروعه الجانبية ، فيظهر الجميع على امتداد واحد كساق واحدة ، فترجمة المصطلح تضلنا ، وعليه كان المصطلح العربي – وهو « ساق كاذبة » أو « محور كاذب » – أدل معنى ، وأصلح من المصطلح الأجنبي ولو أنه لا يتفق مع ترجمته .

أما المصطلح (Brownian movement)

وهو يدل على حركة موضعية دائمة للجسيمات في الموائع ، أطلق نسبة إلى أول من لاحظ هذه الحركة ووصفها ؛ لأنه لا يوجد في اللغة الأجنبية لفظ يناسب ذلك المعنى .

ولكنْ في اللغة العربية يوجد لفظ يمكن أن يدل دلالة تامة على هذه الحركة ، إذ يمكن أن نسميها « حركة مَوْرِيَّة » من مادة مار يمور مَوْرا ، أي اضطرب وتحرك جيئة وذهابًا في موضعه[1] وقد وردت في القرآن بمعناها المطلوب ، فقال عز وجل في سورة الملك :

« ءَأَمِنتُم مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ » ، وفي سورة الطور : « يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا » .

ومن الأمثلة الأخرى المصطلح (midrib) وهـو مركب من لفظين (rib,mid) وقد ترجم بالعرق الوسطى وذلك لورقة

(١) هذا ويجب أن نبتعد عن ذكر أسماء الأشخاص في المصطلحات العلمية ، وإذا لزم وجب أن يكون ثانويًا ، وقد قررت المحافل الدولية مؤخرا عدم وضع مصطلحات بأسماء الأشخاص .

النبات وهذه الترجمة – وإن كانت سليمة ودالة ومستساغة – ليست أكثر دقة ولا أساس من كلمة « العَيْر » التي ورد ذكرها في المعاجم والمراجع العربية دالة على المصطلح نفسه ، ولو أن هذا اللفظ في الظاهر غريب علينا ، إلا أننا سنعتاده بالاستعمال كما أنه لفظ عربي واحد يسهل النسب إليه والاشتقاق منه والتصرف فيه أكثر من التعامل مع مصطلح من كلمتين ، أما من جهة الغرابة ، فلابد أن نذكر أن المصطلحات الأجنبية كلها غريبة على الأسماع حتى على أهل هذه اللغات أنفسهم .

لكل ذلك يجب أن نداوم على انتقاء المصطلح العربي الصميم ما أمكن ، وننبذ ما ليس بعربي سليم ، واستبعاد ما لا يتفق والذوق العربي .

فقولنا للمصطلحين (ultra violet rays) و (infra red rays) الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء باستعمال ظرفي المكان « فوق » ، و « تحت » يخرجنا عن المقصود أصلا من (infra,ultra) ويجب تصحيح ذلك فنقول : « الأشعة فوق البنفسجية » ، و « الأشعة دون الحمراء » وهذا أدل للمعنى . وهنا يجب التنويه كذلك على أن السابقات أي البادئات (prefixes) ، واللاحقات (suffixes) في المصطلحات الأجنبية تختلف معانيها باختلاف ما تتصل به ، فمثلا السابقة (sub-) تعني في مدلول المصطلح إما على التصغير كما في (subgenus) مثلا فيكون بالعربية « جُنَيْس » ، وإما بمعنى شبه كما في (subglobular) شبه كروى ، وإما بمعنى تحت كما في (subterranean) أي تحت أرضيّ ، وإما بمعنى دون كما في (submicronic) أي دون مجهرى . وهناك الكثير والكثير جدًّا من هذه الملاحظات للتدليل على أننا يجب أن نكون حاذرين في انتهاج مبدأ الترجمة على علاته دون التمعن في مدلول المصطلح .

سيداتي وسادتي

إن المقومات التي وجدت ، وما قام به مجمع اللغة العربية ، والمجتهدون من الأفراد ، وما قدموه ليثبتوا للناس جميعًا أن لغتنا العربية قادرة على اقتحام أسوار

المعارضات الجامعية وشق طريقها إلى الكليات لتعليم العلوم باللغة العربية وجعل التدريس عربي اللسان ، والعمل على تأليف المراجع لهذه العلوم بالعربية والتدليل بها فى الأبحاث العلمية . ولا أدل على ذلك من أنه أمكن إصدار دستور الأدوية المصرى باللغة العربية وهو يقع فى نحو (١٦٥٠) ألف وستمائة وخمسين صحيفة ، ويشتمل على النواحى العلمية من صيدلية وطبية وطبيعية وكيميائية مستعملًا المصطلحات العربية الخاصة بكل من هذه النواحى .

فليكن هذا الدستور هداية وحافزًا لكل المتخصصين أن يدلى كل بدلوه فى مجال التأليف بالعربية فى التخصصات المختلفة ، وأن يداوموا على تطوير اللغة العلمية وإثرائها لمواكبة التقدم العلمى ، وكفانا ما فات ،ولتكن النية صادقة ، فإن تصدق النية يصبح الأمر سهلًا غير ممتنع ويَعُدْ للغة العربية تقدمها ومكانتها الأولى فى العلوم .

وفقنا الله إلى ما فيه الخير والصلاح وأدعو الله العلى القدير أن يمنحنا القوة على تحمل مسئولياتنا ، والهداية لما فيه السداد إنه سميع مجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العظيم حفنى صابر
الخبير بالمجمع

لغة الصحافة فى الأردن

للأستاذ الشيخ إبراهيم القطان

عندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، حصلت فى بلاد الشام بلبلة فى الحكم، وذلك طبقاً لمعاهدة «سايكس بيكو» فقسمت بلاد الشام «سورية» أربعة أقسام: سورية الحالية احتلها الفرنسيون، ولبنان كذلك، وفلسطين: احتلها الإنجليز.

وبقيت سورية الجنوبية الشرقية، التى أطلق عليها فيما بعد «شرق الأردن»، بقيت فى شبه فوضى فتألفت فيها ثلاث حكومات فى الكرك، وفى السلط، وفى أربد، كان يدير شئونها أحد رجال الإدارة بالتعاون مع مجلس استشارى، أعضاؤه من وجوه المنطقة وأعيانها وكان يمثل بريطانيا لدى كل حكومة من هذه الحكومات معتمد بريطانى لم تحدد صلاحياته كل التحديد فى تلك الفترة القصيرة.

وفى هـذه الفترة جاء الأمير عبد الله بن الحسين من الحجاز إلى العقبة، ثم إلى معان وبعد مشاورات ومحاورات مع زعماء البلاد ووجوهها قرر المسير إلى عمان، فبلغها يوم الأربعاء ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٢١ م.

وكان فى الفترة التى أمضاها فى العقبة ومعان قد أسس أول جريدة اسمها «الحق يعلو» كانت تطبع على الجلاتين.

ولما استقرت البلاد وهدأت انتهى عهد الحكومات المحلية وأخذت السلطة تتركز فى يديه، وأما الإنجليز فلم يفعلوا شيئاً، لا سلباً ولا إيجاباً.

فى سنة ١٩٢٣ أنشأت الحكومة الأردنية أول جريدة وهى «الشرق العربى» وكانت الجريدة الرسمية الناطقة باسم الحكومة، كان يشرف عليها الأديب والشاعر المعروف محمد الشريقى وكانت لغتها سليمة، وكان يكتب فيها عدد من الكتاب والأدباء والمعلمين.

جاء فى افتتاحية السنة الثالثة، العدد ١٠٦ تاريخ ١٠ ذو القعدة ١٣٤٣ مايلى:

«تستقبل هذه الصحيفة سنتها الثالثة بأمل، داعية إلى خير العمل، مستبقة ما ينفع العرب شعبيا وحكوميا، وينهض بقوميتهم الحديثة علميا وأدبيا وسياسيا واجتماعياً جهد المستطاع.

ونحن لا ندعى العصمة والكمال، فيما يخط قلمنا أو يطمئن إليه شعورنا وتفكيرنا، بل ندعى

(*) قدم هذا البحث إلى مؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م).

الإيمان ، والإيمان القومى الخالص الذى يدفع الدعاة من حملة الأقلام إلى التقاط الحكمة ، أين وجدت ، فيهتدون بهديها ويقررون مبادئها بتضحية وثبات حتى إذا أخطأوا الطريقة ، وزلت بهم قدم الحقيقة ، كان لهم من إخلاصهم مايقيل العثار ، ويشفع ليلهم بنهار إلخ . . .

وفيها مقالات فى التاريخ ، وما قاله ياقوت عن «الأردن» وبعض الأنظمة والقوانين وأخبار تنقل « الأمير » وأخبار متفرقة : مثلا : «وقع زلزال شديد فى اليابان » «وأصدرت الحكومة المصرية بلاغاً بعدم الحج فى هذا العام » .

« عطلت فى سورية جريدة المفيد ، وبريد الشرق » الشاعر :

إنما سمى الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لايشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استطراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعانى أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندى مع التقصير » . . العمدة :

وتجد رسالة عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب ؛ وأقوالا لابن المقفع ، وفقرات من العمدة مترجمة عن خصائص الأدب ومقالات متنوعة عن الهند ، ودياناتها والفلسفة عند العرب وبعض القصائد للشاعر الشريقى .

ومن الأخبار : دعا جلالة ملك بريطانيا والملكة ، زيور باشا إلى حفلة شاى ملكية .

أقام المستأجرون فى بيروت مظاهرة ضد أرباب الأملاك وقع فيها قتلى وجرحى .

زار سورية أمير الشعراء أحمد شوقى بك فاحتفلت البلاد بقدومه .

وفى مطلع افتتاحية العدد ١٣،١١٣ صفر ١٣٤٤ ، ١ / ٩ / ١٩٢٥ بعنوان « الانقلاب الصحيح » .

مر على هذا الشرق العربى تطورات كثيرة فى هذا الربع الأول من القرن الحاضر ، فقد دالت فيه دول ، وراجت سياسات مختلفة ، وظهرت انقلابات عديدة ، ومرت بهذه الأصقاع العربية أمم كثيرة ، شرقية وغربية ، واختلف على منابرها أحرار وعبدان ولكن رغم هذه التطورات والانقلابات مازلنا نتعثر فى مفاوز الحرمان ، شاعرين بحاجتنا إلى الانقلاب الصحيح ، ولما تطلع شمسه المشرقة فتخرجنا من الظلمات إلى النور ، أو تلمع ناره الهادية ، وقد عسعس الليل وضل الحادى وحار الدليل .

أما هذا الانقلاب فما أحسب فواعله فى غير نفسية الأمة وعقليتها وإرادتها ، لافى تصاريف الأدهار ، وأيدى الأغيار بل ما أتمثله واضح الفجر إلا بغلبة التربية والعلم ، وتوجيه الأنفس إلى تقديس الغاية المشتركة فى الأمة ، وإعداد وسائل القوة الحديثة تأييدا لمطمحها الأقدس الخ .

وإننا لا نزال نحس نفس الإحساس، ونتجرع المرارة ونتمنى الأماني نفسها . ولا نزال حائرين لا ندري أين نتجه .

وجاء في ختامها : « نعم حينما تتبدل عقلية الحاكم منا فيخفف من خيلائه وغطرسته ، ويذهب إلى أنه أمين مصالح الأمة لا سيدها المطلق الذي يتصرف بروحها وحقها أنى شاء .

وحينما تتبدل عقلية الأمة فتخفف من عبادة الأقوياء، وتشعر بوجودها شعوراً صحيحاً ؛ مدركة معنى حاكميتها ، وكيف أن مصلحتها في النزول على حكم الغاية المشتركة ، والوازع الذي يكفل صيانة أجتماعها ماديا وأدبيا .

نعم حينما يشعر أغنياؤنا أن للأمة حقاً في أموالهم ، متذوقين حلاوة هذا الحق ، وحينما يوقن حكامنا أن للأمة حقاً في حاكميتهم متذوقين حلاوة هذا اليقين .

وحينما تشعر الأمة أنها سيدة أمرها وأمينة مصالحها ، متذوقة حلاوة هذه السيادة والأمانة ، أذن يا أخي أذان الفجر ، فجر السعادة القومية ، فجر الانقلاب الصحيح الثابت » .

إن هذا الكلام الذي طرح منذ ستين عاماً لا يزال مطروحاً الآن . ولا نزال تائهين حيارى ، لا ندري أين نتجه ، ولا نملك من أمرنا شيئا .

وأرجو المعذرة من هذا الشطط ، والاستطراد .

وتتابعت الصحف : جرائد ومجلات ، فكان من الرواد الأوائل أستاذنا الأستاذ محمود الكرمي : أنشأ جريدة الشريعة صدر منها أعداد قليلة .

ثم أنشئت جريدة الأردن، أنشأها الأستاذ خليل نصر، ولا تزال تصدر إلى الآن وهي من أقدم الجرائد ، ولكنها جريدة محدودة ولغتها ليست بمستوى «الشرق العربي» ولا «الشريعة» .

ثم صدرت عدة صحف منها « جريدة الوفاء» للمرحوم الأستاذ صبحي زيد الكيلاني وكانت لغتها جيدة ، الأستاذ صبحي كان أزهرياً ، ومن المعلمين المتمكنين ، درس مدة لابأس بها في مدارس الحكومة ، ثم اشتغل في الصحافة إلى أن توفاه الله :

وصدرت مجلة « الحكمة » للأستاذ الكبير الشاعر الشيخ نديم الملاح ، فكانت ممتازة في ما تحويه من مقالات علمية وأدبية بلغة سليمة وإخراج جيد ، وكان يكتب فيها عدد من الأساتذة في اللغة والتاريخ والأدب والسياسة وغير ذلك ودامت نحو سنتين على ما أذكر ثم احتجبت لأمور مادية .

ومن الجرائد التي ظهرت ، جريدة «الجزيرة» للأستاذ تيسير ظبيان، وكان كتلة من النشاط في التعليم والكشافة والنواحي الاجتماعية، ودامت فترة طويلة، ثم تحولت إلى مجلة باسم «الشريعة» ولا زالت تصدر بعد وفاته يحررها، ويشرف عليها أبناؤه .

وظهرت فى أواخر الأربعينيات جريدة « النسر » لصاحبها المحامى صبحى القطب ، ودامت فترة ، كانت من الجرائد الرصينة ، بلغة جيدة تعالج إلى جانب السياسة والاجتماع الأدب والتاريخ وعددا من الموضوعات ثم احتجبت .

وتتابعت الصحف والمجلات فكانت جريدة الحوادث وعليها مسحة يسارية ، وجريدة الشعب وجريدة الدفاع ، وجريدة فلسطين ، وعدد من المجلات ، الميثاق لصاحبها المرحوم شفيق رشيدات ، وكل هذه الصحف احتجبت .

وفى مطلع السبعين أنشأت الدولة جريدة الرأى ، وعينت لها مجلساً من عدد من الكتاب والمسئولين ، وجهزتها بمطبعة حديثة ، واستمرت مدة ثم تخلت عنها الدولة إلى عدد من الصحفيين يديرونها ، وكذلك تحولت جريدة فلسطين إلى جريدة الدستور لعدد من الكتاب ، وأنشئت حديثاً جريدة « صوت الشعب » ، أيضاً لا تقل عنهما ، وهذه الصحف الثلاثة اليوم هى الصحف الرئيسية فى الأردن .

وهناك صحف أسبوعية : اللواء ، حسن التل ، وأخبار الأسبوع ، وجريدة الصحفى ، وغيرها .

وتصدر وزارة الأوقاف مجلة شهرية باسم « هدى الإسلام » وأخرى « الإسراء » .

ووزارة الإعلام تصدر مجلة شهرية باسم « أفكار » . ولغة هـــذه الجرائد على وجه الإجمال لا بأس بها ، وأحيانا نجد فيها بعض الضعف .

فمن التعابير التى تظهر مخالفة للأصول مثلا :

١ – « صادق الحاكم العسكرى على قرار المحكمة » .

٢ – « رضخ فلان للضغوط .... » .

٣ – « من شجب الشعب الفلسطينى للروابط » .

٤ – « أمن له الشىء . . . وتأمين الأخبار إلى أهلها » .

٥ – « دعت لجنة شئون المهنة إلى . . . . كما ودعت اللجنة المحامين المتدربين » .

٦ – « باشر بكذا بإجراء مسح ... » .

٧ – « معروض للبيع قصر فى كذا ... » .

٨ – « قام معالى الوزير . . . بزيارة إلى » السيد . . . . كما استقبل رئيس المجلس فى مكتبه فلانا » .

٩ – « تجرى الاستعدادات فى مكتب كذا لتأمين اشتراك الأعضاء . . . »

١٠ – « أعلن هنا رسمياً أمس أن وزارة الخارجية اللبنانية قد أبلغت أن المبعوث الرئاسى الأمريكى . . . سيصل إلى فلسطين المحتلة غدا . . . »

١١ – « بحث مدير زراعة محافظة كذا مع المسئولين . . . إجراءات تنفيذ تعليمات وزارة الزراعة وأكد المدير ضرورة تنفيذ هذه التعليمات . . . » .

١٢ — « صحيح أن العالم لا يزال ينقسم كعهده السابق إلى دول صناعية متقدمة » : وإلى دول نامية . . :

وصحيح أن الدول الأغنى لا تزال تهيمن على شروط التبادل التجارى . . ألخ .

« وفى طليعة المستجدات من الظروف المعقدة أن الولايات المتحدة ومعها قوى دولية أخرى قد رمت بقفاز السلام أمام العرب » .

١٣ — « ليقوم بمحاولة تلقى رسائل تخاطرية ، ضمن إطار تجربة هامة سميت بـ«الاختبار الكبير للتخاطر بين موسكو وسيبيريا»
١٤ — « تم الخروج بقرار شكلى لا يطال المجرمين : : » .

« تهانينا يا أبا فلان . . . وألف مبروك» وكلمة مبروك تتكرر كثيراً فى جميع الصحف عوضاً عن كلمة « مبارك » . وهذا غيض من فيض ، فلغة الإعلانات تكتبها الجرائد كما ترد إليها دون أن تصححها أو تنظر فيها . :

وفى الضفة الغربية منذ أن كانت باسم « فلسطين » كانت الصحف فيها ناشئة ، فكانت جريدة فلسطين من الجرائد الرائدة ، لمؤسسها عيسى داود العيسى ، ودامت مدة طويلة ، ثم انتقلت إلى عمان بعد النكبة ، ودامت سنين عديدة إلى أن استبدلت بجريدة الدستور الحالية :

وقد تتلمذ على جريدة فلسطين عدد كبير من الكتاب والصحفيين وكان يحرر فيها الأستاذ يوسف حنا ، وغيره من الكتاب المعروفين .

وكانت جريدة الكرمل لصاحبها الأستاذ نجيب نصار ، وجريدة الحياة اليومية لصاحبها خالد الدزدار ، وكان يشارك فى تحريرها الأديب الأستاذ عادل جبر ، والشاعر الكبير خير الدين الزركلى والأستاذ الكبير أكرم زعيتر ونخبة من الشباب المتحمس . وكانت جريدة فى مستوى جيد .

وفى الثلاثينيات صدرت جريدة « الجامعة الإسلامية» لمنشئها الأستاذ سليمان التاجى الفاروقى وقد كان يحرر فيها طائفة من كبار الكتاب ، منهم الأستاذ على ناصر الدين ، وسامى السراج وإبراهيم الشنطى الذى أسس جريدة الدفاع ، والأستاذ تيسير ظبيان ودرويش الشامى ، وأكرم الخالدى ، وعبد الغنى الكرمى ، وسامى الشمعة وغيرهم من رجال الفكر والأدب .

وكان للجريدة شعبية كبيرة ، وإقبال كبير من القراء ، ودامت فترة كان لها الصدارة بين زميلاتها من الصحف .

وكانت « جريدة الجامعة العربية » لصاحبها الأستاذ منيف الحسينى ، وهى جريدة تنطق بلسان سماحة المفتى الحاج أمين الحسينى وكانت شديدة اللهجة على خصومه السياسيين :

وأصدر الأستاذان الكبيران خير الدين الزركلى ، وإبراهيم الشنطى بالاشتراك مع

الأستاذ شوكت حماد جريدة الدفاع ، وهى يومية ، فى يافا عام ١٩٣٨ ، فسارت على نسق جديد فى تحريرها ، وأخبارها ، فانتشرت بسرعة بين جميع الطبقات ، واحتلت مكانة مرموقة بين الصحف العربية ، وكان يحرر فيها طائفة كبيرة من الكتاب ، وكانت تدفع لهم أجورا كبيرة فى تلك الأيام . فكانت الجريدة فتحا جديدا فى عالم الصحافة الفلسطينية الحديثة .

وصدرت مجلة صوت الحق لصاحبها المرحوم المحامى فهمى الحسينى ، وكان يحررها الأستاذ المجاهد حمدى الحسينى الذى كان يقود جمعاً من الشباب الاستقلالى لمكافحة الاستعمار .

وصدرت مجلة الفجر لصاحبيها الأديبين الأستاذ عارف العزونى ومحمود سيف الدين الإيرانى ، فكانت مجلة تقدمية تبحث فى الأدب وتهتم بالقصص فى سبيل فجر نهضة تقدمية جديدة .

وكانت جريدة مرآة الشرق ، لصاحبها الصحفى المعروف الأستاذ بولص شحادة ، من الصحف الموجهة التى تناضل عن عقيدتها بشجاعة وقوة وكان يكتب فيها كثير من الكتاب فى شتى الموضوعات .

وأصدرت جريدة فلسطين جريدة باللغة الإنجليزية تولى تحريرها الأستاذ عزمى النشاشيبى والكاتب الهندى الأستاذ « أختر » وقد قامت الجريدة بالدعاية للقضايا العربية فترة من الزمن :

وأصدر الحزب العربى جريدته اليومية « اللواء » فقام على تحريرها الأديب الأستاذ خيرى حماد والأديب الشهيد صبحى الطاهر وطائفة من الكتاب :

ومن المجلات الرصينة « مجلة العرب » لصاحبها الكاتب الكبير الأستاذ عجاج نويهض ، مترجم كتاب « حاضر العالم الإسلامى » وكانت المجلة لسان العرب فى كفاحهم المشبوب ضد الاستعمار ، فكانت تنشر مقالات كبار المجاهدين والأدباء والسياسيين .

وأصدر فريق من الشباب فى يافا جريدة يومية باسم « الشعب » كان محررها المسئول الأستاذ كنعان أبو خضرة ، وكان سكرتير التحرير الأستاذ عبد الغنى الكرمى وكان الأستاذ أدمون روك المشرف العام على إدارتها وسياستها ، واحتجبت سنة ١٩٤٨ بظروف الثورة .

وكانت مجلة المهماز لصاحبها الأستاذ منير حداد ، هى المجلة الوحيدة التى تصدر « كاريكاتورية » فتعالج الموضوعات السياسية بالرسوم اللاذعة .

وكانت جريدة الصراط المستقيم لصاحبها المرحوم الشيخ عبد الله القلقيلى تعالج الشئون الدينية بالإضافة إلى موضوعات السياسة والأدب .

وكانت مجلة الإقدام لصاحبها طانيوس عبده نصر نسيج وحدها فى عالم الصحافة ، لأن صاحبها كان يحرر شتى الموضوعات بلغة مشوبة وأسلوب انفرد به صاحب « المشراط » الحاد .

وأما مجلة القافلة التى كان يصدرها مكتب المطبوعات فى القدس فقد اشترك فى تحريرها عدد من الأساتذة منهم : الأستاذ على الدجانى وحازم نسيبة ، ورفيق التمرى ، واسحاق رشيد وقد تولى رئاسة تحريرها الأديب المعروف حسن مصطفى.

وكانت مجلة « الصريح » للأستاذ هاشم السبع وهو أزهرى متمرد ، وكان أسلوبه شديداً ، ولسانه صارما ، لايسلم منه أحد ، واحتجبت لوفاته رحمه الله ، فقد كان مرحا خفيف الروح ، متحمسا لأمته ووطنه .

هذه لمحة موجزة عن الصحف والصحافة فى الأردن بضفتيه .

إن لغة الصحف فى الأردن لغة سليمة فى الغالب ، ويشوبها أحيانا بعض الانحراف ، وذلك آت من الكتاب الجدد ، وأرجو المعذرة إن كنت أطلت بعض الشىء بالتعريف بالجرائد والمجلات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم القطان
عضو المجمع المراسل من الأردن

تقديم مخطوطة مغربية
حول المراسلات بواسطة الأرقام العربية

للدكتور عبد الهادى التازى

لقد احتفظت خزائن بعض الموظفين السامين المغاربة من الذين انتظموا فى سلك الدولة منذ النصف الثانى من القرن الماضى — احتفظت بوثيقة طريفة تتعلق بموضوع المخاطبات السرية ... وهى تعكس — دون شك — بعض الأنماط التى يمكن أن نتخيلها لمناهج المخاطبات والمراسلات بالأشكال والرموز فى الفترات الماضية ... وقد ندت عن نقيب الدولة ومؤرخها مولاى عبدالرحمن ابن زيدان الذى قدم لنا صورة مشرفة عن معالم الدولة فى كتابه « العز والصولة » *.

والحديث عن الوثيقة التى بين أيدينا يستدعى منا أن نتناول عدداً من العناصر الضرورية لإلقاء الضوء على هذا « المفتاح » .

فأولا : مصدرها . . . وثانياً : تحديد وقت كتابتها . . . وثالثاً : مكانها من الطرق الأخرى للكتابة السرية . . . ورابعاً : مضمونها، وهذا العنصر سيستدعى منا الحديث عن طائفة من النقاط التى تتصل بالوضع السياسى والاجتماعى للبلاد وكذلك الخريطة السياسية للمغرب وبقية جهات العالم من الأمم والممالك التى كان للمغرب اتصال بها من قريب أو بعيد .

وقد تجلت أهمية هذه الوثيقة من حيث إنها تقدم لنا المملكة المغربية ، وهى على وشك أن تستسلم أمام المؤامرات الدولية وتقبل التوقيع على معاهدة الحماية الفرنسية ، تقدم لنا هذه المملكة وهى تتمتع بسائر مقومات الدولة على خلاف ما كان الاستعمار يقوله من أن المغرب كان فراغاً .

لقد كانت الوثيقة دليلا ناطقاً على أن المغرب — وهو على عتبة معاهدة الحماية — كان مثلا للدولة الكاملة بمليكه ووزرائه وخلائفه وحاجبه وقائد مشوره وكتابه وتشريفات الأسرة المالكة ومن يتصل بها من الموظفين السامين : قضاة وفقهاء وقواداً ومحتسبين ونظاراً ونقباء وأمناء ووكلاء وسفراء وسائر طبقات المجتمع . . .

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

كان مثلا للدولة الكاملة، بماتتوفر عليه من جهاز للخارجية، يتمتع بقانون مالى وإدارى وبموظفين أكفاء .

وإلى الجانب الدبلوماسى كان المغرب من الناحية العسكرية يتوفر على تنظيم بالغ العناية ، فهنا رئيس الحدود الصحراوية والحدود الشرقية والحدود الغربية وهنا كبير المحلة وسائر أنواع الجند من طبجية وخيالة ومدربين ومهندسين علاوة على الأسلحة والمواد الحية .

كان المغرب مثلا للدولة الكاملة بما يتوفر عليه من نظام مالى يحاول أن يواكب الأنظمة العالمية الحديثة بما عرفه من عملات من شتى جهات الدنيا ، وبما عرفه من أنواع النقد ومختلف المعاملات ؛

كان مثلا للدولة الكاملة بما توفر عليه من نظام دقيق فى سير البلاط وتوزيع الوظائف على أهلها حسب الاختصاص، سواء أكان العاهل مقيما فى المدن أو على سفر . . . إن الدولة هى هى، سواء أكان الملك على كرسى حكمه أو على مطية جواده .

وهنا سنقف على المواد التى كانت تصحب الركب الملكى حيثما تحرك وأينما توجه، وكأنه مدينة مستقلة متنقلة بكل ما تحتوى عليه بمرافق المدينة .

كان مثلا للدولة الكاملة بما عرفته أنظمة المواصلات بين المدن فيما بينها ، وبين المغرب وغيره من الدول كذلك ، فهنا سعاة البريد الذين يختصون باسم الرقاصة[1] وقد كانوا مثلا فى الضبط والأمانة ، علاوة على ما يتمتعون به من بنية قوية وتجربة متطورة .

كانت هذه الوثيقة، بالنسبة إلينا، دليلا جغرافياً صادقاً وضع أصابعنا على المراكز والمدن الساحلية للمغرب فى بداية هذا القرن فهى حجة ناطقة بأننا لم نسلم إطلاقاً فى حدودها الجنوبية والغربية ، بقدر ما كانت الوثيقة أمينة فى أننا لم نتنازل بالنسبة لحدودنا الشمالية والشرقية ؛

وهكذا فهى تتحدث عن إقليم الصحراء وتعطيه ترتيبه بين الأقاليم الأخرى ، كما تعطى لطرفاية ولرأس بوجدور ولوادى الذهب أرقامها على نحو ما تفعل بسبتة ومليلية ومغنية .

وكلنا يعلم عن مؤتمر برلين (نونبر 1884 يبراير 1885) الذى أطلق اليد للدول الاستعمارية فى الأقطار الإفريقية . . . وكلنا أيضاً يعلم عن جواب الملك الحسن (الأول)

---

(١) جمع رقاص : ساعى البريد ، واللفظ من المصطلحات الحضارية التى استعملها المغرب منذ العصر الوسيط معتمداً على المعنى اللغوى لكلمة الرقص :

بزجاجة رقصت بما فى قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

وتوجد بالمغرب منذ القرن السادس الهجرى قوانين . تحدد مهام الرقاصة وأجورهم .

عندما أقدمت أسبانيا — فى إطار هذا المخطط — على احتلال رأس بوجدور وأنشأت لها مراكز فى الداخلة ووادى الذهب وقامت بتوزيع منشورها بتاريخ 26 دجنبر 1884 .. كان جوابه فى الرسالة التى وجهها إلى نائبه بطنجة بتاريخ 4 رمضان 1303 — 6 يونيه 1885

« أما وادى الذهب . . . فإنه يوجد بناحية أولاد دليم وقبيلة تسمى بالعروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة، النازلين بنواحى مراكش وفاس، وتسمى عندهم بالداخلة فأعلم الباشدور بذلك » .

وكان الملك الحسن الأول ، قبل هذه الرسالة ، قام عام 1299 — 1882 برحلة إلى هذه المناطق حيث أعطى أوامره من أجل صيانة مرسى أكلو ومرسى إيسيك ومرسى سيدى ورزيك ومرسى سيدى محمد بن عبد الله[1] ؛

كما قام بإبلاغ السلطات الأسبانية بأن (صانطا كروز) التى كانوا يلتمسون أن يجعلوها مصلحة للسمك، هى التى تحمل عندنا (كويدر الرجيلة) ولذا فمن الأفضل — حفاظا على الصداقة الأسبانية — أن يعوضوا عنها بمصلحة أخرى فى سيدى أيفنى .

ترى أن هذه الوثيقة أمينة فى تثبيت مغربية تلك المناطق، بالرغم من سياسة الأمر الواقع التى كانت تنهجها الدول القوية ، وبالرغم من اتفاقية 27 يناير 1900 بين (ديلكاسى) والسفير الأسبانى (كاستبو) التى حددت بمقتضاها الممتلكات الفرنسية والأسبانية فى إفريقية الغربية :

لقد ظلت سياسة الأمر الواقع مرفوضة من لدن الحكومة المغربية ولذلك نجد الوثيقة تتحدى سياسة السطو والغصب والتآمر والتناور :

والوثيقة، من خلال كل هذا، دليل للذين يهتمون اليوم بمدلولات الأسماء الجغرافية (La Toponyme) سواء على الصعيد الوطنى أو المستوى الدولى ، فهو إذن سجل يعتبر من القواعد الأساسية للذين يرغبون فى تدوين معلوماتهم على مراجع وثائقية : : : الأمر الذى حدا بالوفد المغربى لدى المؤتمر العالمى الرابع لتنميط الأسماء الجغرافية (جنيف ، شتنبر 1982) إلى أن يقدم هذه الوثيقة على أنها (سبق) فى ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الرقم العربى[2] . لقد سبقت المملكة المغربية بأكثر من نصف قرن الولايات المتحدة الأمريكية والدول

---

(1) د . التازى : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسى ، الحلقة الرابعة ، مجلة البحث العلمى ، عدد 27 محرم 1397 = يناير 1977 .

(2) Conférence des Nations Unies sur La Normalisation des noms Géogr'aphiques, Geneve, 24 Août 14 Sept. 1982

الأوربية إلى التعامل بالأرقام والتوسل بواسطتها لا بتكارما يسمى بالمصطلح البريدى لمعرفة مواقع المدن (Zip Code) فى أمريكا و (Cedex) فى فرنسا . . وكذلك لا بتكار مايسمى الرقم الشخصي فى بطاقات التعريف المستعملة اليوم فى الدول السكندينافية :

(Magnétique) باعتبار أن الأرقام يمكن أن يستعين بها العقل الإليكترونى .

وعندما تنتقل الوثيقة لإعطائنا فكرة عن مختلف الدول التى كان للمغرب صلات بها واهتمام بحكامها، تقدم إلينا عددا من العواصم التى تعطيها الوثيقة اسما أصيلا ظل إلى الآن يغزو حتى اللغات الأوربية إنه اسم (القصبات) التى يستقر بها عادة رأس الدولة، لقد أتتها بعدد من القصبات التى تمثل المناطق الخمس للقارة الإفريقية (وهكذا كان للمغرب فى أوائل هذا القرن صلاته بالقسم الشرقى للقارة وكذا غربيها وشمالها وجنوبها ووسطها) .

ونفس هذا الوضع بالنسبة لأصدقاء المغرب فى قارة آسيا . . . فمن قصبات تركيا إلى قصبات بلاد العجم إلى أفغانستان إلى الهند إلى الصين إلى اليابان .

وقد تجلى أن للمغرب معارفه وأصدقاءه الكثيرين كذلك فى القارة الأوربية، فنحن أمام زهاء عشرين دولة أوربية فيها إنجلترا وسكوتلاندا وايرلاندا والبرتغال وأسبانياً وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وبروسيا، أيام كانت بروسيا دولة دولة على حدة : :

هذا إلى القارة الأمريكية حيث نجد للمغرب أصدقاءه القدامى سواء فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الشمال أو فنزويلا والبرازيل فى الجنوب :

والوثيقة من خلال كل هذا تصوير مفيد لجغرافية العالم السياسة فى بداية هذا القرن عندما كانت بعض الجهات الإفريقية والأسيوية والأوربية تابعة لقوة بارزة من قوى العالم الأخرى، وهكذا فإن المعلومات التى تحتويها الوثيقة معلومات مركزة :

وقبل أن تعطينا الوثيقة مفاتيح خطاباتها السرية تقدم لنا دليلا آخر على الظاهرة الصحية للمملكة، وهى تفند كل الادعاءات التى ترمينا . بالعجز والخوف واليأس .

ويتعلق الأمر بلقب أمير الأسطول الذى كنا نراه أيضاً فى بداية هذا القرن، بالرغم من التآمر الدولى فى مؤتمر إيكس لاشا بيل 30 شتنبر 1818، هذا إلى ذكر للمركب الملكى الذى ظل إلى هذا الوقت يمخر عباب المياة الإقليمة ويسهم فى استرجاع بعض النقاط المغربية التى سـطت عليهـا بعض الشركات الأجنبية . . . من غير أن تهمل الوثيقة تخصيص الجواسيس والخونة بشكل من أشكال الحروف اللاتينية، وهو حرف « T » وكأنها تشير إلى كلمة (Traitre) .

هنا ذكر (البوسطة) و (التلغراف) وكذلك السكة الحديدية التى شعر المغرب بأهميتها فى طليعة القرن العشرين .. . وهنا

السلك الدبلوماسي المعتمد لدينا، كل برتبته : المبعوثون الدبلوماسيون والسفراء العابرون والقناصل المعتمدون والنواب المساعدون .

اضف إلى كل هذا الدور التجارية الكبرى التي تمثل بعض الشركات العالمية . . مما فيها دار هسنير (Haessner) الألمانية ودار كوتش (Gautsh) الفرنسية ودار برينطي (Bariente) الإنجليزية ودار بن زويك (Braunshving) الفرنسية ، ودار ناهون (Nahon) الإيطالية . إن كل هذا كان يترجم عن مدى تفتح المغرب لقبول ما تجدد من أحداث على الساحة العالمية .

وبعد أن تقدم لنا الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته على الحروف الهجائية المغربية [1] تتناول طرق التعبير عن تلك الكلمات بأرقام معينة . . وبعد أن تقدم لنا وسيلة ثانية للتعمية، تعتمد على تعويض كل حرف من حروف الهجاء برقم معين تعود لإعطاء أيام الأسبوع رقما خاصاً ابتداء من يوم الأحد ، كما تعطى أرقاماً معينة للأشهر الاثنى عشر القمرية بداية من المحرم، وتقدم لنا في الصفحة الأخيرة نموذجاً ثالثاً للتركيب السرى للكلام، لايعتمد على الإتيان بأرقام معينة عوض كلمة ما من الكلمات ولا على تبديل حرف هجائي برقم مخصوص ، ولكنه يعتمد على استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية مختارة على أساس التعمية وبأرقام معينة في حالة استنفاد الحروف اللاتينية . .

وهكذا فمنذ أيام السلطان العظيم عبد الملك السعدى (شهيد وقعة وادى المخازن 985=1578) الذى كان يوقع أحيانا بحروف لاتينية [2] ، منذ ذلك التاريخ وجدنا اليوم أن الإدارة المغربية تهيأت لاختيار الحروف العجمية-على الأقل- كوسيلة ومن وسائل التعمية والترميز ، ووسيلة من وسائل الفصل بين الأرقام ، رغبة في تسهيل الأمر على من يرغب في حل الشيفرة .

وهكذا يكشف لنا عن جانب آخر من جوانب الصحوة المغربية التي تمثلت في الإقبال منذ بداية هذا القرن على تعلم اللغات الأجنبية، وخاصة طنجة العاصمة الدبلوماسية للمغرب ، ومن ثمت فإنني لا أعتبر أن هذه الوثيقة مجرد مفتاح للقراءات السرية، ولكني أعتبرها (مؤلفاً) يؤرخ لهذه المرحلة الدقيقة من تاريخ المغرب الأقصى ، بل ولتاريخ الدول التي ترتبط بالمغرب كذلك .

---

(١) من المعلوم أن للمغاربة ترتيبهم الخاص للحروف الهجائية وكذا للحروف الأبجدية على ما يذكره ابن خلدون في المقدمة علاوة على أنهم ينقطون الفاء بنقطة من تحت وينقطون القاف بنقطة واحدة من فوق .

(٢) وقعة المخازن هذه هي التي أجهز فيها الجيش المغربي على ملك البرتغال دون سباستيان وهي المعروفة بمعركة الملوك الثلاثة ، فقد قضي فيها علاوة على الملكين المذكورين على أمير مغربي ثالث كان يناصر سباستيان .

ولقد لذ لبعض الأوربيين والمستعمرين منهم خاصة أن يكتبوا عن هذه الفترة : العقد الأول من القرن العشرين، متقصدين جميعهم إلى إثبات صورة واحدة ، وهى أن المغرب انتهى وأن تعثراته لم تكن وليدة تواطؤ المجموعة الدولية كلها على كيانه ، ولكنها كانت نتيجة لضعف أجهزته المركزية والإدارية، وليدة تقوقعه وانطوائه، فجاءت هذه الوثيقة لتقدم المغرب كأتم منها تكون عليه الدولة قوة وتنظيما ومواكبة وتحضراً .

ولا بد أن المارشال ليوطى (1) كان صادقا مع نفسه عندما كتب من الرباط بتاريخ 24 أكتوبر 1920 يقول للسيد جورج ليكيس (G. Leygues) رئيس المجلس الوزارى بفرنسا :

لقد لاحظت أثناء زيارتى الأخيرة إلى فرنسا مدى الجهل المطبق الذى يهيمن على بعض الجهات المأذونة حيال ما تؤديه هنا فى المغرب كلمة « السلطان » ، حيث لاحظت أن تلك الجهات تصنفه على أنه على نحو باى تونس أو سلطان مصر أو شريف مكة مع أنه لا صلة إطلاقا بين هؤلاء وبين مركز السلطان بديار المغرب .

إن السلطان هنا هو الإمام الذى توجه شعبه : فهو عاهل سياسى وهو قبل كل شئ رئيس دينى لسائر المسلمين فى المغرب ، بل فى الأجراء النائية الأخرى كما أدركته بنفسى أيام الحرب » . يقول اليوطى .

وفى رسالة دورية بتاريخ 18 نونبر 1920 موجهة من ليوطى إلى مساعديه يقول :

نحن هنا فى المغرب وجدنا دولة وشعباً معاً ، مرا فعلا بأزمات ولكن هذه الأزمات إنما كانت حكومية أكثر منها أزمات اجتماعية . ويكفى أن نرجع قليلا إلى التاريخ لنشهد حكومة حقيقية تظهر أمام العالم كأية دولة من دول الأسرة الدولية بما كانت تتوفر عليه من وزراء لامعين، وسفراء ناجحين ، كانوا يجلسون إلى جانب الدول الأوربية فيؤدون واجبهم كأتم ما يكون الأداء ، وبعض هاته الشخصيات ما يزال إلى الآن ينعم بالحياة(2) .

ولقد وصلتنا هذه الوثيقة عن طريق المعرض الذى أخذت وزارة الشؤون الثقافية على عاتقها تنظيمه كل عام لتوزيع « جائزة الحسن الثانى للمخطوطات والوثائق » فكانت فى صدر الوثائق الرابحة بالمعرض الخامس الذى تم سنة 1973 .

وقد قدمت من لدن السيد الحاج محمد ابن محمد بن بناصر غنام . . . آلت إليه من جده السيد بناصر الذى كان الشخص الثانى فى (دار النيابة) بطنجة فى بداية هذا القرن . . . وكانت بمثابة مبنى وزارة الشؤون الخارجية فى المصطلح الحديث .

---

(1) أول مقيم فرنسى عام بالمغرب بعد عقد الحماية الفرنسية 1912م.

(2) Hassan II : Le Défi : ED. Albin Michel 1967 p. 219 - 220

وقد توفرنا على نسخة أخرى من هذه الوثيقة ، لكن يظهر أنها إنما كانت منقولة عن الأولى بدليل قيام صاحبها ببعض التصليحات التي كان يراها ضرورية[١] .

فمن هو الدبلوماسي المغربي بناصر بن أحمد غنام ؟

تعتبر أسرة غنام من الأسر الشهيرة الأثيرة في الرباط وهي من أصل عربي أندلسي ، وتوجد أسر من المشرق تحمل هذا الاسم .

سمي على جده الحاج بناصر : ه وقد عوض والدة نظارة الأوقاف بعد وفاته عام 1290 — 1873 ولم يلبث أن عينه الملك الحسن الأول عام 1292 — 1876 أميناً للسفارة التي أوفدها العاهل صحبة السيد الزبدي إلى فرنسا وانجلترا وبلجيكا وإيطاليا لمفاوضة هذه الحكومات في شأن الحماية التي كانت تمنح لبعض المواطنين المغاربة من لدن تلك الدول ، والتي كانت تسبب للحكومة المغربية عدداً من المشاكل ... وبعد أن تقلب في عدد من الوظائف وقام ببعض المهمات التي تمس الإدارة المالية نقل سنة 1315 — 1897 إلى طنجة حيث عمل بها أميناً قبل أن يقوم الملك عبد العزيز بحركته الأولى في سبيل إصلاح أساسي لدار النيابة بطنجة حيث وجدناه ينشئ مجلساً استشارياً للنائب ، ويضع دستوراً للدبلوماسية المغربية وتحدد المهام الرئيسية للدار وذلك بمقتضى مرسوم ملكي هام يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى عام 1318 30 غشت 1900 ...

في هذا التاريخ التحق السيد غنام بدار النيابة كمستشار أول للسيد محمد بن العربي الطريسي النائب السلطاني ، وحتى نتصور الحجم والمنهاج الذي أصبحت تسير عليه (دار النيابة) بطنجة أو « الفسّينة » كما كانوا يسمونها ، نرى من المفيد للمهتمين بتاريخ الدبلوماسية المغربية أن ننوه بالظهير العزيز الذي يحمل تاريخ ٤ جمادى الأولى 1318 (38 غشت 1900) والذي يعتبر بمثابة النظام الداخلي لسير وزارة الشؤون الخارجية ، وقد كان آخر ما كلف بإعداده وتحضيره أمين الأمناء السيد عبد السلام التازي قبل أن يستعفي ويقصد البقاع المقدسة[٢]

ولقد كان من المهام التي أسندت إلى السيد بناصر غنام — وهو يمارس عمله بدار النيابة في طنجة — تسميته عضواً في السفارة التي بعث بها السلطان مولاي عبد العزيز عام 1319 — 1901 إلى كل من فرنسا وروسيا صحبة السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية آنذاك ، ثم أرسل عام 1320 — 1902 إلى الجزائر موفداً من قبل السلطان المذكور لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران .

---

(١) عبرت النسخة الأولى في مقطعين اثنين عن حروف الهجاء بحروف (أبجد) فأصلحها صاحب النسخة الثانية .

(٢) د . التازي : رسائل مخزنية ، مطبعة أكدال ، الرباط ص 64 .

ويظهر أن المحاولة السابقة لإصلاح العمل بدار النيابة لم تؤت أكلها، فإن المجلس الاستشارى تحول إلى منافسات كان يستغلها المتربصون والمتأملون من خارج النيابة[1]، الأمر الذى دفع بالسلطان مولاى عبد العزيز إلى أن يقوم عام 1322 — 1904 بحركته الثانية فى دار النيابة بطنجة حيث استدعى من جديد أمين الأمناء الحاج عبد السلام التازى للمشاركة فى الحكومة بعد أن كان قد استعفى قبل أربع سنوات للقيام بمناسك الحج على ماقلناه ؟

وهكذا سمى التازى « نائباً » بطنجة عوض الحاج محمد بن العربى الطريس حيث وجدنا النائب الجديد يلتمس من العاهل أن يشد أزره بإبقاء بناصر غنام إلى جانبه؛ تقديرا لخدماته وتجربته الطويلة.

وبالرغم من عدم التحاق التازى بمقر مأموريته على ما سنرى، حيث تقرر إقرار الطريس فى وظيفته، فقد استمر بناصر غنام يقوم بأعمال دار النيابة مع النائب إلى أن تولى السلطان عبد الحفيظ مكان أخيه السلطان عبد العزيز عام 325 — 1907 حيث عين فى اللجنة المكلفة بتقويم الخسائر التى لحقت الدار البيضاء بسبب الفتن التى أدت إلى احتلال المدينة من طرف فرنسا وأسبانيا.

وقد كانت آخر مهمة دبلوماسية قام بها غنام —بعد أن أثيرت المصاعب ضد إرجاعه لعمله بدار النيابة فى طنجة — هى إرساله من لدن السلطان مولاى حفيظ عضواً فى السفارة التى بعث بها العاهل إلى أسبانيا صحبة أحمد ابن المواز عام 1327 — 1909.

فمن الذى ألف الوثيقة السرية ؟.

لقد صيغت مقدمتها بأسلوب تعمد بدوره أن يحتفظ بالسر حول من ألفها ومن كتبها، فقد بني للمجهول تركيبها: «اتخذ هذا المسطور...» «وقد جعل لكل فرد.. ضُمِّن هذا المسطور :.. وجعل لكل حرف» :

وهكذا فإن العمل عمل حكومة فيما يتأكد، وليس عمل فرد، ولو أن هذا الفرد كان هو الذى يطبق تعليمات الوثيقة الحكومية.

وهنا يطرح السؤال : متى نسخ هذا المسطور أو اتخذ قاعدة للمخاطبات السرية ؟ سنقرأ الجواب عن السؤال على بعض صفحات الوثيقة وخاصة الصفحة الثالثة التى تتحدث عن وكلاء المغرب بالخارج وأعضاء « دار النيابة » فى طنجة حيث نجد فراغاً مكان اسم النائب[2].. والصفحة الرابعة التى تتحدث عن الخبراء العسكريين الأجانب والصفحة الخامسة التى تتحدث عن الجهاز المالى والريال العزيزى والصفحة الثانية عشرة التى تتحدث عن بعض الرتب البحرية وبعض الدور التجارية.. وبخاصة الصفحة العشرون التى أقحمت بأخرها علامة « الثائر الفتان ».

(١) عبارة مؤرخ الدولة مولاى عبد الرحمن ابن زيدان : لم يقع بين الرئيس والمرؤوس وفاق فاعترى ذلك الجمع التكسير... العز والصولة أ 306 — 308 — 307

(٢) خلا منصب « النيابة » مرتين أولاها عندما أعفى الطريس عام 1904 وثانيهما عندما التحق بربه 16 شعبان 1326 = 13 شتنبر 1308 بعد نحو من شهر من انتصار مولاى حفيظ على أخيه مولاى عبد العزيز...

وهكذا نستطيع القول بأن الوثيقة نسخت أو جددت فى أيام السلطان مولاى عبد العزيز وقبل مؤتمر الجزيرة الخضراء[1] وبالذات فى أوائل رجب 1322 منتصف شتنبر 1904 عندما أعفى الحاج محمد بن العربى الطريس من النيابة عن السلطان وأسندت المهمة للحاج عبد السلام التازى بمقتضى عدد من الظهائر العزيزية التى صدرت للطريس وكذلك بمقتضى الخطابات الخاصة التى أرسلت بتاريخ ٤ رجب 1322 15 شتنبر 1904 لسائر قضاة المدن الساحلية الثمان : تطوان ، طنجة ، العرائش ، الغدوتان البيضاء ، آزمور ، الجديدة ، أسفى والصويرة .: وكذلك لسائر أمناء المراسى الثمانية علاوة على القواد العشرة : ابن سعيد ، السويسى ، الحديدى ، ابن هيمة الأزمورى ، المنبهى ، العبدى ، الغازى ، المختارى ، المديونى[2] ؛

كانت ظروف هذا التعيين لا تخفى على أحد ، فلقد سبق أن أبرمت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية فى أبريل 1904 تنازلت الأولى بمقتضاها للثانية عن مصر ، وباعت هذه لتلك بلاد المغرب ! وقد شهدت طنجة فى الشهر الموالى 18 ماية 1904 عملة اختطاف قام بها الشريف الريسونى استهدفت بعض الرعايا البريطانيين والأمريكان . . . وقد اقترن هذا بنزول البعثة الفرنسية برئاسة طلايلاندى إلى فاس .

ومن المعلوم أن تعيين التازى فى منصب النيابة أزعج إلى حد كبير خصومه ، وبخاصة أعضاء السلك الأجنبى الذى عرفوا عنه إخلاصه وجديته أثناء ممارسته لوزارة المالية أربعة سنوات[3] الأمر الذى كان وراء التآمر لتجميد التحاقه بطنجة فلقد بلغ التطاول بالبعثات الأجنبية بطنجة أن أخذت تعتقد أن من حقها أن تشاور حول (من) سيعهد إليه بمباشرة العمل معها حتى ليخيل للمرء أن « دار النيابة » كانت سفارة مغربية معتمدة لدى الهيأة الدبلوماسية وليست السفارات الأجنبية هى المعتمدة من طرف حكوماتها لدى السلطان وحكومته[4] .

فى تلك الأثناء ، حررت الوثيقة التى ترك فيها اسم النائب معلقا مع اثبات الرقم الخاص به وهو ٨٦ فى حين أثبتت فيه لائحة سائر أعضاء النيابة وعلى رأسهم بناصر غنام .

---

(١) مما يلاحظ فى الوثيقة أنها لا تتضمن حديثاً عن (بنك المغرب) الذى تنص عليه بعض رسائل مولاى عبد العزيز بتاريخ 12 ذى الحجة 1424 = 27 يناير 1907 .

(٢) ابن زيدان : الاتحاف ٥ ر ٣٦٣ عبد الهادى التازى : رسائل مخزنية ، القسم الأول ، مطبعة أكدال 1967 ص ٦٨ – ٦٩ – ٧٠ .

(3) Nichaux - Bellaire : Organisation des Finances du Maroc : Journal asiatique T.X.T 1907 Pierre Guilben: L'alemagne et le Maroc 1867 P. 826 - Weisgerber : Le Maroc il ya 30 ans 1928 P. 26-27 au sauil du Maroc moderne P. 67 P.G. Rogers : A history of Anglo - Morocco Relations to 1900, London P. 233.

(٤) ع . ابن منصور : أعلام المغرب العربى I رص ٢٢٠ .

وهناك موشر آخر يأتى فى الصفحةالعشرين عندما ألحقت أسفل الصفحة الأخيرة علامة الثائر الفتان « T » عوض أن تكون فى الصفحة الرابعة الخاصة بالشؤون الحربية ، وهو الأمر الذى يدل على أن تمرد الفتان (بو حمارة) طرأ والوثيقة معمول بها : . .

وهكذا يتأكد لنا أن الوثيقة ترجع للتاريخ الذى افترضناه ، وهو أوائل رجب 1322 منتصف شتنبر 1904 :

وإذا ما تجاوزنا تلك الإشارات فإننا سنجد أنفسنا أمام ملاحظات أخرى تدل بدورها على بعض الظواهر التى تعطينا فكرة عن واقع الأيام التى عاشتها الوثيقة :

نحن أمام طائفة من الألفاظ الدخلية التى لم تهيب المخطوطة إقحامها ضمن اللغة العربية المستعملة ، وهكذا لم يجد المؤلف غضاضة فى استعمال كلمة الدينا ميت (Dynamite) وكلمات بنك نوط (Bank-Notes) والشيك (Chéques) والليطرة (les traites) والليبرة (Le livre) والريال البندق (Venezia) والبـــارة (Le barre) والإنطريس (les intérêts) والكمسيون (Commission) والسكرطة (Segurada) والميرنط (Al Mirante) وقنصل جنرال (Ccnsul Général) وڤيس قنصـــل (Vice-Consul) وشمان — دوفير (Chemin be fer) والبوسطة (Poste) تلغراف (TélégraPhe) وسكلار (Sirculaire)

وعلى خلاف القلقشندى فى صبحه عندما اعتمد على الأرقام الهندية فى حل معمياته ، فإن صاحب الوثيقة اعتمد على استعمال الغبارية : ويعنى بالقلم الغبارى ما اعتدنا أن نعرفه فى سائر الموسوعات العالمية باسم الأرقام العربية (Les chiffres Arabes) وهى :

1 — 2 — 3 — 4 — 5 — 6 — 7 — 8 — 9 — 10

وقد سميت بالغبارية لأن النساخ الذين كانوا يرسمونها كانوا يضعون عليها غباراً لتنشيف مدادها . . . وقد انتقلت إلى أوربا من المغرب فى وقت مبكر جداً بواسطة جيربير (Gerbert) الذى أصبح البابا سلڤيستر الثانى :

وكما اعتاد المغاربة الاعتماد على القلم الغبارى استعملوا آنذاك الخط الفاسى أو القلم الرومى .

الخط الفاسي أو القلم الرومي

		1	2	3	4	5	6	7	8	9
الآحاد	الخط الفاسي	ل	ــ	لا	ر	٢	6	7	كل	ى
	القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8	9·
العشرات	الخط الفاسي	ى	سا	ل	سى	لى	صع	٥	تا	لع
	القيمة العددية	10	20	30	40	50	60	70	80	90
المئين	الخط الفاسي	ص	عى	ح	لا	ع	لع	سى	ق	سح
	القيمة العددية	100	200	300	400	500	600	700	800	900
آحاد الألوف	الخط الفاسي	ل	=	لا	ر	ص	6	7	كل	كى
	القيمة العددية	1000	2...	3...	4...	5...	6...	7...	8...	9...
عشرات الألوف	الخط الفاسي	ى	س	ل	سى	لى	صع	ص	سا	لع
	القيمة العددية	10000	20...	30...	40...	50...	60...	70...	80...	90...
مئات الألوف	الخط الفاسي	ص	عى	ح	لا	ع	لع	سى	ق	سح
	القيمة العددية	100...	200...	300...	400...	500...	600...	700...	800...	900...
الكسور	الخط الفاسي	لمـ	سمـ	سلا	صمـ	عمـ	لمـ	حمـ	كمـ	كح
	القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8	9

ونظراً للغموض الذى لاحظ صاحب الوثيقة أنه قد يتعرض إليه الكاتب عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام غبارية متوالية ، نظراً لذلك وجدناه يبتكر فاصلة توضع بين الكلمات تمييزاً لها فيما بينها على نحو ما يقوم عليه اليوم نظام « الشيفرة » بوزارة الشؤون الخارجية ، وكانت الفاصلة التى اختارها على شكل خط أفقى صغير : شرطة على هذا النحو 660 — 55 — 890 .

أى (كتب لنا) ويؤديها رقم 660 (جلالة الملك) ويؤديها رقم 55 (بالعمل على ما تقدم لكم) ويؤديها رقم 860 .

وقد شعر « صاحب الوثيقة » بأن قاموسه لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، لذلك وجدناه يقدم طريقتين عمليتين للاستعانة بهما لتعمية الرسائل الموجهة :

ويتعلق الأمر فى الحالة الأولى بما ورد فى الصفحة 20 أى أن يعمد الكاتب إلى الحروف الهجائية ويجعل لكل واحد منها رقماً غبارياً معيناً ، وعوض أن يكتب بها ، أى بحروف الهجاء ، فإنه يكتب بأرقام الغبارة ، وزيادة فى التوضيح فإنه يجب علينا أن نجعل فاصلة بين الحروف . كنا فيما سبق نستعمل ، فاصلة الشرطة بين الكلمات ، وهنا نستعمل ، كفاصلة بين الحروف ، نقطة على هذا الشكل (•) للتدليل على الفرق بين الحرف والحرف :

نريد أن نبلغ صاحبنا « أن البحر هاج » فنرسمه هكذا : 20 — 34 — 21 — 25 — 28 — 45 — 20 — 24 .

يبقى مع كل هذا الاحتياط شعور بنقص أو فراغ عندما لا نجد وسيلة لشكل الحروف ، بيد أن اعتماد « الشيفرة » على المادة العربية يجعل من السهل الاستغناء عن الشكل الذى تجد اليوم وزارات الخارجية فى الدول العربية تؤديه بواسطة الحروف اللاتينية :

وفيما إذا حدث أن اشتملت الرسالة أو البرقية على ذكر عدد قد يلتبس بالأرقام التى أعطيت للكلمات والجمل والحروف ، فإنك تحصر هذه الأعداد بين شكلين على هذا النحو : A الذى يشبه حرف A فى اللغة اللاتينية ؛ وهكذا عندما نجد مثلا : A85A فإن القصد يكون إلى عدد خمسة وثمانين وليس إلى وزير الخارجية الذى يرمز إليه فى الوثيقة برقم 85 .

أما الحالة الثانية من حالات التعمية عندما لا نجد فى هذا «القاموس» غرضا من أغراض الرسالة ، فهى أن نختار لحروف الهجاء أشكالا نجعلها لها .

وفى الحالة الأولى كنا نعبر عن حروف الهجاء بأرقام غبارية وفى هذه الحالة نعبر عنها بأشكال تتردد بين حروف لاتينية وبين أرقام غبارية :

نريد أن نبلغ صاحبنا بأن « البحر هاج » فنرسمه طبقاً للتعليمات التى وردت فى آخر صفحة من الوثيقة هكذا :

2.O.U.L.A.S.O

لقد ابتدأت الوثيقة بإعطاء رقم لرئيس الدولة كان هو « الخمسة والخمسين » فمتى تحدثت بهذا الرقم كنت تعنى « الجناب المولوى » أعزه الله .

لابد أن المغاربة جميعهم يميزون إلى اليوم بين الموسيقى التى يعرفونها فى محافلهم باسم (الالة) بدون نسبة إلى الأندلس، وبين الموسيقى الأخرى التى يطلقون عليها موسيقى « الخمسة والخمسين » والتى لا يقصدون بها شيئا — فى نظرى — غير الموسيقى التى تستأثر بجوقتها الخاصة ملك البلاد(١) .

وكثيرا ما نسمع مثل هذا التعبير السائر : « فلان ضربت عليه الخمسة والخمسين » يعنى أنه فى وضع كوضع الملوك بذخاً وعظمة .

وبعد رقم جلالة الملك يأتى رقم الولد 58 ولأم 55 والمهر 65 :

ثم كان رقم الوزراء والقضاة والنظار والقواد إلى آخر للائحة التى لم تغفل أى موظف سام من موظفى الدولة فى الداخل والخارج .

وبعد أن تقدم الوثيقة المواد التى تهم الجيش مع أسلحة وقطع غيار . . والتى تهم المالية . . والمهن التى تتصل بالملك والشكايات والمشور الملكى . . كل برقمه .

بعد أن تقدم المراكز والمدن الساحلية للمملكة المغربية والمراكز والمدن الداخلية تأتى على قواعد الممالك الآسيوية والأوربية والأمريكية وتذكر الدول الأفريقية ، بل إنها أحيانا تقسم الدولة الواحدة أقساماً بحسب أهمية العلاقات بين المغرب وبين تلك الجهة .

وهكذا فهى عند حديثها عن مصر مثلا ، ترمز للاسكندرية برقم 294 ولطنطا برقم 295 ، ولدمنهور برقم 296 ولمصر العاصمة برقم 297 وللسويس برقم 297 مما يؤكد وجود مصالح للمغرب فى كل هذه الجهات، وهى الحقيقة التى تثبتها الوثائق المصرية المخطوطة والمطبوعة .

وبعد أن تقدم لنا بعض الرتب البحرية . والدور التجارية التى لها صلة بالأغراض الحكومية ، بعد أن تقدم لنا ذلك، كل برقمه الخاص به . . . تنتقل إلى الفصل الثانى وهو الذى يتعلق بالمفردات والجمل المتداولة فى الخطابات الرسمية .

وهنا نجد أنفسنا مع « قاموس » مقسم إلى قسمين : الأول خاص بالجمل الفعلية ، والثانى خاص بالمفردات والحروف . . وكلا القسمين مرتب ترتيباً دقيقاً على الحروف الهجائية . .

---

(١) يذكر بعض السادة المهتمين بهذه الآلة أن القصد بالخمسة والخمسين عدد النوبات الموسيقية الإحدى عشرة مضروبة فى عدد الصنائع الخمس ، كما قرأنا عن آخرين أن اسم الخمسة والخمسين آت من أن عدد أفراد الجوق كان خمساً وخمسين ، ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن القصد إلى موسيقى الملك .

وهكذا يبتدئ القسم الأول بالأفعال التى تبتدئ بالألف : أخبرنا . أخبرناه ، أخبرونا إلخ . . اكتب له مع البوسطة اعمل الواجب عليك ولا تقصر . . كل جملة يعبر عنها بمجموعة عددية لا تتعدى ثلاثة أرقام .

ثم يأتى حرف الباء: بايع . برئ ، مما نسب إليه . . إلخ . . ثم التاء . . توجه على طريق البحر . . ثم الجيم والحاء والخاء والدال : دافع بالتى هى أحسن . . . ثم العين : عمل لنا تلغرافياً . . عمل سكلاراً . . إلى الياء : « يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها . . »

كما ندخل للقسم الثانى كذلك بالمفردات المبتدأة بالألف : العمل على ما تقدم لكم . . المدد فى الطريق وبوصوله يكون لك الإعلام فى التلغراف ثم الباء إلخ . . إلى أن تقدم الوثيقة أرقامها لكل حرف من الحروف الألفبائية قبل أن تقدم أشكالا أخرى لتلك الحروف ، متى تعلق بها الغرض .

وقد كان من الملاحظات الدقيقة فى هذه الوثيقة أن الذى وضع الأرقام لأشخاصها ولكلماتها ، وجد نفسه أحيانا مضطراً لإعطاء رقم مكرر ، فحتى لا يوقع الناس فى اللبس جعل الرقم المكرر ، علامة هكذا : 2 . — . ويحدث أن يكرر الرقم ثلاث مرات وحينئذ يجعل أمام الرقم المكرر ثلاثاً ، علامة هكذا : ($\frac{١}{٤}$) وسنرى — ونحن نستعرض صفحات هذا المخطوط — أن الذين أشرفوا على تدوينه كانوا على وعى تام بما يجرى من حوالبهم ، وبذلك برهنوا على أنهم كانوا يعايشون الأحداث ويبتكرون لكل ما يجد شكلا من الأشكال ، لتسهيل عملية الاتصالات والمخاطبات والمراسلات .

لقد أصحبتُ هذه الوثيقة الفريدة بدراسة تناولت فيها ، بتفصيل ، تطور « الكتابة الباطنة » كما سماها ابن وهب الكاتب ، منذ ظهورها فى المشرق والمغرب ، وحرصت على أن أقوم بالمقارنات والمفارقات بين طائفة من النماذج التى ظهرت فى المصادر العربية وغيرها .

عبد الهادى التازى
عضو المجمع المراسل من المغرب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
رئيس مجلس الادارة
مصطفى حسن على
رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٤/٩١٤
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١١٠٦س ١٩٨٤ — ٢٠٣٠